الجامع الصحيح

في القدر

تأليف

محدث الديار اليمنية

أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي

رضي الله عنه

طبعة جديدة بها زيادات

ومزودة بالفهارس

من منشورات دار الحرمين بالقاهرة

الجامع الصحيح في القدر

تأليف
محدث الديار اليمنية
أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي
رضي الله عنه

دار الحرمين
بالقاهرة

الطبعة الأولى

1421 هـ - 2001 م

رقم الإيداع : 2000/16922

I.S.B.N: 977-310-084-7

الناشر

دار الحرمين للطباعة

الإدارة ومركز البيع : 72 شارع مصر والسودان -
حدائق القبة - محطة الدمرداش من مترو الأنفاق
☎ وفاكس : 4820392
محمول : 0123802856-0101212087
الفرع الجديد : سوق الكتاب - الأزبكية - بجوار مرور العتبة 0105696909
المطابع : ش112 - جسر السويس - محمول : 0105173720
☎ وفاكس : 2979735

كلمة الناشر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المُشَرَّف بالشفاعة، المخصوص ببقاء شريعته إلى قيام الساعة، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار وأتباعه الأخيار صلاة باقية ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد:- فإن من دواعي الشرف والسرور أن تكون **دار الحرمين** أداة نشرٍ للنافعِ من العلومِ وتراث الأمة المصون، وإننا في هذا المقام إذ نشكر الله تعالى ونشكر القراء الكرام أن أولونا ثقتهم باقتنائهم مطبوعات **الدار**؛ فإن هذا لمما يزيدنا تمسُّكًا بالخط الذي انتهجناه من تيسير اقتناء المطبوعات النافعة بأسعار مخفضةٍ علاوة على حسن الإخراج ودقة المراجعة وجودة الطباعة، وفوق هذا كله - وهو الأهم - عرض مطبوعات **الدار** قبل طبعها على المختصين والمؤهلين ممن يحسن النظر ليكون القارئ في مأمنٍ من خطإٍ لسنا نحن صانعوه، فكانت منشوراتنا - ولله وحده الحمد والمنة - بديعة الإتقان صحيحة الأركان سليمةً من لفظة «لو كان»، فالحمد لله الذي جعلنا عن تراث هذه الأمة ذابين وعلى كتب أهل العلم محافظين، والله ولي التوفيق.

دار الحرمين

الجامع الصحيح

في القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا.

القائل في كتابه الكريم في معرض الامتنان على عباده:

﴿ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون﴾.

والقائل سبحانه وتعالى:

﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾.

والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: «كتبت نبيًا وآدم بين الروح والجسد».

وعلى آله وأصحابه المؤمنين بالقدر خيره وشره حلوه ومره.

أمـا بعـد:

فإنه مما قدر الله على بعض البلاد اليمنية: أن تعيش زيادة على **ألف سنة** في ظلمات **التشيع المبتدع وأباطيل الرفض الممقوت**، حتى اختلطت البدعة بدمائهم ولحومهم، وأشربت بها قلوبهم. انتشرت تلكم البدعة التي غيرت بها معالم الدين تحت ستار محبة أهل بيت النبوة رحمهم الله، ولما كانت الدولة، دولة الشيعة أصبحت اليمن مستورد ومستودع خزعبلات الرفض والتشيع.

● **ومن عرف عن السنة شيئًا وأراد أن ينكر تلكم البدع والمحدثات عوقب بأشد العقوبات :**

فذلك محمد بن إبراهيم الوزير الذي قال فيه الشوكاني : لو قلت إن اليمن لم تنجب مثله لما أبعدت عن الصواب ، ذلكم صاحب المؤلفات التي انتفع بها المسلمون ، ضيق عليه حتى أصبح يفر بدينه من شعب إلى رأس جبل .

● قال رحمه اللَّه يصف حالته :

فحينًا بطود تمطر السحب دونه ... أشم منيف بالغمام مؤزر
وحينًا بشعب بطن واد كأنه ... حشا قلم تمسي به الطير تصفر
إذا التفت الساري به نحو قلة ... توهمها من طولها تتأخر
أجاور في أرجائه البوم والقطا ... فجيرتها للمرء أولى وأجدر
هنالك يصفو لي من العيش ورده ... وإلا فورد العيش رمق مكدر
فإن يبست ثم المراعي وأجدبت ... فروض العلا والعلم والدين أخضر
ولا عار أن ينجو كريم بنفسه ... ولكن عارًا عجزه حين ينصو
فقد هاجر المختار قبلي وصحبه ... وفر إلى أرض النجاشي جعفو

● **وهكذا صالح بن مهدي المقبلي** على أنه ما تخلص من التشيع والاعتزال كما يعلم من كتابه « **العلم الشامخ في ذم تقليد الآباء والمشايخ** » ، ولكنه انتقد مذهب الشيعة فضيقوا عليه حتى هاجر إلى مكة واستقر بها إلى أن توفي رحمه اللَّه .

وبعده محمد بن إسماعيل الأمير الذي أراد العنسي من شيعة برط طرده من اليمن بل توعده جاهل حاقد من بيت القاسم وقال : أنت خطبت وما ذكرت جدنا القاسم في الخطبة لئن صعدت المنبر مرة أخرى لأقتلنك ، ومن وقف على ديوانه رأى ما يذهله من عتو التشيع على علماء السنة .

● **وهكذا حسين بن مهدي النعمي**، صاحب «**معارج الألباب**» وهو في عصر محمد بن إسماعيل الأمير فقد أوذي بسبب دعوته إلى السنة وانتقاده للمذهب الشيعي المبتدع.

● **أما الشوكاني فإنك إذا قرأت في كتاب «أدب الطلب» ترى ما يدهشك** من تنكر الشيعة لسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ولأهل السنة **ويعجبني البيت الذي ذكره محمد بن إسماعيل في «ديوانه»** متمثلًا به ومبينًا سطوة التشيع على أهل السنة:

حكوا باطلًا وانتضوا صارمًا فقالوا صدقنا فقلنا نعم

ولم يزل اضطهادهم لأهل السنة إلى عصرنا هذا، ثم شاء اللَّه أن يطهر يمننا من بدعة التشيع المبتدع، ووفق بعض طلبة العلم لدراسة كتب السنة والعكوف عليها، ووفقهم ولله الحمد والمنة للدعوة إلى سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم؛ **فانقشعت ظلمات التشيع** وأصبح التشيع ينحسر شيئًا فشيئًا **وصدق اللَّه إذ يقول**: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا﴾، **ويقول**: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ **ويقول سبحانه وتعالى**: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب اللَّه الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب اللَّه الأمثال﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب اللَّه مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب اللَّه الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾.

وعند أن عيي القوم عن مواجهة السنة ، ولم يستطيعوا الوقوف أمام سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم استوردوا كتب الزيغ والضلال من كتب الرافضة من إيران ولبنان بل استوردوا كتب الكفر والإلحاد ؛ ليصدوا الناس عن سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

ومن كان يظن أن كتاب « الكافي » للكليني يدخل اليمن ويباع بالأسواق وفيه الكفر البواح .

ولو كان **أئمة الزيدية أحياء** : ما أذنوا لمثل هذا الكتاب الزائغ يدخل إلى اليمن .

اللَّه أكبر ؛ كتب الرفض تباع وتستورد إلى بلدنا المسلمة التي أثنى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عليها وعلى أهلها بقوله : « الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان » وأخبر أن أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبًا .

● وبين يدي **كتاب من كتب الضلال** ؛ بل من كتب الكفر والإلحاد اسمه « **عيون المعجزات** » للرافضي الأثيم بل الملحد الرجيم حسين بن عبد الوهاب من جهلة القرن الخامس بل من غواة القرن الخامس وإليك شيئًا مما احتوى عليه من الكفر والإلحاد والزندقة :

1 ذكر قول الشمس لعلي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه : يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم (ص : ١٤) .

2 قالت الجارية لعلي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه : يا عالم السر وأخفى (ص : ٢٧) .

3 قول أبيها لعلي رضي اللَّه عنه: أشهد أنك تعلم ما في الأرحام (ص : ٢٨) .

4 عزا إلى علي رضي اللَّه عنه أنه قال : إنه هطل بأمره السحاب (ص : ٢٩).

5 قول الأعرابي لعلي : بلغنا عنك أنك تحيي الموتى وتميت الأحياء وتفقر وتغني وتقضي في الأمر وتمضي (ص : ٣٠).

6 قول من كان ميتًا فأحياه علي كما زعمت القصة : لبيك يا محيي العظام (ص : ٣٢).

7 قول علي لمن يخاطبه : أما تعلم أني أعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (ص : ٤٣).

● **هذا** ؛ ومما ينبغي أن يعلم أن عليًا رضي اللَّه عنه بريء من هذه الأباطيل ولو كان حيًا رضي اللَّه عنه لحرق صاحب الكتاب كما فعل بالذين ادعوا ألوهيته رضي اللَّه عنه.

ألا وإن دخول مثل هذه الكتب الزائغة إلى اليمن يعتبر جناية على الدين ومحادة للَّه رب العالمين.

وأما الأمة الحمقى التي استوردت هذه الكتب لتدفع بها سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فإن أهل السنة إذا قاموا بما أوجب اللَّه عليهم من البيان والدعوة فإن الأمر سينعكس، وصدق اللَّه إذ يقول : ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ **وعلى نفسها براقش تجني.**

فإن الأمة المسلمة إذا علمت ما في هذه الكتب من الكفر والضلال : تنفر منها وممن ألفها وممن استوردها وصدق اللَّه إذ يقول : ﴿ويمكرون ويمكر اللَّه واللَّه خير الماكرين﴾.

● **هذا**؛ ولما كانت سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قد شقت طريقها وهزم التشيع أمامها هزيمة منكرة، أصبح المتشيعون يخجلون أن يبوحوا باعتقادهم الرديء من سب الصحابة، والتمسح بأتربة الموتى، ومن الفتاوى الزائغة التي كانوا يفتون بها؛ أن من وضع يده اليمنى على يده اليسرى في الصلاة، أو قال آمين بعد قراءة الفاتحة في الصلاة، فصلاته باطلة.

ولا تسأل عن جرأتهم وقلة حيائهم في الفتاوى: خطب بعض إخواننا خطبة يحذر من التقليد، فاستنكر جماعته ما قال لأنهم عوام جاهلون فقال حفظه اللَّه: هذه الخطبة مكتوبة واسألوا عنها فذهبوا إلى عالمهم الذي يلقبونه بكرسي الزيدية فلما قرأوا عليه أول الخطبة إلى أن وصلوا إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ قال: يكفي هذا يكفركم ويكفر آباءكم لا تصلوا بعده.

فعلى قول هذا المفتن الجاهل، النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يكفر الصحابة ولا تصح الصلاة بعده؛ لأنه كان يقولها في خطبته. أين أنت أيها المفتون الأعمى المفتري على اللَّه من قوله تعالى في صدر الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهو يثبت لهم الإيمان ثم قوله في آخر الآية ﴿وأنتم مسلمون﴾ أي اثبتوا على الإسلام ولو كان المطلوب إسلامهم لما صدر تعالى آية بتحليتهم بالإيمان ولقال في آخرها أسلموا. هذه بعض تلبيسات من لا يستحيي ولا يخاف من اللَّه ولا يبالي بدينه وصدق الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذ يقول: «**إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**».

وكان من بقية التي يعيرونا بها، وينفرون عن سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أننا نقول بالقدر كما يقال:

رمتني بدائها وانسلت

ويعنون ن : أننا نقول إن اللَّه قدر الخير والشر ، فاستعنت باللّه على جمع بعض الآيات القققرآنية والأحاديث النبوية وبعض أقوال أئمة المسلمين رحمهم اللّه وسميته :

« الجامع الصحيح في القدر »

أسأل الااللَّه سبحانه وتعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يجعله خالصًا لوجهه إنه ه جواد كريم .

وإني أـأحمد اللَّه سبحانه ، فإن أول من استفاد من هذا البحث أنا ، فقد ازددت بحمحمد اللّه ثباتًا ومحبة لعقيدة أهل السنة والجماعة رحمهم اللَّه .

● **تنبيه هه** : أنا في هذا الكتاب وفي بعض كتبي الأخرى لا أحرص على التخريج ، بل ربما أنقل الحديث من **البخاري** بسنده وأجده بسنده في **مسلم** فلا أعزوه إا إليه ؛ لأني قد ذكرت الحديث بسنده ولأن مقصودي - اللَّه يعلم - هو أن تصسل الفائدة إلى القارئ في أقرب وقت ممكن على أني لا أنكر فائدة التخريج اـالحديثة التي لها فائدة .

وأما أن ن يصدر البحث عن الحديث ؛ بحديث أخرجه **ابن عدي أو العقيلي أو أبو نعيم** فيفي « **الحلية** » وفي سنده متروك أو كذاب ثم يلتمس له شواهد ومتابعات ›› ، بل ربما يكون الحديث في « **سنن أبي داود** » من طريق أخرى بل ربما يكون ، في « **الصحيحين** » أو أحدهما : **فهذا لم يفعله أئمة الحديث** ، فهم لم يستشهدوا اِا بالمتروك ولا بالكذاب فضلًا عن أن يجعلوه أصلًا ويلتمسوا له شواهد ومتمتابعات ، **فتنبه لهذا حتى لا تكون إمَّعة** .

واللَّه الموفق

من ثمرات الإيمان بالقدر

1 **أداء عبادة اللّٰه عز وجل** ، فالقدر مما تعبدنا اللّٰه سبحانه وتعالى بالإيمان به .

2 **قوة الإيمان** ، فالذي يؤمن بالقدر لا يتزعزع ولا يبالي بما ناله في سبيل الحق .

3 **الشجاعة والإقدام والثبات** ؛ فالذي يؤمن بالقدر يعلم أنه لا يموت إلا إذا جاء أجله ولا يناله من البلاء إلا ما كتب له ، لا يبالي بما ناله من الأذى والمصائب والمكاره .

4 **الطمأنينة وتخفيف الهموم والأحزان** .

5 **الصبر والاحتساب** ، والذين لا يؤمنون بالقدر ربما يؤدي بعضهم الجزع إلى أن يكفر باللّٰه ، وبعضهم يُجَنُّ ، وبعضهم يصبح موسوسًا ، وبعضهم يقتل نفسه ؛ **ولذلك كثر الانتحار في البلاد التي لا يؤمن أهلها بالقدر** : كأمريكا والدانمرك والسويد . والغالب على الذين يبتلون بأمراض الأعصاب أنهم لا يؤمنون بالقدر أو إيمانهم بالقدر ضعيف .

6 **الكرم** ؛ فالذي يؤمن أنه لا يفتقر إلا إذا قدر اللّٰه عليه فإنه ينفق ولا يبالي .

7 **الإخلاص** ؛ فالذي يؤمن بالقدر لا يعمل العمل من أجل الناس ، لأنه يعلم أنهم لا يستطيعون أن ينفعوه بشيء لم يقدره اللَّه ، ولا يستطيعون أن يضروه بشيء لم يقدره اللَّه عليه .

8 **التوكل واليقين والاعتماد على اللَّه والاستسلام له** :

﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللَّه لنا﴾

9 **عدم الاعتماد على الكهان والمنجمين والمشعوذين ، والتمسح بأتربة القبور ودعاء غير اللَّه ، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير اللَّه** ؛ لأنه يعلم أن هذه الأمور لا تملك له نفعًا لم يرده اللَّه ولا ضرًّا لم يرده اللَّه .

10 **القناعة وعدم التكالب على الدنيا** .

11 **التواضع** ؛ فإذا رفعه اللَّه بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك فهو يعلم أن هذا من عند اللَّه ولو شاء اللَّه لانتزعه منه إنه على كل شيء قدير .

12 **إغاظة المبتدعة الذين يتحكمون في حكمة اللَّه وشرعه** .

وبعد ؛ فقد حرصت على جمع ما تيسر لي جمعه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، وأقوال بعض علماء السنة وابتعدت عن أقوال أهل الكلام وفلسفتهم المعقدة العقيمة عن الخير وهذا دأبي - والحمد للَّه - في جميع كتبي ؛ **لأني أعتقد** : أن الذي لا يتأثر بالكتاب والسنة فلن يتأثر بفلسفة المهوسين الحيارى ، والحمد للَّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه ، وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

وجوب الإيمان بالقدر

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ١ ص : ٣٦) : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا وكيع ، عن كهمس ، عن عبد اللّه بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر (ح) وحدثنا عبيد اللّه بن معاذ العنبري ، وهذا حديثه حدثنا أبي ، حدثنا كهمس ، عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر ، قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفِّق لنا عبد اللّه بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد اللّه بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل اللّه منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه صلى

اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا » ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : « أن تعبد اللّٰه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » . قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » . قال : ثم انطلق فلبثت مليًا ثم قال لي : « يا عمر : أتدري من السائل ؟ » قلت : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ٦ ص : ٤٤١) : ثنا أبو جعفر السويدي ، قال ثنا أبو الربيع[1] سليمان بن عتبة الدمشقي ، قال سمعت يونس بن ميسرة ، عن أبي إدريس عائذ اللّٰه ، عن أبي الدرداء عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بالقدر » .

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات ، وأبو جعفر السويدي هو محمد بن النوشجان ، قال السمعاني في « **الأنساب** » في ترجمة السويدي : وكان صدوقًا ثقة محتاطًا في الأخذ ، ونقل عن أبي داود توثيقه .

قال أبو داود رحمه اللّٰه (ج ١٢ ص : ٤٦٦) : حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان عن أبي سنان ، عن وهب بن خالد الحمصي ، عن ابن الديلمي

(١) في « **الأصل** » : ثنا أبو الربيع ثنا سليما بن عتبة .
وهو خطأ ، **والصواب** ما أثبتناه كما في ترجمته من « **تهذيب الكمال** » .

قال : أتيت أبي بن كعب فقلت له : وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل اللَّه تعالى أن يذهبه من قلبي ، فقال : لو أن اللَّه تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل اللَّه تعالى ما قبله اللَّه تعالى منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار . قال : ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك . قال : ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك . قال : ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم مثل ذلك .

هذا حديث حسن ، وأبو سنان ، هو : سعيد بن سنان ، مختلف فيه والذي يظهر لي أن حديثه لا ينزل عن الحسن ، واللَّه أعلم .

وقال الإمام أبو عبد اللَّه بن ماجة رحمه اللَّه (ج ١ ص : ٢٩) : حدثنا علي ابن محمد ثنا إسحاق بن سليمان قال : سمعت أبا سنان عن وهب بن خالد الحمصي ، عن ابن الديلمي قال : إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري فأتيت أبي بن كعب فقلت : أبا المنذر إنه وقع في نفسي شيء من هذا القدر فخشيت على ديني وأمري فحدثني من ذلك بشيء لعل اللَّه أن ينفعني به ، فقال : لو أن اللَّه عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهبًا ، أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل اللَّه ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار ، ولا عليك أن تأتي أخي عبد اللَّه بن مسعود فتسأله فأتيت عبد اللَّه فسألته

فذكر مثل ما قال أبي وقال لي : ولا عليك أن تأتي حذيفة فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قالا وقال : ائت زيد بن ثابت فاسأله فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « لو أن اللَّه عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل أحد ذهبًا أو مثل جبل أحد ذهبًا تنفقه في سبيل اللَّه ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار » .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ١٨١) : ثنا أنس بن عياض ثنا أبو حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » . قال أبو حازم : لعن اللَّه دينًا أنا أكبر منه يعني : التكذيب بالقدر .

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج٢ ص : ٢١٢) : ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد اللّه بن عمرو عن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » .

عمرو بن شعيب ، مختلف في الاحتجاج به ، ووالده لم يوثقه معتبر وقد كتبت الحديث لأنه في الشواهد .

* * *

القـــدرة [1]

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ألم تعلم أن اللَّه على كل شيء قدير﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿اللَّه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد * وكل شيء عنده بمقدار﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وكان اللَّه على كل شيء مقتدرًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ .

---

(١) وهذا هو تفسير **الإمام أحمد** رحمه الله ، فقد فسر « **القدر** » بالقدرة - كما سيأتي في ترجمته إن شاء اللَّه - فمن يريد أن ينفي القدر فإنه ينفي قدرة الله .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى :
﴿ يخلق اللَّه ما يشاء إن اللَّه على كل شيء قدير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرًا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :
﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :
﴿ أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكن نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا ﴾ .

ومن القدرة الإلهية

قوله تعالى : ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أمن جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا أإله مع اللَّه بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

فإن الذين يسافرون في البواخر وهكذا الذين يعملون في البحر يقولون: إنهم يجدون البحرين ملتصقين بعضهما ببعض لا فاصل بينهما محسوس ولكنه فاصل إلهي فخابت وخسرت آمال الملحدين.

قال البخاري رحمه الله (ج١١ ص: ٤٩٤): حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها ولتنكح. فإن لها ما قدر لها».

قال البخاري رحمه الله (ج ١١ ص: ٤٩٤): حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا إسرائيل عن عاصم عن أبي عثمان عن أسامة قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته - وعنده سعد وأبي بن كعب ومعاذ - أن ابنها يجود بنفسه فبعث إليها: «لله ما أخذ ولله ما أعطى كل بأجل فلتصبر ولتحتسب».

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج٤ ص: ٢٠٤٦): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب، قالا: حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد ابن عباد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في القدر فنزلت: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله كما في «تفسير ابن كثير» (ج ٦ ص: ٤٧٩): حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له: قد تُكلم في القدر فقال: أو

قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : فواللَّه ما نزلت هذه الآية إلا فيهم : ﴿ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ أولئك شرار هذه الأمة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم إن رأيت أحدًا منهم ففقأت عينيه[1] بأصبعي هاتين .

ابن جريج مدلس ولم يصرح بالتحديث ، ولكنه يشهد له حديث أبي هريرة .

الحديث أخرجه اللالكائي في « السنة » (ج ٣ ص : ٥٤١) فقال : أخبرنا عبد العزيز بن محمد قال حدثنا الحسين بن يحيى قال ثنا الحسن بن عرفة به .

وعبد العزيز بن محمد هو : الدقيقي كما جاء منسوبًا عند المؤلف (ج ١ ص : ٧٠) ولم أجد ترجمته ولا يضر إذ قد وجدنا الحديث في « **تفسير ابن كثير** » بسند أعلى منه كما سبق .

والحسين بن يحيى هو : القطان ترجمته في « **سير أعلام النبلاء** » (ج ١٥ ص : ٣١٩) قال فيه الذهبي : الشيخ المحدث الثقة ، ثم قال : وثقه القواس ، وكان صاحب حديث .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٢٠٥٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا حدثنا عبد اللَّه بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى ابن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن باللَّه ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر اللَّه وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

(١) عند **اللالكائي** : ولو أرأيتني واحدًا فقأت عينه .

قال الإمام محمد بن حبان رحمه الله كما في «موارد الظمآن» (ص: ٤٥١): أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح اليشكري، ومحمد بن أبان الواسطي قالا حدثنا جرير بن حازم قال: سمعت أبا رجاء العطاردي قال: سمعت ابن عباس وهو على المنبر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يزال أمر هذه الأمة مواتيًا أو مقاربًا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر». الصحيح موقوف

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح إلا يزيد بن صالح اليشكري، وقد قال ابن أبي حاتم عن أبيه أنه مجهول فتعقبه الذهبي في «**الميزان**» فقال: وكان ورعًا مجتهدًا كبير القدر.

قال الحسن بن سفيان: فاتني لأجل أمي يحيى بن يحيى فعوضني الله بأبي خالد الفراء، ثم ذكر الذهبي قول أبي حاتم الرازي أنه مجهول فقال: قلت وثقه غيره. ا.هـ.

وهو مقرون بمحمد بن أبان الواسطي وقد وثقه مسلمة كما في «تهذيب التهذيب»، وقد قيل فيه إنه من شيوخ البخاري.

وأما الحسن بن سفيان وإن كان أنزل من رجال الصحيح طبقة فإنه إمام عظيم الشأن.

هذا ما قررته على ظاهر السند ثم رأيت في «كشف الأستار» (ج ٣ ص: ٣٦) **قال البزار قد رواه جماعة فوقفوه على ابن عباس فأنا أتركه هنا للفائدة.**

قال عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/٤٠٠ - ٤٠١) فقال رحمه الله حدثني أبي نا وكيع نا جرير بن حازم سمعه من أبي رجاء عن ابن عباس

رضي اللَّه عنه قال : لا يزال أمر هذه الأمة قوامًا أو مقاربًا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر .

هذا الأثر صحيح وقد اختلف في رفعه ووقفه ، والصواب : أنه موقوف كما بيناه : قال جعفر الفريابي في كتاب « **القدر** » (ص ١٥٢) : حدثنا أبو الحارث سريج بن يونس ، حدثنا مروان بن شجاع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان . وهذا الأثر حسن .

قال الإمام جعفر الفريابي في كتاب « القدر » (ص ١٧٨) .

حدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو هاشم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال لو رأيت أحدهم لأخذت بشعره يعني القدرية قال شعبة فحدثني به أبا بشر فقال سمعت مجاهدًا يقول ذكروا عند ابن عباس فاحتفز وقال لو رأيت أحدهم لعضضت أنفه .

وهذا الأثر صحيح . وأحمد بن إبراهيم هو الدورقي كما في ترجمة شيخه من « **تهذيب الكمال** » ا.هـ .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٤٩٤) : حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد اللَّه أخبرنا يونس عن الزهري قال : أخبرني عبد اللَّه بن محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري أخبره ، أنه بينما هو جالس عند النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم جاء رجل من الأنصار فقال : يا رسول اللَّه إنا نصيب سبيًا ونحب المال كيف ترى في العزل ؟ قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « أو إنكم تفعلون ذلك ؟ » لا عليكم ألا تفعلوا فإنه ليست نسمة كتب اللَّه أن تخرج إلا هي كائنة » .

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص : ٣٩٠) : حدثنا إسحاق حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا موسى هو ابن عقبة ، حدثني محمد بن يحيى ابن حبان عن ابن محيريز عن أبي سعيد الخدري في غزوة بني المصطلق ، أنهم أصابوا سبايا فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن فسألوا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن العزل فقال : « ما عليكم ألا تفعلوا فإن اللَّه قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة » .

وقال مجاهد عن قزعة سمعت أبا سعيد قال : قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ليست نفس مخلوقة إلا اللَّه خالقها » .

قال الإمام أبو عبد اللَّه بن ماجة رحمه اللَّه (ج ١ ص : ٣٤) : حدثنا علي بن محمد ثنا خالي يعلى عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول اللَّه إن لي جارية أعزل عنها ؟ قال : « سيأتيها ما قدر لها » . فأتاه بعد ذلك فقال : قد حملت الجارية ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ما قدر لنفس شيء إلا هي كائنة » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح إلا شيخ ابن ماجة علي بن محمد وهو أبو الحسن الطنافسي وقد وثقه أبو حاتم وأثنى عليه خيرًا كما في « **تهذيب التهذيب** » .

الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٣١٣) فقال : ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش به .

ورواه مسلم (ج ٢ ص : ١٠٦٤) بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٤٩٩) : حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن عبد اللَّه بن مرة ، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : نهى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن النذر وقال : « إنه لا يرد شيئًا ؛ وإنما يستخرج به من البخيل » .

أخرجه مسلم (ج٣ ص : ١٢٦٠) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص ٤٩٩) : حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد اللَّه أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له أستخرج به البخيل » .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص : ١٢٦١) .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٢٠٤٤) : حدثنا أبو الطاهر أحمد ابن عمرو بن عبد اللَّه بن عمرو بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » قال : « وعرشه على الماء » .

حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا المقرئ ، حدثنا حيوة .

(ح) وحدثني محمد بن سهل التميمي ، حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا نافع يعني ابن يزيد كلاهما عن أبي هانئ بهذا الإسناد مثله ، غير أنهما لم يذكرا « وعرشه على الماء » .

قال الإمام البزار رحمه الله في «كشف الأستار» (ج ٣ ص : ٢٠) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، ثنا أبو أحمد ، ثنا سفيان ، عن أيوب وإسماعيل ابن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال في القبضتين : «هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه» قال : فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر .

قال البزار: لا نعلم رواه عن الثوري إلا أبو أحمد ولا عنه إلا إبراهيم ولا نعرفه عن أيوب ولا عن إسماعيل إلا من هذا الوجه .

قلت : هو حديث صحيح رجاله رجال الصحيح .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٠٤٥) : حدثني عبد الأعلى بن حماد قال قرأت على مالك بن أنس (ح) وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس أنه قال : أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقولون : كل شيء بقدر قال : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» أو «الكيس والعجز» .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٠٤٠) : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو الزبير . (ح) وحدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا أبو خيثمة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال : يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل؟ قال : «لا ، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير» قال : ففيم العمل؟ قال زهير : ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه فسألت ما قال فقال : «اعملوا فكل ميسر» .

حدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد اللَّه، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بهذا المعنى وفيه فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «كل عامل ميسر لعمله».

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ١٧١٩): وحدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي، وحجاج بن الشاعر، وأحمد بن خراش قال عبد اللَّه أخبرنا، وقال الآخران حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا».

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٣ ص: ٣٨٨): حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو، عن جابر بن عبد اللَّه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم﴾ قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «أعوذ بوجهك» فقال: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أو يلبسكم شيعًا﴾ فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «هذه أيسر».
الشاهد في قوله تعالى: ﴿قل هو القادر﴾.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٣ ص: ٤٨): حدثنا قتيبة قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يعلمنا

الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به » . وقال : « ويسمي حاجته » .

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص : ١٢٨٠) : حدثنا أبو كامل الجحدري ، حدثنا عبد الواحد (يعني ابن زياد) حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : قال أبو مسعود البدري : كنت أضرب غلامًا لي بالسوط ، فسمعت صوتًا من خلفي « اعلم أبا مسعود » فلم أفهم الصوت من الغضب قال : فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا هو يقول : « اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود » قال : فألقيت السوط من يدي فقال : « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » قال : فقلت : لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا .

وحدثناه إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جرير (ح) وحدثني زهير بن حرب ، حدثنا محمد بن حميد (وهو المعمري) عن سفيان (ح) وحدثني محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان (ح) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة كلهم عن الأعمش بإسناد عبد الواحد نحو حديثه غير أن في حديث جرير (فسقط من يدي السوط من هيبته) .

وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب غلامًا لي فسمعت من خلفي صوتًا: «اعلم أبا مسعود للَّه أقدر عليك منك عليه»، فالتفت فإذا هو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقلت: يا رسول اللَّه هو حر لوجه اللَّه فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار» أو «لمستك النار».

وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار (واللفظ لابن المثنى) قالا: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي مسعود أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول: أعوذ باللَّه قال: فجعل يضربه فقال: أعوذ برسول اللَّه فتركه فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «واللَّه للَّه أقدر عليك منك عليه». قال: فأعتقه.

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ١٧٢٨): حدثني أبو الطاهر وحرملة ابن يحيى قالا أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني نافع بن جبير بن مطعم، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم اللَّه ثلاثًا وقل سبع مرات أعوذ باللَّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

* * *

فهم عمر رضي اللَّه عنه للقدر

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١٠ ص: ١٧٩): حدثنا عبد اللَّه بن يوسف أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل، عن عبد اللَّه ابن عباس، أن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع في الشام، فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال: ارتفعوا عني ثم قال: ادعوا لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس أني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر اللَّه فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر اللَّه إلى قدر اللَّه أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديًا له عدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر اللَّه وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر اللَّه، قال: فجاء عبد الرحمن وكان متغيبًا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علمًا

سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه » .

قال : فحمد اللَّه عمر ثم انصرف .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ١٧٤٠) .

باب من جهل صفة القدرة فشك فيها

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا اللَّه إن كنتم مؤمنين ﴾ .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٥١٤) : حدثني عبد اللَّه بن محمد ، حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا مت فأحرقوني ، ثم اطحنوني ، ثم ذروني في الريح فواللَّه لئن قدر اللَّه عليّ ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا ، فلما مات فعل به ذلك فأمر اللَّه الأرض فقال : اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رب خشيتك . فغفر له » . وقال غيره : « مخافتك يا رب » .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ٤٦٦) : حدثنا عبد اللَّه بن أبي الأسود حدثنا معتمر سمعت أبي ، حدثنا قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « أنه ذكر رجلًا فيمن سلف أو فيمن كان قبلكم قال كلمة يعني أعطاه اللَّه مالًا وولدًا فلما حضرت الوفاة

قال لبنيه : أي أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : فإنه لم يبتئر[1] أو لم يبتئز عند اللَّه خيرًا وإن يقدر اللَّه عليه يعذبه ، فانظروا إذا مت فأحرقوني ، حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني أو قال : فاسحكوني فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني فيها » . فقال نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال اللَّه عز وجل : كن ، فإذا هو رجل قائم . قال اللَّه : أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك أو فرق منك . قال : فما تلافاه أن رحمه عندها » . وقال مرة أخرى : « فما تلافاه غيرها » . فحدثت به أبا عثمان فقال : سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه : « أذروني في البحر » أو كما حدث . حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا معتمر وقال : « لم يبتئر » . وقال لي خليفة حدثنا معتمر وقال : « لم يبتئز » فسره قتادة لم يدخر .

لا يعير من ارتكب معصية ثم تاب

قال البخاري رحمه اللَّه تعالى (ج ١١ ص : ٥٠٥) : حدثنا علي بن عبد اللَّه ، حدثنا سفيان ، قال حفظناه من عمرو عن طاوس ، سمعت أبا هريرة عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا[2] من الجنة قال له آدم : يا موسى اصطفاك اللَّه بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره اللَّه عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثًا » .

---

(١) أي : لم يقدم خيرًا ، كما في « الفتح » .

(٢) موسى عليه السلام لم ينكر على آدم عليه السلام الوقوع في المعصية ولكنه أنكر عليه أنه كان سببًا لإخراج ذريته من الجنة فحج آدم موسى لأنه أمر مقدر وآدم خُلِق للأرض ولم يخلق للسماء قال اللَّه سبحانه وتعالى لملائكته : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ .

قال سفيان: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم مثله.

أخرجه مسلم (ج٤ ص: ٢٠٤٣).

قال الإمام أبو داود رحمه اللَّه (ج ١٢ ص: ٤٦٩): حدثنا أحمد بن صالح، أخبرنا ابن وهب، أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه اللَّه آدم فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم. قال: أنت الذي نفخ اللَّه فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ فقال: نعم. قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى قال: أنت نبي اللَّه إلى بني إسرائيل الذي كلمك اللَّه من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم. قال: أفما وجدت أن ذلك كان في كتاب اللَّه قبل أن أخلق؟ قال: نعم. قال: ففيم تلومني في شيء سبق من اللَّه تعالى فيه القضا قبلي؟» قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عند ذلك: «فحج آدم موسى فحج آدم موسى عليهما السلام».

هذا حديث حسن، وهشام بن سعد مختلف فيه، **ولكن قال أبو داود**: إنه أثبت الناس في زيد بن أسلم كما في «**تهذيب التهذيب**».

قال الإمام الترمذي رحمه اللَّه (ج ٨ ص: ٤٥٧): حدثنا عبد بن حميد أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لما خلق اللَّه

آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك فرأى رجلًا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قال أي رب: زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها لابنك داود؟ قال: فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم وخطئت ذريته».

هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم. ا.هـ.

● قال أبو عبد الرحمن:

هو حديث حسن، وهشام بن سعد متكلم فيه، ولكن أبا داود يقول: إنه أثبت الناس في زيد بن أسلم.

قال الإمام الترمذي رحمه اللَّه (ج ٩ ص: ٣٠٤): حدثنا محمد بن بشار أخبرنا صفوان بن عيسى أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لما خلق اللَّه آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد للَّه فحمد اللَّه بإذنه فقال له ربه: يرحمك اللَّه يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملأ منهم جلوس - فقل السلام عليكم قالوا: وعليك السلام ورحمة اللَّه ثم رجع إلى ربه قال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، فقال اللَّه له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، قال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين

مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال : أي رب ما هؤلاء؟ قال : هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم فقال : يا رب من هذا؟ قال : هذا ابنك داود وقد كتبت له عمر أربعين سنة ، قال : يا رب زده في عمره قال : ذاك الذي كتب له قال : أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال : أنت وذاك قال ثم أسكن الجنة ما شاء اللّٰه ثم أهبط منها فكان آدم يعد لنفسه قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لي ألف سنة قال : بلى ، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجحد ، فجحدت ذريته ، ونسي فنسيت ذريته قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود » .

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم . ا.هـ .

● في حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أن عمر داود ستون سنة ، وأن آدم زاده من عمره أربعين سنة ، وفي سائر الطرق إلى أبي هريرة أن عمر داود عليه السلام أربعين سنة وأن آدم عليه السلام زاده ستين سنة ، **وهي أرجح كما تراه ، واللّٰه أعلم** .

قال الإمام أبو جعفر الطبري في « التاريخ » (ج ١ ص : ٨١) : حدثني محمد ابن خلف العسقلاني ثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان قال : حدثني محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، قال أبو خالد وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال أبو خالد : وحدثني ابن أبي ذباب الدوسي قال : حدثنا سعيد المقبري ويزيد بن هرمز عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « خلق

اللَّه آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له ، فجلس فعطس ، فقال الحمد للَّه ، فقال له ربه : يرحمك ربك ائت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم السلام عليكم فأتاهم فقال : السلام عليكم فقالوا : وعليك ورحمة اللَّه ثم رجع إلى ربه فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قبض له يديه فقال : خذ واختر قال : اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين ففتحها فإذا فيها صورة آدم وذريته كلهم وإذا كل رجل مكتوب عنده أجله وإذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة وإذا قوم عليهم النور فقال : يا رب من هؤلاء الذين عليهم النور؟ فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسل إلى عبادي وإذا فيهم رجل هو أضوؤهم نورًا ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة فقال ذاك ما كتب له فقال : يا رب انقص له من عمري ستين سنة » فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « فلما أسكنه اللَّه الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يعد أيامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم : عجلت عليّ يا ملك الموت فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقي من عمري ستون سنة فقال له ملك الموت : ما بقي من عمرك شيء قد سألت ربك أن يكتبه لابنك داود فقال : ما فعلت » فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته فيومئذ وضع اللَّه الكتاب وأمر بالشهود » .

هذا حديث صحيح .

قال الإمام محمد بن الحسين الآجري رحمه اللَّه في « الشريعة » (ص : ١٨٠) : حدثنا الفريابي قال : حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات قال : أخبرنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن جندب قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى : يا آدم أنت الذي خلقك اللَّه بيده ،

ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته وفعلت ما فعلت فأخرجت ولدك من الجنة ، فقال آدم : أنت موسى الذي بعثك اللَّه عز وجل برسالته وكلمك ، وآتاك التوراة ، وقربك نجيًّا أنا أقدم أم الذكر ؟ » فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « فحج آدم موسى » .

شيخ الآجري فيه هو : جعفر بن محمد الفريابي ، وبقية الرجال من رجال « التهذيب » وحميد والحسن مدلسان ، **وزيادة على هذا** : أن الإمام أحمد رحمه اللَّه يقول : لا يصح للحسن سماع من جندب كما في « **تهذيب التهذيب** » .

وقد ذكر الحافظ المزي في « **تحفة الأشراف** » للحسن عن جندب ثلاثة أحاديث ؛ الأول متفق عليه ، والثاني رواه مسلم ، والثالث رواه النسائي في التفسير ، وهو هذا الحديث ؛ وعلى كلٍّ فما كتبت هذا الحديث إلا لأنه في الشواهد كما ترى .

ما جاء في القضاء

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿واللَّه يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن اللَّه هو السميع البصير﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم ليقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا وإلى اللَّه ترجع الأمور﴾ .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًّا كبيرًا﴾.

قال عبد الله بن أحمد في «السنة» (ص: ١٤١): حدثني أبي حدثنا أبو معاوية قال الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال: كنت مع ابن عباس في حلقة، قال: فذكروا أهل القدر، قال: فقال: أفي الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأ عليه: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًّا كبيرًا﴾ وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا.

هذا الأثر صحيح.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وكان أمرًا مقضيًّا﴾.

قال الإمام النسائي رحمه الله (ج ٣ ص: ٥٤): أخبرنا يحيى بن حبيب بن عربي، قال: حدثنا حماد، قال: حدثنا عطاء بن السائب، عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة فقال: أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلما قام تبعه رجل من القوم – هو

أبي غير أنه كنى عن نفسه - فسأله عن الدعاء ثم جاء فأخبر به القوم: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضا، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة[1] النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائِك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين».

هذا حديث صحيح، وعطاء بن السائب وإن كان مختلطًا فقد روى عنه حماد بن زيد قبل الاختلاط على أنه قد توبع متابعة قاصرة.

قال الإمام النسائي رحمه الله (ج ٣ ص: ٥٥): أخبرنا عبيد اللَّه بن سعد ابن إبراهيم بن سعد قال حدثنا عمي قال حدثنا شريك عن أبي هاشم الواسطي عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال: صلى عمار بن ياسر بالقوم صلاة أخفها فكأنهم أنكروها فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قال: أما إني دعوت فيها بدعاء كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يدعو به: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الإخلاص في الرضا والغضب، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضا، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين».

---

(١) هذا من جملة الأدلة على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة.

شريك: هو ابن عبد اللّٰه النخعي ساء حفظه لما ولي القضاء يصلح في الشواهد والمتابعات، وأبو هاشم: هو الرماني، وأبو مجلز: هو لاحق بن حميد كلاهما من رجال الجماعة، الأول ترجمته في الكنى من «**تهذيب التهذيب**»، والثاني في الأسماء.

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ١ ص: ١٩٩): ثنا وكيع ثنا يونس بن أبي إسحاق، عن يزيد بن أبي مريم السلولي، عن أبي الحوراء، عن الحسن ابن علي قال: علمني رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضي عليك، إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت»[١].

هذا حديث صحيح، وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاها.

قال الإمام الترمذي رحمه اللّٰه (ج ٦ ص: ٣٥٩): حدثنا أحمد بن منيع وعلي بن حجر المعنى واحد، قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن أبي المليح، عن أبي عزة قال: **قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «إذا قضى اللّٰه لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة»، أو قال: «بها حاجة»**.

هذا حديث صحيح، وأبو عزة له صحبة اسمه يسار بن عبد، وأبو المليح ابن أسامة: اسمه عامر بن أسامة بن عمير الهذلي، **وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاها.**

---

(١) **في هذا الحديث** رد على من يزعم أنه متشيع لأهل البيت ولا يجيز القنوت إلا بالقرآن فها هو النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يعلم الحسن رضي اللّٰه عنه قنوتًا ليس من القرآن أفتحكمون على صلاة الحسن بن علي وسائر المسلمين أنها باطلة ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾.

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٠٤١) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا عزرة بن ثابت، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الديلي قال : قال لي عمران بن الحصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت : بل شيء قضي عليهم قال : فقال : أفلا يكون ظلمًا؟ قال : ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا وقلت : كل شيء خلق اللَّه وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي : يرحمك اللَّه، إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقالا : يا رسول اللَّه أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال : « لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب اللَّه عز وجل : ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾ ».

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٥١٣) : حدثنا مسدد، حدثنا سفيان عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « تعوذوا باللَّه من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء ».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٨٠).

قال الإمام أحمد بن أبي عاصم النبيل رحمه اللَّه (ج ١ ص : ١٨٦) : حدثنا عمرو بن عثمان، ثنا أبي، عن محمد بن مهاجر، عن ابن حلبس، عن أم الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول : « اللهم إني أسألك

الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر[1] في وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة »، وزعم أنها دعوات كان يدعو بها النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

هذا حديث صحيح رجاله ثقات.

قال الإمام محمد بن حبان البستي رحمه اللَّه كما في « موارد الظمآن » (ص: ٤٥٠): أخبرنا أبو يعلى من كتابه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن عزرة[2] بن ثابت، عن ثمامة، عن أنس قال: خدمت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عشر سنين فما بعثني في حاجة لم أتمها إلا قال: « لو قضي لكان، أو لو قدر لكان ».

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح إلا أحمد بن علي بن المثنى أبا يعلى الموصلي صاحب « **المسند** »، وهو إمام جليل الشأن.

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ٢٢١٥): حدثنا أبو الربيع العتكي، وقتيبة بن سعيد كلاهما عن حماد بن زيد، واللفظ لقتيبة حدثنا حماد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: « إن اللَّه زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض،

---

(١) هذا من الأدلة المتواترة على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة.
وقال بعض أهل العلم:

مما تواتر حديث من كذب — ومن بنى للَّه بيتًا واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض — ومسح خفين وهذي بعض

ونحن نكرر التنبيه على هذا، لأن المعتزلة المبتدعة يرون أن الذي يقول: إن اللَّه يرى في الآخرة كافر تأويل، **فنحن نقول لهم**: موتوا بغيظكم فنحن نؤمن بما جاء في كتاب اللَّه وفي سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ولا نبالي بهذيانكم.

(٢) عزرة بن ثابت في « **الأصل** » عروة بن ثابت – **والصواب ما أثبتناه.**

وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا » .

وحدثني زهير بن حرب ، وإسحاق بن إبراهيم ، ومحمد بن المثنى ، وابن بشار قال إسحاق أخبرنا وقال الآخرون : حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة ، عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان أن نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « إن اللَّه تعالى زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض » .

ثم ذكر نحو حديث أيوب عن أبي قلابة .

جف القلم بما هو كائن

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٩ ص : ١١٧) : وقال أصبغ اخبرني ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قلت يا رسول اللَّه إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ، ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر » .

قال الحافظ رحمه الله في «تغليق التعليق» (ج ٤ ص: ٣٩٦):

قال أبو بكر الجوزقي في« الجمع بين الصحيحين»: أنا أبو حامد بن الشرقي ومكي بن عبدان قالا: ثنا محمد بن يحيى ثنا أصبغ بن الفرج بهذا. وزاد بعد قوله العنت فأذن لي أن أختصي.

ورواه الإسماعيلي، عن القاسم عن الرمادي عن أصبغ.

ورواه الفريابي في «كتاب القدر»، عن محمد بن إسحاق بن التنوخي عن أصبغ به.

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٠٤٠): حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير، (ح) وحدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خيثمة عن أبي الزبير، عن جابر قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم، قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم؛ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير» قال: ففيم العمل؟

قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه فسألت ما قال فقال: «اعملوا فكل ميسر».

حدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذا المعنى وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «كل عامل ميسر لعمله».

قال الإمام الترمذي رحمه الله (ج ٧ ص: ٤٠١): حدثنا الحسن بن عرفة أخبرنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني[1]، عن

(١) في «**الأصل**» الشيباني بالشين المعجمة، **والصواب**: ما أثبتناه بالسين المهملة وبعد الياء باء موحدة من أسفل.

عبد اللَّه بن الديلمي قال : سمعت عبد اللَّه بن عمرو يقول : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن اللَّه تبارك وتعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ، فلذلك أقول : جف القلم على علم اللَّه » .

هذا حديث حسن .

الحديث أخرجه ابن أبي عاصم رحمه اللَّه (ج ١ ص : ١٠٧) : حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود ثنا إسماعيل بن عياش به .

وقال الآجري في « الشريعة » (ص : ١٧٥) : وأخبرنا الفريابي ، قال : حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا إسماعيل بن عياش به . وإسماعيل روايته عن الشاميين مقبولة وشيخه شامي ، على أنه قد توبع ، قال ابن أبي عاصم (ج ١ ص : ١٠٧) : ثنا ابن مصفى ثنا ضمرة عن يحيى بن أبي عمرو السيباني[(١)] به .

وضمرة : هو ابن ربيعة الفلسطيني ترجمته في « **تهذيب التهذيب** » .

وهو حسن الحديث .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ١٩٧) : ثنا أبو المغيرة ثنا محمد بن مهاجر ، أخبرني عروة بن رويم ، عن ابن الديلمي الذي كان يسكن بيت المقدس قال : ثم سألته هل سمعت يا عبد اللَّه بن عمرو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يذكر شارب الخمر بشيء؟ قال : نعم سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا يشرب الخمر أحد من أمتي فيقبل

---

(١) في « **الترمذي** » و« **الشريعة** » للآجري : الشيباني بالشين المعجمة ، **والصواب** : بالسين المهملة كما أثبتناه .

اللَّه منه صلاة أربعين صباحًا » قال : وسمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن اللَّه خلق خلقه ثم جعلهم في ظلمة ثم أخذ من نوره ما شاء اللَّه فألقاه عليهم فأصاب النور من شاء أن يصيبه ، وأخطأ من شاء ، فمن أصابه النور يومئذ فقد اهتدى ، ومن أخطأ يومئذ فقد ضل ، فلذلك قلت : جف القلم بما هو كائن » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح إلا عروة بن رويم وقد وثقه ابن معين ، ودحيم ، والنسائي كما في « **تهذيب التهذيب** » .

وابن الديلمي : هو عبد اللَّه .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ١٧٦) : ثنا معاوية بن عمرو ثنا إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري ، ثنا الأوزاعي ، حدثني ربيعة بن يزيد ، عن عبد اللَّه بن الديلمي قال : دخلت على عبد اللَّه بن عمرو ، وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو مخَاصر فتى من قريش يُزَنُّ بشرب الخمر فقلت : بلغني عنك حديث أن من شرب شربة خمر لم يقبل اللَّه لو توبة أربعين صباحًا ، وأن الشقي من شقي في بطن أمه ، وأنه من أتى بيت المقدس لا ينهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه ، فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق ثم قال عبد اللَّه بن عمرو : إني لا أحل لأحد أن يقول عليّ ما لم أقل ، سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « من شرب من الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، فإن تاب تاب اللَّه عليه فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، فإن تاب تاب اللَّه عليه فإن عاد قال لا أدري في الثالثة أو في الرابعة فإن عاد كان حقًّا على اللَّه أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة » قال : وسمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن اللَّه عز وجل خلق خلقه في ظلمة

ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل ؛ فلذلك أقول : جف القلم على علم اللَّه عز وجل » .

وسمعته يقول : « إن سليمان بن داود عليه السلام سأل اللَّه ثلاثًا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون له الثالثة فسأله حكمًا يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون اللَّه قد أعطاه إياه » .

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عبد اللَّه بن فيروز الديلمي ، وقد وثقه يحيى بن معين كما في « **تهذيب التهذيب** » ، ولكن ربيعة بن يزيد لا يدرى أسمع من عبد اللَّه بن الديلمي ، أم لا ، فإنه ربما أدخل بينه وبين عبد اللَّه بن الديلمي أبا إدريس الخولاني كما في « **تحفة الأشراف** » و« **تهذيب التهذيب** » ، ولكن موضع الشاهد مروي من طرق عن عبد اللَّه بن عمرو والحمد للَّه .

* * *

رفعت الأقلام وجفت الصحف

قال الإمام الترمذي رحمه الله (ج ٧ ص : ٢١٩) : حدثنا أحمد بن محمد ابن موسى أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا الليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج.

قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا ليث بن سعد حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحد عن حنش الصنعاني عن ابن عباس قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يومًا فقال : « يا غلام إني أعلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ».

هذا حديث حسن صحيح.

● **قال أبو عبد الرحمن :**

قيس بن الحجاج لم أجد فيه توثيقًا معتبرًا إلا قول أبي حاتم : صالح، كما في « **الجرح والتعديل** » لابنه. وهذا لا يرفع الحديث إلى الحسن، لكنه قد جاء الحديث من طرق عن ابن عباس كما في « **جامع العلوم والحكم** » لابن رجب رحمه الله.

* * *

اللَّه أعلم بما كانوا عاملين

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٥ ص: ٧٣): ثنا عفان ثنا حماد يعني ابن سلمة أنا عمار يعني ابن أبي عمار عن ابن عباس، قال: أتى عليَّ زمان وأنا أقول: أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين، حتى حدثني فلان عن فلان أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سئل عنهم فقال: «اللَّه أعلم بما كانوا عاملين» قال: فلقيت الرجل فأخبرني فأمسكت عن قولي.

وقال أيضًا (ج ٥ ص: ٤١٠): ثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا خالد الحذاء عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: كنت أقول في أولاد المشركين: هم منهم. فحدثني رجل عن رجل من أصحاب محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فلقيته فحدثني عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «ربهم أعلم بهم وهو خلقهم وهو أعلم بهم وبما كانوا عاملين».

هذا حديث حسن على شرط مسلم.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٤٩٣): حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: سئل النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن أولاد المشركين فقال: «اللَّه أعلم بما كانوا عاملين».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٤٩).

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ١١ ص: ٤٩٣): حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرني عطاء بن يزيد أنه سمع أبا هريرة يقول: سئل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: عن ذراري المشركين؟ فقال: «اللَّه أعلم بما كانوا عاملين».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٤٩).

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٤٩٣): أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟». قالوا: يا رسول اللَّه أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «اللَّه أعلم بما كانوا عاملين».

الحديث أخرجه مسلم (ج٤ ص: ٢٠٤٨).

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ٢٤): ثنا علي بن عبد اللَّه ثنا معاذ ابن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع أن نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة. فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول؛ فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا».

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح .

ثم قال الإمام أحمد بعد هذا الحديث : ثنا علي ثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثل هذا غير أنه قال في آخره : « فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ، ومن لم يدخلها يسحب إليها » .

الحديث أخرجه البيهقي في « الاعتقاد » (ص : ١٦٩) .

ثم قال : هذا إسناد صحيح . ا.هـ .

وقد سقط من « مسند الإمام أحمد » رحمه الله : قتادة فهو مذكور بين هشام ابن أبي عبد اللَّه والحسن كما عند البيهقي ومذكور عند الإمام أحمد ، نقله ابن كثير في « **التفسير** » (ج ٣ ص : ٢٩) فالظاهر أنه سقط من « **المسند** » المطبوع واللَّه أعلم .

المشيئة

قال اللَّه سبحانه وتعالى :

﴿واللَّه يختص برحمته من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿واللَّه يضاعف لمن يشاء واللَّه واسع عليم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ليس عليك هداهم ولكن اللَّه يهدي من يشاء﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿للَّه ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللَّه فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء واللَّه على كل شيء قدير﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ .

وقال اللّٰه سبحانه وتعالى : ﴿قل إن الفضل بيد اللّٰه يؤتيه من يشاء واللّٰه واسع عليم * يختص برحمته من يشاء واللّٰه ذو الفضل العظيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقًا في الأرض أو سلمًا في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء اللّٰه لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللّٰه ولكن أكثرهم يجهلون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ .

وقال اللّٰه سبحانه وتعالى : ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء اللّٰه ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فللّٰه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾

وقال سبحانه وتعالى :

﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء اللَّه لهدى الناس جميعًا﴾ .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ألم تر أن اللَّه خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على اللَّه بعزيز﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه إن اللَّه كان عليمًا حكيمًا * يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه رب العالمين﴾ .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى :

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم فهدى اللَّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ اللَّه يضلله ومن يشأ اللَّه يجعله على صراط مستقيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين * ولو شاء اللَّه ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظًا وما أنت عليهم بوكيل﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل اللَّه من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿لقد أنزلنا آيات مبينات واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إن اللَّه يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * إن أنت إلا نذير﴾ .

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ولو شاء اللَّه لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿كلَّا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء اللَّه هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن حوار شعيب عليه السلام مع قومه :

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملتنا قال أو لو كنا كارهين * قد افترينا على اللَّه كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا اللَّه منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء اللَّه ربنا وسع ربنا كل شيء علمًا﴾ .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ٤٤٥) : حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إذا دعوتم اللَّه فاعزموا في الدعاء ولا يقول أحدكم إن شئت فأعطني فإن اللَّه لا مستكره له » .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري .

(ح) وحدثنا إسماعيل حدثني أخي عبد الحميد عن سليمان عن محمد ابن أبي عتيق عن ابن شهاب عن علي بن الحسين أن حسين بن علي عليهما السلام أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ليلة فقال لهم : « ألا تصلون ؟ » قال علي : فقلت : يا رسول اللَّه إنما أنفسنا بيد اللَّه فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئًا ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول : ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا ﴾ .

حدثنا محمد بن سنان ، حدثنا فليح حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفيء ورقه من حيث أتتها الريح تكفئها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها اللَّه إذا شاء » .

حدثنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني سالم بن عبد اللَّه أن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو قائم على المنبر يقول : « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين ، قال أهل التوراة : ربنا هؤلاء أقل عملًا وأكثر أجرًا ، قال : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا فقال : فذلك فضلي أوتيه من أشاء » .

حدثنا عبد اللَّه المسندي، حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة بن الصامت قال: بايعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في رهط فقال: «أبايعكم على أن لا تشركوا باللَّه شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على اللَّه ومن أصاب من ذلك شيئًا فأخذ به في الدنيا فهو له كفارة وطهور، ومن ستره اللَّه فذلك إلى اللَّه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له».

حدثنا معلى بن أسد، ثنا وهيب عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة أن نبي اللَّه سليمان عليه الصلاة والسلام كان له ستون امرأة فقال: «لأطوفن الليلة على نسائي فلتحملن كل امرأة ولتلدن فارسًا يقاتل في سبيل اللَّه فطاف على نسائه فما ولدت منهن إلا امرأة ولدت شق غلام» قال نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لو كان سليمان استثنى لحملت كل امرأة منهن فولدت فارسًا يقاتل في سبيل اللَّه».

حدثنا محمد، حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم دخل على أعرابي يعوده فقال: «لا بأس عليك طهور إن شاء اللَّه» قال: قال الأعرابي طهور؟ بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «فنعم إذًا».

حدثنا ابن سلام، أخبرنا هشيم، عن حصين، عن عبد اللَّه بن أبي قتادة، عن أبيه حين ناموا عن الصلاة قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن اللَّه قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء» فقضوا حوائجهم وتوضئوا إلى أن طلعت الشمس وابيضت فقام فصلى.

حدثنا يحيى بن قزعة ، حدثنا إبراهيم عن ابن شهاب عن أبي سلمة والأعرج .

وحدثنا إسماعيل ، حدثني أخي ، عن سليمان ، عن محمد بن أبي عتيق ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم : والذي اصطفى محمدًا على العالمين في قسم يقسم به ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي فذهب اليهودي إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم فقال النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى اللّٰه » .

حدثنا إسحاق بن أبي عيسى ، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء اللّٰه » .

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « لكل نبي دعوة فأريد إن شاء اللّٰه أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

حدثنا يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي ، حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « بينا أنا نائم رأيتني على قليب فنزعت ما شاء اللّٰه أن أنزع ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف واللّٰه

يغفر له ثم أخذها عمر فاستحالت غربًا فلم أر عبقريًا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس حوله بعطن » .

حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة عن بريد ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذا أتاه السائل وربما قال : جاء السائل أو صاحب الحاجة قال : « اشفعوا فلتؤجروا ويقضي اللَّه على لسان رسوله ما شاء » .

حدثني يحيى ، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له » .

حدثني عبد اللَّه بن محمد ، حدثنا أبو حفص عمرو حدثنا الأوزاعي حدثني ابن شهاب عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ؛ أهو خضر فمر بهما أبي بن كعب الأنصاري فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه هل سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يذكر شأنه ؟ قال : نعم إني سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « بينا موسى في ملأ بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال هل تعلم أحدًا أعلم منك ؟ فقال موسى : لا فأوحي إلى موسى بل عبدنا خضر ، فسأل موسى السبيل إلى لقيه فجعل اللَّه له الحوت آية وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر فقال فتى موسى لموسى : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره قال موسى : ذلك ما كنا نبغي فارتدا على

آثارهما قصصًا فوجدا خضرًا وكان من شأنهما ما قص اللَّه».

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري.

وقال أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «ننزل غدًا إن شاء اللَّه بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يريد المحصب».

حدثنا عبد اللَّه بن محمد، حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن أبي العباس عن عبد اللَّه بن عمر قال: حاصر النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أهل الطائف فلم يفتحها فقال: «إنا قافلون إن شاء اللَّه»، فقال المسلمون: نقفل ولم نفتح قال: فاغدوا على القتال فغدوا فأصابتهم جراحات قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إنا قافلون غدًا إن شاء اللَّه» فكأن ذلك أعجبهم فتبسم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٤٤٤): حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد وعطاء بن يزيد أن أبا هريرة أخبرهما عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

وحدثني محمود، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة قال: قال أناس: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول اللَّه. قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول اللَّه. قال: «فإنكم ترونه[١] يوم القيامة كذلك يجمع اللَّه

---

(١) نؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وعلى رغم أنوف المبتدعة.

الناس فيقول : من كان يعبد شيئًا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم اللَّه في غير الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ باللَّه منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم في الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم » قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلّم سلّم وبه كلاليب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان ؟ » قالوا : بلى يا رسول اللَّه قال : « فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه فتخطف الناس بأعمالهم ؛ منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ، ثم ينجو حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا اللَّه أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرم اللَّه على النار أن تأكل من بني آدم أثر السجود ، فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبّة في حميل السيل ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول : يا رب قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فاصرف وجهي عن النار فلا يزال يدعو اللَّه فيقول : لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره فيصرف وجهه عن النار ، ثم يقول بعد ذلك : يا رب قربني إلى باب الجنة فيقول : أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فلا يزال يدعو فيقول : لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره ؟ فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره فيعطي اللَّه ما شاء من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة ، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء اللَّه أن يسكت ثم يقول : رب أدخلني الجنة ، ثم يقول : أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك

فيقول : يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها فإذا دخل فيها قيل : تمن من كذا فيتمنى ثم يقال له : تمن من كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأماني فيقول له هذا لك ومثله معه » .

قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولًا .

قال عطاء وأبو سعيد جالس مع أبي هريرة لا يغير عليه شيئًا من حديثه ، حتى انتهى إلى قوله : هذا لك ، ومثله معه . قال أبو سعيد : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « هذا لك وعشرة أمثاله معه » .

قال أبو هريرة : حفظت مثله معه .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ٣٩٢) : حدثني معاذ بن فضالة حدثنا هشام عن قتادة عن أنس أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « يجمع اللَّه المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك اللَّه بيده ، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول : لست هناك ويذكر لهم خطيئته التي أصاب ، ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه اللَّه إلى أهل الأرض فيأتون نوحًا فيقول : لست هناك ويذكر لهم خطيئته التي أصاب ، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم ويذكر لهم خطاياه التي أصابها ، ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه اللَّه التوراة وكلمه تكليمًا فيأتون موسى فيقول : لست هناكم ويذكر لهم خطيئته التي أصابها ، ولكن ائتوا عيسى عبد اللَّه ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عبدًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه فإذا رأيت ربي وقعت له

ساجدًا فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني ثم يقال: ارفع محمد، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع فأحمد بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني ثم يقال: ارفع محمد، قل يستمع، وسل تعطه، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود» فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة».

قال البخاري رحمه اللَّه (ج١٣ ص: ٦٠): حدثنا عبد اللَّه بن عثمان أخبرنا عبد اللَّه أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني حمزة بن عبد اللَّه بن عمر أنه سمع ابن عمر رضي اللَّه عنهما يقول: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إذا أنزل اللَّه بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم».

الحديث أخرجه مسلم (ج٤ ص: ٢٢٠٦) فقال: وحدثني حرملة بن يحيى التُّجِيبي أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس به. وعنده: «إذا أراد اللَّه بقوم عذابًا ...» **إلى آخر الحديث**.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج٨ ص: ٥٩٥): حدثنا عبد اللَّه بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه

قال : قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « تحاجت الجنة والنار فقالت النار للجنة : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ، قال اللَّه تبارك وتعالى : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم اللَّه عز وجل من خلقه أحدًا ، وأما الجنة فإن اللَّه عز وجل ينشئ لها خلقًا » .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٦٦٩) : حدثنا يحيى بن يحيى التميمي ، ويحيى بن أيوب ، وقتيبة بن سعيد قال يحيى بن يحيى أخبرنا ، وقال الآخران حدثنا إسماعيل بن جعفر عن شريك ، وهو ابن أبي نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن عائشة أنها قالت : كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كلما كان ليلتها من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » . ولم يقم قتيبة قوله : وأتاكم .

وحدثني هارون بن سعيد الأيلي ، حدثنا عبد اللَّه بن وهب ، أخبرنا ابن جريج ، عن عبد اللَّه بن كثير بن المطلب أنه سمع محمد بن قيس يقول : سمعت عائشة تحدث فقالت : ألا أحدثكم عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وعني ؟ قلنا : بلى .

(ح) وحدثني من سمع حجاجًا الأعور واللفظ له قال حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني عبد اللَّه : رجل من قريش ، عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال يومًا : ألا أحدثكم عني وعن أمي ؟ قال :

فظننا أنه يريد أمه التي ولدته قال : قالت عائشة : ألا أحدثكم عني وعن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم؟ قلنا : بلى . قال : قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويدًا وانتعل رويدًا وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويدًا ، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام . ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقته فدخلت . فليس إلا أن اضطجعت فدخل ، فقال : « ما لك يا عائش؟ حَشْيَا رابية » قالت : قلت : لا شيء ، وقال : « لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير » قالت : قلت : يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي فأخبرته ، قال : « فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ » قلت : نعم ، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ثم قال : « أظننت أن يحيف اللَّه عليك ورسوله؟ » قالت : مهما يكتم الناس يعلمه اللَّه؟ نعم ، قال : « فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني . فأخفاه منك . فأجبته فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت ، فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم » قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول اللَّه؟ قال : « قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللَّه المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون » . فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول اللَّه؟ فقال : « أرأيت لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ » قالوا : بلى يا رسول اللَّه قال : فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ألا

ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا » .

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعني الدراوردي .

(ح) وحدثني إسحاق بن موسى الأنصاري حدثنا معن حدثنا مالك جميعًا عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خرج إلى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون » بمثل حديث إسماعيل بن جعفر غير أن حديث مالك : « فليذادن رجال من حوضي » .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص : ٦١٩) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس .

(ح) وحدثني محمد ، حدثنا عفان بن مسلم ، عن وهيب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال وهو في قبة يوم بدر : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم » فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول اللَّه ألححت على ربك وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ .

ومحمد شيخ البخاري في السند الثاني هو : الذهلي ، قاله الحافظ في « الفتح » .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٥١٣) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا داود بن أبي الفرات ، حدثنا عبد اللَّه بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ، عن عائشة رضي اللَّه عنها زوج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قالت :

سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن الطاعون فأخبرني أنه عذاب يبعثه اللَّه على من يشاء، وأن اللَّه جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلدة صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللَّه له إلا كان له مثل أجر شهيد.

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ٢٢٠٢): حدثني إسحاق بن عمر بن سليط الهذلي، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: قال أنس: كنت مع عمر.

(ح) وحدثنا شيبان بن فروخ واللفظ له حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن أنس بن مالك قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال، وكنت رجلًا حديد البصر فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيري قال: فجعلت أقول لعمر: أما تراه، فجعل لا يراه قال: يقول عمر سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «هذا مصرع فلان غدًا إن شاء اللَّه»، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حتى انتهى إليهم فقال: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم اللَّه ورسوله حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني اللَّه حقًّا» قال عمر: يا رسول اللَّه كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئًا».

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ١٩٤٢): حدثني هارون بن عبد اللَّه حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع

جابر بن عبد اللَّه يقول : أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول عند حفصة : « لا يدخل النار إن شاء اللَّه من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها » قالت : بلى يا رسول اللَّه فانتهرها فقالت حفصة : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « قد قال اللَّه عز وجل : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًّا ﴾ » .

قال الإمام البيهقي رحمه اللَّه في « الأسماء والصفات » (ص : ١٩٦) : أخبرنا أبو القاسم الحربي ببغداد ثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن أبي عثمان النيسابوري ، ثنا محمد بن المسيب الأرغياني ، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، ثنا أبو أسامة ، ثنا بريد بن عبد اللَّه ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إن اللَّه تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفًا وفرطًا ، وإذا أراد هلاك أمة عذبها ونبيها حي فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره » .

أخرجه مسلم في « الصحيح » فقال حدثت عن أبي أسامة رضي اللَّه عنه .

هذا حديث صحيح ، أبو القاسم الحربي هو عبد الرحمن بن عبيد اللَّه قال الخطيب في « **التاريخ** » (ج ١٠ ص : ٣٠٣) : كتبنا عنه وكان صدوقًا غير أن سماعه في بعض ما يرويه عن النجاد كان مضطربًا ا.هـ. **المراد منه** .

وأحمد بن محمد بن أبي عثمان ترجمه الذهبي في « **تذكرة الحفاظ** » (ج ٣ ص : ٩٢٠) ووصفه بأنه حافظ إمام . **ومحمد** بن المسيب ترجمه الذهبي في « **السير** » (ج ١٤ ص : ٤٢٢) ، **ووصفه** : بالحافظ شيخ الإسلام العابد .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٤٧٧) : ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن كرز بن علقمة الخزاعي قال : قال رجل : يا رسول اللَّه هل للإسلام

من منتهى؟ قال: «أيما أهل بيت» وقال في موضع آخر: «قال نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد اللَّه بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام» قال: ثم مه؟ قال: «ثم تقع الفتن كأنها الظلل» قال: كلا واللَّه إن شاء اللَّه قال: «بلى، والذي نفسي بيده ثم تعودون فيها أساود صبًا يضرب بعضكم رقاب بعض». وقرأ على سفيان قال الزهري أساود صبًا قال سفيان: الحية السوداء تنصب أي ترتفع.

هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، **وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاها**. وقد تابع الزهري عبد الواحد بن قيس وعبد الواحد ضعيف إلا أن ابن عدي ذكر أن رواية الأوزاعي عنه مستقيمة كما في «**تهذيب التهذيب**».

قلت: وهذا منه كما في «**المسند**» (ج٣ ص: ٤٧٧).

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج٥ ص: ٧٢): ثنا بهز وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن طفيل ابن سخبرة أخي عائشة لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرا ابن اللَّه، فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء اللَّه وشاء محمد، ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن اللَّه، قالوا: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد، فلما أصبح أخبر بها من أخبر ثم أتى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأخبره فقال: «هل أخبرت بها أحدًا؟» قال عفان: قال: نعم فلما وصلوا خطبهم فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: «إن طفيلًا رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم

وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها » قال : « لا تقولوا : ما شاء اللَّه وما شاء محمد » .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٣٧١) : ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا يحيى[1] المسعودي قال حدثني معبد بن خالد ، عن عبد اللَّه بن يسار ، عن قتيلة بنت صيفي الجهينية قالت : أتى حبر من الأحبار رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ، قال : « سبحان اللَّه وما ذاك ؟ » قال : تقولون : إذا حلفتم والكعبة قالت : فأمهل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ثم قال : إنه قد قال : « فمن حلف فليحلف برب الكعبة » قال : يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون للَّه ندًّا ، قال : « سبحان اللَّه وما ذاك ؟ » قال : تقولون : ما شاء اللَّه وشئت قال فأمهل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم شيئًا ثم قال إنه قد قال : « فمن قال ما شاء اللَّه فليفصل بينهما ثم شئت » .

وقال النسائي رحمه اللَّه (ج ٧ ص : ٦) : أخبرنا يوسف بن عيسى قال حدثنا الفضل بن موسى ، قال حدثنا مسعر عن معبد بن خالد ، عن عبد اللَّه ابن يسار ، وعن قتيلة امرأة من جهينة أن يهوديًّا أتى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء اللَّه وشئت ، وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ، ويقولوا ما شاء اللَّه ثم شئت .

هذا حديث صحيح .

---

(١) **يحيى مزيدة في السند ، والصواب** : يحيى بن سعيد ثنا المسعودي كما في « تحفة الأشراف » و« **تهذيب الكمال** » ترجمة معبد بن خالد . والمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد اللَّه ، وهو مختلط ولكنه متابع كما تراه عند النسائي .

قال البخاري رحمه اللَّه تعالى (ج ٨ ص: ٥٩٥): حدثنا عبد اللَّه بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «تحاجت الجنة والنار. فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال اللَّه تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللَّه عز وجل من خلقه أحدًا وأما الجنة فإن اللَّه عز وجل ينشئ لها خلقًا».

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢١٨٦).

الهدى والضلال من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل اللَّه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء﴾.

وقال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل اللَّه الرجس على الذين لا يؤمنون﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وعلى اللَّه قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى اللَّه ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا

في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًّا مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظامًا ورفاتًا أإنا لمبعوثون خلقًا جديدًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وكفى بربك هاديًا ونصيرًا﴾ .

قال إبراهيم عليه السلام في صفة الله كما حكاه الله عنه :

﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا فإن اللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن اللَّه عليم بما يصنعون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم اللَّه وأولئك هم أولواْ الألباب ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّه نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر اللَّه ذلك هدى اللَّه يهدي به من يشاء ومن يضلل اللَّه فما له من هاد ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله اللَّه على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد اللَّه أفلا تذكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا * إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ .

قال الإمام الطبري رحمه اللَّه (ج ٣٠ ص: ١٩٩) : حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللَّه ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال : الخير والشر .

وقال ابن جرير رحمه الله (ص: ٢٠٠): حدثنا ابن المثنى قال ثنا هشام بن عبد الملك، قال: ثنا شعبة قال: أخبرني عاصم قال: سمعت أبا وائل يقول: كان عبد الله يقول في ﴿**وهديناه النجدين**﴾ قال: نجد الخير ونجد الشر.

هذا الأثر حسن، ولا يضر الاختلاف فيه على عاصم بن أبي النجود إذ شيخاه كلاهما ثقة فالأثر كيفما دار دار على ثقة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فريقًا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾.

وقال سبحانه وتعالى في ذكر المنافقين: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾.

* * *

إقرار أهل النار أن الهداية بيد اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى فيما أخبر به عن أهل النار:

﴿ وبرزوا للَّه جميعًا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب اللَّه من شيء قالوا لو هدانا اللَّه لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص: ٥٠٦): حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فوجد عنده أبا جهل، وعبد اللَّه بن أمية بن المغيرة فقال: «أي عم قل لا إله إلا اللَّه كلمة أحاج لك بها عند اللَّه» فقال أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا اللَّه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل اللَّه: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ وأنزل اللَّه في أبي طالب فقال لرسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللَّه يهدي من يشاء ﴾.

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص: ٥٤).

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ١ ص: ٥٥): حدثنا محمد بن عباد وابن أبي عمر قالا: حدثنا مروان عن يزيد وهو ابن كيسان، عن أبي حازم، عن

أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لعمه عند الموت : « قل لا إله إلا اللَّه ، أشهد لك بها يوم القيامة » فأبى . فأنزل اللَّه : ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ **الآية** .

حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم الأشجعي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لعمه : « قل لا إله إلا اللَّه ، أشهد لك بها يوم القيامة » قال : لولا أن تعيرني قريش . يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل اللَّه : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللَّه يهدي من يشاء﴾ .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص : ٥٩٣) : وحدثنا إسحاق بن إبراهيم ، ومحمد بن المثنى كلاهما عن عبد الأعلى ، قال ابن المثنى : حدثني عبد الأعلى ، وهو أبو همام ، حدثنا داود عن عمرو بن سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن ضمادًا قدم مكة ، وكان من أزد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمدًا مجنون فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل اللَّه يشفيه على يدي قال : فلقيه فقال : يا محمد إني أرقي من هذه الريح وإن اللَّه يشفي على يدي من شاء ، فهل لك ؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله » . أما بعد : قال : فقال : أعد عليّ كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، ثلاث مرات قال : فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر قال : فقال : هات يدك أبايعك على الإسلام فقال رسول اللَّه

صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «وعلى قومك؟» قال: وعلى قومي، قال: فبعث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سرية فمروا بقومه فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة فقال: ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٥١٥): حدثنا أبو النعمان، أخبرنا جرير، هو ابن حازم، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: رأيت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يوم الخندق ينقل التراب معنا وهو يقول:

واللَّه لولا اللَّه ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

قال الإمام أبو داود رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ١٥٣): حدثنا محمد بن كثير، أنبأنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد اللَّه بن مسعود في خطبة الحاجة في النكاح وغيره.

(ح) وحدثنا محمد بن سليمان الأنباري المعنى أخبرنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص وأبي عبيدة، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: علمنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خطبة الحاجة: «إن الحمد للَّه نستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا. من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: ﴿يا أيها الذين[١] آمنوا اتقوا اللَّه الذي تساءلون به والأرحام إن اللَّه كان عليكم رقيبًا﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه حق تقاته

(١) كذا في رواية الحديث عند أبي داود. وفي المصحف: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾. وقال الطيبي: لعلها قراءة ابن مسعود.

ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وقولوا قولًا سديدًا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع اللَّه ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾ » لم يقل محمد بن سليمان (إن) [1] .

هذا حديث صحيح ، أبو عبيدة لم يسمع من أبيه لكنه مقرون بعوف بن مالك أبي الأحوص ، **فصح الحديث والحمد للَّه** .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ١٩٩٤) : حدثنا عبد اللَّه ابن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي ، حدثنا مروان يعني ابن محمد ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فيما روى عن اللَّه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد اللَّه ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

---

(١) وذلك في قوله : إن الحمد للَّه .

قال سعيد : كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه .

حدثنيه أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بهذا الإسناد غير أن مروان أتمهما حديثًا .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٢ ص : ٥٨٦) : حدثنا أبو كريب وواصل بن عبد الأعلى ، قالا : حدثنا ابن فضيل عن أبي مالك الأشجعي ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، وعن ربعي بن حراش ، عن حذيفة قالا : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « أضل اللّٰه عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء اللّٰه بنا فهدانا ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق » . وفي رواية واصل : « المقضي بينهم » .

حدثنا أبو كريب ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن سعد بن طارق ، حدثني ربعي ابن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « هدينا إلى الجمعة وأضل اللّٰه عنها من كان قبلنا » فذكر بمعنى حديث ابن فضيل .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص : ٥٩٣) : وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن جابر قال : كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يخطب الناس يحمد اللّٰه ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول : « من يهد اللّٰه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وخير الحديث كتاب اللّٰه » ثم ساق الحديث بمثل حديث الثقفي .

يعني الإمام مسلم رحمه اللّٰه الحديث المتقدم في « صحيحه » قبل هذا الحديث .

فصل

ومن هذا الباب :

هداية الله سبحانه وتعالى للحيوان قال الله سبحانه وتعالى :

﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن الحوار بين موسى عليه السلام وبين فرعون :

﴿قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللًا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد :

﴿وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون *

ألَّا يسجدوا للَّه الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * اللَّه لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم اللَّه الرحمن الرحيم * ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين * وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون * حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكًا من قولها﴾ **الآية**.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ولقد آتينا داود منا فضلًا يا جبال أوبي معه والطير وألنّا له الحديد﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿أو لم يروا إلى ما خلق اللَّه من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا للَّه وهم داخرون * وللَّه يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ألم تر أن اللَّه يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن اللَّه فما له من مكرم إن اللَّه يفعل ما يشاء﴾.

قال البخاري رحمه الله (ج ١٠ ص: ٤٣١): حدثنا الحكم بن نافع البهراني، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرنا سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه».

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢١٠٨) **والدارمي** (ج ٢ ص: ٢٢٩).

وقال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ٢١٠٨): حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبي حدثنا عبد الملك، عن عطاء، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

عبد الملك هو ابن أبي سليمان وعطاء هو ابن أبي رباح.

قال البخاري رحمه الله (ج ٤ ص: ٣٢٠): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا عبيد الله، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في غزاة فأبطأني جملي وأعيا فأتى علي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «جابر؟» قلت: نعم. قال: ما شأنك؟ قلت: أبطأ علي جملي وأعيا فتخلفت فنزل يحجنه بمحجنه ثم قال: «اركب» فركبته فلقد رأيته أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «تزوجت؟» قلت: نعم. قال: «بكرًا أم ثيبًا؟» قلت: بل ثيبًا؟ قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟» قلت: إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن.

قال: «أما إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس». ثم قال: «أتبيع جملك؟» قلت: نعم. فاشتراه مني بأوقية ثم قدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قبلي وقدمت بالغداة فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد قال: «الآن قدمت؟» قلت: نعم. قال: «فدع جملك فادخل فصل ركعتين». فدخلت فصليت فأمر بلالًا أن يزن لي أوقية، فوزن له بلال فأرجح في الميزان. فانطلقت حتى وليت فقال: «ادعوا لي جابرًا». فقلت: الآن يرد علي الجمل ولم يكن شيء أبغض إليّ منه. قال: «خذ جملك ولك ثمنه».

أخرجه مسلم (ج٢ ص: ١٠٨٩)، **وأخرجه أيضًا** (ج٢ ص: ١٢٢١) من حديث الشعبي، عن جابر وفيه: أن جابرًا قال للنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: قد أصابته بركتك.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج٥ ص: ٣٢٩): حدثني عبد اللَّه بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قال: أخبرني الزهري، قال: أخبرني عروة ابن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان - يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه - قالا: خرج رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين» فواللَّه ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش وسار النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال للناس: حل حل. فألحت فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». **وذكر الحديث**.

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص: ١٨): حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أن أبا هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث». فقال للناس: سبحان اللَّه قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي اللَّه عنهما».

قال الإمام أبو حاتم محمد بن حبان رحمه اللَّه كما في «الموارد» (ص: ٥١٩): أنبأنا أبو يعلى، حدثنا هدبة بن خالد القيسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، حدثنا الجريري، حدثنا أبو نضرة، حدثنا أبو سعيد الخدري قال: بينا راع يرعى بالحرة إذ عرض ذئب لشاة فجاء الراعي يسعى فانتزعها منه فقال للراعي: ألا تتقي اللَّه؟ تحول بيني وبين رزق ساقه اللَّه إليّ. قال الراعي: العجب لذئب يتكلم والذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس فقال الذئب للراعي: ألا أحدثك بأعجب من هذا؟ هذا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فساق الراعي شاءه إلى المدينة فزواها في زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال له ما قال الذئب فخرج رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال للراعي: «فأخبر الناس ما قال الذئب»، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «صدق الراعي ألا إن من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ويكلم الرجل نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بحدث أهله بعده».

هذا حديث صحيح .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص: ٢٠٤) : حدثنا بهز وعفان ، قالا : حدثنا مهدي ، ثنا محمد بن أبي يعقوب ، عن الحسن بن سعد مولى الحسن ابن علي ، عن عبد الله بن جعفر قال : أردفني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثًا لا أخبر به أبدًا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل ، فدخل يومًا حائطًا من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه قال بهز وعفان : فلما رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حن وذرفت عيناه فمسح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سراته وذفراه ، فسكن ، فقال : « من صاحب الجمل ؟ » فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لي يا رسول الله فقال : « أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله ؛ إنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص: ٢٠٥) : ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، قال : سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله ابن جعفر قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بغلته وأردفني خلفه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا تبرز كان أحب ما تبرز فيه هدف يستتر به أو حائش نخل ، فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا فيه ناضح له ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حن وذرفت عيناه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمسح ذفراه وسراته فسكن فقال : « من رب هذا الجمل ؟ » ، فجاء شاب من الأنصار فقال : أنا فقال : « ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكاك إليّ ، وزعم أنك تجيعه وتدئبه » ، ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم في الحائط فقضى حاجته ، ثم توضأ ثم جاء والماء يقطر من لحيته على صدره فأسر إليّ شيئًا لا أحدث به أحدًا فحرجنا عليه أن يحدثنا ، فقال : لا أفشي على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سره حتى ألقى اللَّه .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم وقد أخرج بعضه (ج ١ ص : ٢٦٩) .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ١٥٨) : ثنا خلف بن خليفة ، عن حفص ، عن عمه أنس بن مالك ، قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لأصحابه : « قوموا » ، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم نحوه فقالت الأنصار : يا نبي اللَّه إنه قد صار مثل الكَلْبِ الكَلِب وإنا نخاف عليك صولته ، فقال : « ليس علي منه بأس » ، فلما نظر الجمل إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدًا بين يديه ، فأخذ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول اللَّه هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال : « لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنجس بالقيح ، والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه » .

قال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (ج ٦ ص : ١٥٥) : **وهذا إسناد جيد .**

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص : ٢٠٩) : ثنا وكيع عن يونس يعني ابن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : « كان لآل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحش فكان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، اشتد ولعب في البيت فإذا دخل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سكن ، فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه .

هذا حديث حسن .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص : ٣٥٠) : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ثور قال حدثني راشد بن سعد ، عن عبد الله بن نحى ، عن عبد الله بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أعظم الأيام عند الله يوم النحر ، ثم يوم النفر » ، وقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خمس بدنات أو ست ينحرهن فطفقن يزدلفن إليه أيتهن يبدأ بها فلما وجبت جنوبها قال كلمة خفية لم أفهمها فسألت بعض من يليني ما قال : قالوا قال : « من شاء اقتطع » .

هذا حديث حسن ، وثور ، هو ابن يزيد .

الحديث أخرجه أبو داود (ج ٥ ص : ١٨٤) .

لا يخفى أن هداية الحيوان أمر واسع ، وقد ذكر الحافظ ابن القيم رحمه الله في « **شفاء العليل** » الكثير الطيب ، ولكني أحببت أن أقتصر على ما ورد في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وليس معناه أنني أنفي ما لم يرد في الكتاب والسنة ، ولكني أقول إن بعضه بالظن والتخمين . والله أعلم .

* * *

إخبار اللَّه عن عدم إيمان بعض الكفار لأنه قد سبق في علم اللَّه أنهم لا يؤمنون

قال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.

وقال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع اللَّه على قلوب الكافرين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللَّه ولكن أكثرهم يجهلون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾.

وضمير الغائب في ﴿سلكناه﴾ **يعود إلى القرآن.**

وقال سبحانه وتعالى:

﴿يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم * لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم

لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ .

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلًا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ .

اللَّه هو الذي يفتن وهو الذي يهدي

قال اللَّه سبحانه وتعالى :

﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم ﴾ .

ومعنى قوله : ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين ﴾ : ما أنتم عليه بمضلين أي لا يستطيعون إضلال أحد إلا من أراد اللَّه إضلاله .

قال ابن جرير رحمه الله (ج ٢٣ ص : ١٠٩) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن خالد ، قال : قلت للحسن قوله : ﴿ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم﴾ قال ما أنتم عليه بمضلين إلا من كان في علم الله أنه سيصلى الجحيم .

وقال الله سبحانه وتعالى :

﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًّا﴾ .

وفي «**الموطأ**» (ج ٣ ص : ٩٣) عن زياد بن سعد عن عمرو بن دينار أنه قال : سمعت عبد الله بن الزبير يقول في خطبته : إن الله هو الهادي والفاتن .

هذا الأثر صحيح .

باب ما جاء أن الله يغوي من أراد غوايته

قال الله سبحانه حاكيًا لخطاب نوح عليه السلام لقومه :

﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾ .

* * *

السعادة والشقاوة من اللّه

قال اللّه سبحانه وتعالى :

﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى ﴾ .

وقال اللّه سبحانه وتعالى

﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضآلين ﴾ .

والشقوة وإن أضيفت إليهم فهي مقدرة من اللّه وإنما أضيفت إليهم لكونهم العاملين لها بقدرة اللّه .

وقال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ .

وقال البخاري رحمه اللّه (ج ١١ ص : ٤٧٧) : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبدالملك حدثنا شعبة أنبأني الأعمش قال : سمعت زيد بن وهب ، عن عبداللّه قال : حدثنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اللّه ملكًا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي ، أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح فواللّه إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب

فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

قال آدم : إلا ذراع .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٣٦) .

قال البخاري رحمه الله (ج ٨ ص : ٧٠٩) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي رضي اللّٰه عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « ما منكم من أحد وما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » . قال رجل : يا رسول اللّٰه أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة . قال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى ﴾ **الآية** .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٣٩) .

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ١١ ص : ٤٧٧) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد ، عن عبيد اللّٰه بن أبي بكر بن أنس ، عن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال : « وكل اللّٰه بالرحم ملكًا فيقول : أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد اللّٰه أن

يقضي خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثى ، أشقي أم سعيد ، فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٣٨).

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص: ٤٤١): ثنا هيثم قال عبد الله: وسمعته أنا من هيثم ، قال : أنا أبو الربيع ، عن يونس ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء قالوا : يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم أمر نستأنفه؟ قال : «بل أمر قد فرغ منه» قالوا : فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قل : «كل امرئ مهيئ لما خلق له».

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات ، هيثم هو ابن خارجة ، وأبو الربيع هو سليمان بن عتبة السلمي ، ويونس هو ابن ميسرة.

قال أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في «السنة» (ج ١ ص: ٨١) ثنا أبو مسعود الجحدري ، ثنا الفضيل بن سليمان ، عن عمرو بن سعيد ، حدثني الزهري أن ابن أبي هنيدة حدثه ، أن عبد الله بن عمر أخبره ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : «يقبض ملك الأرحام الرحم معترضًا فيقول : أي رب ذكر أم أنثى ، فيقضي الله تعالى في ذلك أمره بما شاء ثم يقول : أي رب أشقي أم سعيد؟ فيوحي الله في ذلك ، أمره». ثنا ابن كاسب ، ثنا عبيد الله بن معاذ ، ثنا معمر عن الزهري ، عن ابن هنيدة ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : «إذا خلق الله تعالى النسمة قال ملك الأرحام معترضًا : أي رب أذكر أم أنثى ، فيقضي الله في ذلك أمره ويقول الملك : أشقي أم سعيد؟ فيقضي في ذلك أمره». ثنا ابن أبي عمر ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ومعمر ، عن الزهري ، عن ابن هنيدة

سمعت ابن عمر نحوه، ثنا سلمة ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن ابن هنيدة، عن ابن عمر نحوه.

الحديث: يدور على ابن هنيدة وهو عبد الرحمن بن هنيدة ويقال: ابن أبي هنيدة وثقه أبو داود، وأبو زرعة كما في «**تهذيب التهذيب**».

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص: ١٠٧): ثنا سريج وعفان، ثنا حماد ابن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل النار، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل الجنة فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة فمات فدخلها».

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص: ١٠٨): ثنا سريج ثنا ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: يا ابن أختي قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والذي نفسي بيده إن الرجل ليعمل الزمان بعمل أهل النار، وإنه عند الله عز وجل لمكتوب من أهل الجنة، وإن الرجل ليعمل الزمان بعمل أهل الجنة، وإنه عند الله عز وجل لمكتوب من أهل النار».

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ١١ ص: ٤٩١): حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرشك قال: سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة، من أهل النار؟ قال: «نعم»، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «كل يعمل لما خلق له - أو - لما يسر له».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٤١) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص : ١٧٦) : ثنا عبد الصمد ، ثنا حماد يعني ابن سلمة ، ثنا الجريري ، عن أبي نضرة أن رجلًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعودونه ، وهو يبكي فقالوا له : ما يبكيك ، ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « خذ من شاربك ، ثم أقره حتى تلقاني » ، قال : بلى ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله عز وجل قبض بيمينه قبضة ، وأخرى باليد الأخرى ، وقال : هذه لهذه ، وهذه لهذه ولا أبالي » فلا أدري في أي القبضتين أنا .

حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، قال أخبرنا سعيد الجريري ، عن أبي نضرة قال : مرض رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدخل عليه أصحابه يعودونه ، فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا عبد الله ، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني » ؟ قال : بلى ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله عز وجل قبض قبضة بيمينه وقال هذه لهذه ، ولا أبالي ، وقبض قبضة أخرى بيده فقال هذه لهذه ، ولا أبالي » فلا أدري في أي القبضتين أنا .

هذا حديث صحيح ، وسعيد بن إياس الجريري ، وإن اختلط في آخره فإن حماد بن سلمة سمع منه قبل الاختلاط كما في « **الكواكب النيرات** » .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٠٥٠) : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن فضيل بن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ،

عن عائشة ام المؤمنين قالت : توفي صبي فقلت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة ، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « أو لا تدرين أن اللّٰه خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا » .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع ، عن طلحة بن يحيى ، عن عمته عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول اللّٰه طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ، ولم يدركه قال : « أو غير ذلك يا عائشة إن اللّٰه خلق للجنة أهلًا ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم » .

حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن زكرياء ، عن طلحة بن يحيى .

(ح) وحدثني سليمان بن معبد ، حدثنا الحسين بن حفص .

(ح) وحدثني إسحاق بن منصور ، أخبرنا محمد بن يوسف كلاهما ، عن سفيان الثوري ، عن طلحة بن يحيى بإسناد وكيع نحو حديثه .

قال الإمام مسلم رحمه اللّٰه (ج ٤ ص : ٢٠٣٧) : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه ابن نمير ، وزهير بن حرب ، واللفظ لابن نمير قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال : « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول : يا رب أشقي أو سعيد ؟ فيكتبان فيقول : أي رب أذكر أو أنثى ؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ، ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٠٤٢): حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز، يعني: ابن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار. وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة».

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص: ٤٤١): ثنا هيثم، قال عبد الله، وسمعته أنا منه، قال ثنا أبو الربيع، عن يونس، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء، كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء، كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي».

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات. الهيثم هو ابن خارجة. وأبو الربيع هو سليمان بن عتبة، ويونس هو ابن ميسرة.

قال الإمام البزار رحمه الله كما في «كشف الأستار» (ج ٣ ص: ٢٣): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك، ثنا حماد، عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطنها». قال البزار: لا نعلم رواه عن هشام إلا حماد، ولا عنه إلا عبد الرحمن.

هذا حديث صحيح. رجاله رجال الصحيح. وحماد هو ابن زيد.

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص: ٢٢٤): ثنا زيد بن الحباب، ثنا معاوية بن صالح، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عمرو ابن الحمق الخزاعي، أنه سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول:

« إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله » قيل : ما استعمله ؟ قال : « يفتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله » .

هذا حديث حسن .

ورواه البزار كما في « كشف الأستار » (ج ٣ ص : ٢٥) فقال : حدثنا بشر ابن آدم ، ثنا زيد بن الحباب به ، ولفظه عند البزار : « إذا أراد الله بعبد خيرًا عَسله »[1] قالوا : يا رسول الله وما عَسله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح ثم قبضه عليه » .

قال البخاري رحمه الله (ج ١١ ص : ٤٩٩) : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا أبو غسان ، حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد ، أن رجلًا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين ، في غزوة غزاها مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فنظر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا » ، فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه ، حتى خرج من بين كتفيه فأقبل الرجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مسرعًا فقال : أشهد أنك رسول الله فقال : « وما ذاك ؟ » ، قال : قلت لفلان : من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه . فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند ذلك : « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » .

---

(١) « **العسل** » بالعين المهملة ، قال ابن الأثير في « **النهاية** » : العَسْل طِيب الثناء مأخوذ من العسل يقال : عسل الطعام يعسله ، إذا جعل فيه بالعسل شبه ما رزقه الله من العمل الصالح الذي طاب به ذكره بين قومه بالعسل الذي يجعل في الطعام فيحلو لي به ويطيب ا.هـ .

في الإرادة :

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ يريد اللَّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ واللَّه يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلًا عظيمًا * يريد اللَّه أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفًا ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ ومن يرد اللَّه فتنته فلن تملك له من اللَّه شيئًا أولئك الذين لم يرد اللَّه أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ فإن تولوا فاعلم أنما يريد اللَّه أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل اللَّه الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن الرجل الصالح : ﴿ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن اللَّه يهدي من يريد ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وإذا أراد اللَّه بقوم سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴾ .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٤٧٧) : ثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن كرز بن علقمة الخزاعي قال : قال رجل : يا رسول اللَّه هل للإسلام من منتهى ؟ قال : « أيما أهل بيت » وقال في موضع آخر قال : « نعم ، أيما أهل بيت من العرب ، أو العجم أراد اللَّه بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام » قال : ثم مه؟ قال : « ثم تقع الفتن كأنها الظلل » ، قال : كلا واللَّه إن شاء اللَّه ، قال : « بلى والذي نفسي بيده ثم تعودن فيها أساود صبًا » . قال سفيان : الحية السوداء تنصب أي : ترتفع . ثنا عبد الرزاق قال : ثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن كرز بن علقمة الخزاعي ، قال : قال أعرابي : يا رسول اللَّه هل للإسلام من منتهى ؟ قال : « نعم أيما أهل بيت من العرب ، أو العجم أراد اللَّه عز وجل بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام » قال : ثما ماذا يا رسول اللَّه ؟ قال : « ثم تقع فتن كأنها الظلل » ، فقال الأعرابي : كلا يا رسول اللَّه قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « بلى والذي نفسي بيده لتعودن فيها أساود صبًا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

● **هذا حديث صحيح رجاله ، رجال الصحيح ، وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاها .**

● **قال ابن القيم رحمه اللَّه في كتابه « شفاء العليل » (ص : ٣٢) : لفظ الإرادة في كتاب اللَّه نوعان :**

إرادة كونية شاملة لجميع المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾، **وقوله:** ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾، **وقوله:** ﴿إن كان اللَّه يريد أن يغويكم﴾ **ونظائر ذلك.**

وإرادة دينية أمرية لا يجب وقوع مرادها كقوله: ﴿يريد اللَّه بكم اليسر﴾، **وقوله:** ﴿واللَّه يريد أن يتوب عليكم﴾. إلى أن قال: والإذن أيضًا نوعان؛ كوني كقوله: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن اللَّه﴾.

وديني أمري كقوله: ﴿آللَّه أذن لكم﴾ **وقوله:** ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾.

الكتابة:

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللَّه لنا هو مولانا وعلى اللَّه فليتوكل المؤمنون﴾.

وقال اللَّه سبحانه وتعالى حاكيًا عن دعاء موسى عليه السلام: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كتب اللَّه لأغلبن أنا ورسلي إن اللَّه قوي عزيز * لا تجد قومًا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر يوادون من حاد اللَّه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه أولئك حزب اللَّه ألا إن حزب اللَّه هم المفلحون﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل اللَّه ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلًا إلا كتب لهم به عمل صالح إن اللَّه لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديًا إلا كتب لهم ليجزيهم اللَّه أحسن ما كانوا يعملون﴾.

وقال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ألم تعلم أن اللَّه يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على اللَّه يسير﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولولا أن كتب اللَّه عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ .

قال الإمام الطبري رحمه اللَّه (ج ٢٢ ص : ١٥٥) : حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ﴿في إمام مبين﴾ قال في أم الكتاب .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿لولا كتاب من اللَّه سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ .

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون * إن في هذا لبلاغًا لقوم عابدين﴾ .

● **قال الحافظ ابن القيم رحمه اللَّه في كتابه « شفاء العليل »** (ص : ٣٩) :

فالزبور هنا : جميع الكتب المنزلة من السماء **لا تختص بزبور داود ،** والذكر : أم الكتاب الذي عند اللَّه ، والأرض الدنيا ، وعباده الصالحون : أمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، **هذا أصح الأقوال في هذه الآية ،** وهي علم من أعلام نبوة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فإنه أخبر بذلك بمكة وأهل الأرض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه ، والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم وشتتوهم في أطراف الأرض ، فأخبرهم ربهم تبارك وتعالى أنه كتب في الذكر الأول أنهم يرثون الأرض من الكفار ثم كتب ذلك في الكتب التي أنزلها على رسله والكتاب قد أطلق عليه الذكر في قول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في الحديث المتفق على صحته : « كان اللَّه ولم

يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء » فهذا هو الذكر الذي كتب فيه أن الدنيا تصير لأمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم والكتب المنزلة قد أطلق عليها الزبر في قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر﴾ أي : أرسلناهم بالآيات الواضحات والكتب التي فيها الهدى والنور والذكر ههنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وهما التوراة والإنجيل والذكر في قوله : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ ، هو القرآن ففي هذه الآية علمه بما كان قبل كونه وكتابته له بعد علمه .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٥١٤) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، أخبرنا النضر ، حدثنا داود بن أبي الفرات ، عن عبد اللَّه بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ، أن عائشة رضي اللَّه عنها أخبرته أنها سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : عن الطاعون فقال : « كان عذابًا يبعثه اللَّه على من يشاء فجعله اللَّه رحمة للمؤمنين ما من عبد يكون في بلد يكون فيه ويمكث فيه لا يخرج من البلد صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللَّه له إلا كان له مثل أجر شهيد » .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٥ ص :١٩٧) : ثنا زيد بن يحيى ، ثنا خالد ابن صبيح المري قاضي البلقاء ، ثنا إسماعيل بن عبيد اللَّه ، أنه سمع أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « فرغ اللَّه إلى كل عبد من خمس : من أجله ، ورزقه ، وأثره ، وشقي ، وسعيد » .

هذا حديث صحيح رجاله كلهم ثقات . وخالد بن صبيح : هو خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح ، ترجمته في « **تهذيب التهذيب** » .

قال البخاري رحمه الله (ج ١١ ص: ٥٠٢): حدثني محمود بن غيلان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمني وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه». وقال شبابة حدثنا ورقاء، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٤٦).

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٠٤٤): حدثنا أبو الطاهر أحمد ابن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح، حدثنا ابن وهب، أخبرني أبو هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»، قال: «وعرشه على الماء».

حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا المقرئ، حدثنا حيوة.

(ح) وحدثني محمد بن سهل التميمي، حدثنا ابن أبي مريم، أخبرنا نافع يعني: ابن يزيد كلاهما عن أبي هانئ بهذا الإسناد مثله غير أنهما لم يذكرا، «وعرشه على الماء».

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ١ ص: ٤٠٠): حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان، قال: سمعت عبد الرحمن بن القاسم، قال: سمعت القاسم يقول: سمعت عائشة تقول: خرجنا لا نرى إلا الحج فلما كنا بسرف

حضت فدخل علي رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم وأنا أبكي قال : « ما لك أنفست ؟ » قلت : نعم ، قال : « إن هذا أمر كتبه اللّه على بنات آدم ، فاقضي ما يقضي الحاج غير ألا تطوفي بالبيت » ، قالت : وضحى رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم عن نسائه بالبقر .

قال الإمام البخاري رحمه اللّه (ج ١٣ ص : ٥٢٢) : حدثني محمد بن أبي غالب ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا معتمر سمعت أبي يقول : حدثنا قتادة ، أن أبا رافع حدثه ، أنه سمع أبا هريرة رضي اللّه عنه يقول : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن اللّه كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي ، فهو مكتوب عنده فوق العرش » .

قال البخاري رحمه اللّه (ج ١٣ ص : ٤٠٣) : حدثنا عبدان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين قال : إني عند النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، إذ جاء قوم من بني تميم فقال : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » ، قالوا : بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ، قال : « كان اللّه ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء » ، ثم أتاني رجل فقال : يا عمران بن حصين أدرك ناقتك فقد ذهبت ، فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وايم اللّه لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم .

قال البخاري رحمه اللّه (ج ١٣ ص : ٤٠٤) : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قال : « إن اللّه لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » .

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ١١ ص: ٤٧٧): حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، عن عبيد اللَّه بن أبي بكر بن أنس، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «وكل اللَّه بالرحم ملكًا فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أنثى أشقي أم سعيد، فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٣٨).

وقال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٤٧٧): حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك، حدثنا شعبة، أنبأني الأعمش قال: سمعت زيد بن وهب، عن عبد اللَّه قال: حدثنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث اللَّه ملكًا فيؤمر بأربع: برزقه، وأجله، وشقي، أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فواللَّه إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». قال آدم: إلا ذراع.

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٣٦).

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص: ٧٠٩): حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير، عن منصور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي رضي اللَّه عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول اللَّه صلى

اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « ما منكم من أحد وما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » ، قال رجل : يا رسول اللَّه أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ قال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ : ﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى﴾ الآية .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٣٩) .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٥ ص : ٥٩) : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا منصور بن سعد ، عن بديل ، عن عبد اللَّه بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول اللَّه متى كتبت نبيًا قال : « وآدم عليه السلام بين الروح والجسد » .

وقال ابن أبي عاصم في « السنة » (ج ١ ص : ١٧٩) : ثنا هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة ، عن خالد الحذاء ، عن عبد اللَّه بن شقيق ، عن رجل قال : قلت : يا رسول اللَّه متى بعثت نبيًا ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

هذا حديث صحيح ، والمبهم في حديث خالد الحذاء ، هو المبين في حديث بديل ، وهو ابن ميسرة إذ مخرج الحديث واحد ، وهو عبد اللَّه بن شقيق ، واللَّه أعلم .

قال الترمذي رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٣٥٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنا الليث ، عن أبي قبيل ، عن شفي بن ماتع ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : خرج

علينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وفي يده كتابان فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟»، فقلنا: لا يا رسول اللَّه إلا أن تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا»، ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا»، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول اللَّه إن كان أمر قد فرغ منه؟ قال: «سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل»، ثم قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بيديه فنبذهما ثم قال: «فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق من السعير». حدثنا قتيبة أخبرنا بكر بن مضر عن أبي قبيل نحوه.

هذا حديث حسن صحيح غريب. وأبو قبيل اسمه: حيي بن هانئ.

● **قال أبو عبد الرحمن: هذا حديث حسن**.

قال الإمام أبو يعلى الموصلي رحمه اللَّه في «المسند» (ج ٤ ص: ٢١٧): حدثنا أحمد بن جميل المروزي، حدثنا عبد اللَّه بن المبارك، أخبرنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه يحدث أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «إن أول شيء خلقه اللَّه القلم وأمره فكتب كل شيء».

هذا حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات، وأحمد بن جميل المروزي فقد قال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن معين: ليس به بأس، ومعنى ليس به بأس عند ابن معين ثقة كما في «**مقدمة ابن الصلاح**» (ص: ١١١) لكن أحمد بن

جميل، سمع من ابن المبارك وهو صغير كان يقول: كنت أسمع منه وأنا أنظر إلى العصافير: ا.هـ. من «**تعجيل المنفعة**».

وقد تابع أحمد بن جميل عليه نعيم بن حماد الخزاعي، عند عثمان بن سعيد **الدارمي** (ص: ١٢١)، **وعند ابن جرير** (ج ٢٩ ص: ١٦)، وتابعهما علي ابن الحسن بن شقيق عند الطبري في «**التفسير**» أيضًا، ونعيم بن حماد فيه كلام أيضًا، ولكنه متابع، وتابعهم أيضًا يعمر بن بشر عند ابن أبي عاصم (ج ١ ص: ٥٠) وقد ترجمه ابن أبي حاتم، فقال: روى عن ابن المبارك، وروى عنه أحمد بن سنان الواسطي، وحجاج بن حمزة وغيرهما. ولم يذكر ابن أبي حاتم فيه جرحًا ولا تعديلًا، فهو مستور الحال يصلح في الشواهد والمتابعات.

وأما قول الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في «تخريج السنة» لابن أبي عاصم: إن يعمر بن بشر تابعه الإمام أحمد فأظنه واهمًا، وأظنه توهم أحمد بن جميل أحمد بن حنبل، واغتر بما في «**الأسماء والصفات**» للبيهقي من التصحيف. والله أعلم.

هذا ما كنت قررت من صحة حديث ابن عباس ثم ظهر أن رفع الحديث شاذ كما ستراه إن شاء الله.

قال عبد الله في «السنة» (ص: ١٣١): حدثني أبي، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

عطاء بن السائب. مختلط، وجرير بن عبد الحميد سمع منه بعد الاختلاط، ولكن الوقف له طرق عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال عبد الله بن أحمد في «السنة» (ص: ١٣١): حدثني أبي، حدثنا هشيم، أنا منصور يعني ابن زاذان، عن الحكم بن عتيبة، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم قال فأمره يكتب ما هو كائن، قال فكتب فيما كتب: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾.

هذا الأثر صحيح. وأبو ظبيان: اسمه حصين بن جندب.

قال ابن جرير رحمه الله (ج٢٩ ص: ١٧): حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن مجاهد، قال: قلت لابن عباس: إن ناسًا يكذبون بالقدر فقال: إنهم يكذبون بكتاب الله لآخذن بشعر أحدهم فلا يقصنّ به، إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا، فكان أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه.

هذا الأثر صحيح. وأبو هاشم: هو الرماني.

قال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا أبو هاشم، أنه سمع مجاهدًا قال: سمعت عبد الله لا ندري ابن عمر أو ابن عباس، قال: إن أول ما خلق الله القلم فجرى القلم بما هو كائن، وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فرغ منه.

هذا الأثر صحيح، ولا يضر التردد ههنا، فهو من طريق سفيان، وهو الثوري مجزوم به أنه ابن عباس فلا يضر التردد من طريق شعبة، فسفيان أرجح من شعبة كما هو معلوم من ترجمتيهما ومن قول شعبة سفيان أحفظ مني.

قال عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٣٦): حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن سعيد، عن هشام يعني الدستوائي حدثني القاسم بن أبي بزة، حدثنا عروة

ابن عامر سمعت ابن عباس يقول : إن أول ما خلق اللَّه القلم فأمره أن يكتب ما يريده أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ .

سنده صالح في الشواهد ، عروة بن عامر مختلف في صحبته وذكره ابن حبان في « الثقات » وقد روى عنه جماعة ، وهذا الأثر سنده إلى القاسم بن أبي بزة أصح من سند المرفوع .

وقد قال أبو نعيم في « الحلية » (ج ٨ ص : ١٨١) بعد أن ساقه من طريق ابن المبارك وأحمد بن جميل المروزي : كلاهما يرويانه عن رباح بن زيد به مرفوعًا .

قال أبو نعيم : لم يروه عن سعيد إلا القاسم ، ولا عنه إلا عمر تفرد به رباح ، ورواه عن ابن عباس جماعة منهم ؛ أبو ظبيان ، وأبو إسحاق ، ومقسم ، ومجاهد ، منهم من رفعه ، ومنهم من وقفه ، ورواه عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم مرفوعًا متصلًا عبادة بن الصامت وابن عمر . ا.هـ .

قلت : لم أجد الرفع عن ابن عباس ، إلا من طريق رباح بن زيد به .

هذا ؛ وإذا كان الحديث لم يصح مرفوعًا من حديث ابن عباس فقد صح من حديث عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٥ ص : ٣١٧) : ثنا أبو العلاء الحسن بن سوار ، ثنا ليث ، عن معاوية ، عن أيوب بن زياد ، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة ، حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت : يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال : أجلسوني . قال : يا بني إنك لن تطعم طعم الإيمان ، ولم تبلغ حق حقيقة العلم باللَّه تبارك وتعالى حتى تؤمن

بالقدر خيره وشره، قال: قلت: يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره، قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني: إني سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «أول ما خلق اللَّه تبارك وتعالى القلم، ثم قال اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار.

الليث: هو ابن سعد، ومعاوية هو: ابن صالح، والحديث في سنده أيوب ابن زياد، ترجمته في «**تعجيل المنفعة**» روى عنه جماعة، ولم يوثقه معتبر فهو صالح في الشواهد والمتابعات.

طريق أخرى:

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٥ ص: ٣١٧): ثنا موسى بن داود، ثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أن الوليد بن عبادة، قال: أوصاني أبي رحمه اللَّه تعالى فقال: يا بني أوصيك أن تؤمن بالقدر خيره وشره، فإنك إن لم تؤمن أدخلك اللَّه تبارك وتعالى النار قال: وسمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «أول ما خلق اللَّه تبارك وتعالى القلم، ثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب، قال: فاكتب ما يكون، وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة».

عبد اللَّه بن لهيعة مختلط، ولكنه في المتابعات كما ترى.

طريق أخرى:

قال الإمام أحمد بن عمرو بن أبي عاصم رحمه اللَّه في «السنة» (ج ١ ص: ٤٨)، ثنا محمد بن مصفى، ثنا بقية بن الوليد، عن معاوية بن سعيد، قال:

حدثني عبد الله بن السائب، عن عطاء بن أبي رباح، قال: سألت الوليد بن عبادة، كيف كانت وصية أبيك حين حضرته الوفاة؟ قال: أي بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال: اكتب، قال: وما أكتب يا رب؟ قال: اكتب القدر، قال: فجرى القلم في تلك الساعة وبما كان بما هو كائن إلى الأبد».

الحديث في سنده بقية وهو مختلف فيه، والراجح عندي أنه لا يحتج به، وفي سنده معاوية بن سعيد، روى عنه جماعة، ولم يوثقه معتبر ولكن الطريق هذه في المتابعات، فبقية ومعاوية بن سعيد يصلحان في الشواهد والمتابعات.

فالحديث صحيح بمجموع طرقه والله أعلم.

وأما حديث ابن عمر الذي أشار إليه أبو نعيم فقد تركته لأمرين:

الأول: أنه من طريق بقية كما في «**السنة**» لابن أبي عاصم (ص: ٤٩).

الثاني: أن في «**الشريعة للآجري**» (ص: ١٧٥) أن مجاهدًا الراوي له، عن ابن عمر كما في «السنة» لم يسمعه من ابن عمر، بل في «الشريعة»، عن مجاهد بن جبر أنه بلغه عن ابن عمر. فعلم ضعف الحديث والحمد لله.

* * *

حرمة مكة القدرية الشرعية

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ٤١٨) طبعة حلبية: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يوم افتتح مكة: «لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا البلد حرّمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة، وإنه لا يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلَّا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه»، قال العباس: يا رسول اللَّه إلَّا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم قال: «إلا الإذخر».

قال الحافظ في «الفتح» (ج ٤ ص: ٤١٤): في شرحه لحديث أبي شريح بعد إشارته إلى حديث ابن عباس: ولا معارضة بين هذا وبين قوله الآتي في الجهاد وغيره من حديث أنس أن إبراهيم حرم مكة لأن المعنى أن إبراهيم حرم مكة بأمر اللَّه تعالى لا باجتهاده، أو أن اللَّه قضى يوم خلق السموات والأرض أن إبراهيم سيحرم مكة، أو المعنى أن إبراهيم أول من أظهر تحريمها بين الناس وكانت قبل ذلك عند اللَّه حرامًا أو أول من أظهره بعد الطوفان ا.هـ. المراد من «**الفتح**».

* * *

المصائب من عند اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند اللَّه وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند اللَّه فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا * ما أصابك من حسنة فمن اللَّه وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾.

وقوله: ﴿فمن نفسك﴾: **أي:** بسبب ذنبك وهي مقدرة عليك.

قال ابن جرير رحمه اللَّه (ج ٨ ص: ٥٩٩): حدثني يونس، قال: حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ قال: بذنبك وأنا قدرتها عليك. حدثنا محمد بن بشار، قال حدثنا يحيى، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: ﴿ما أصابك من حسنة فمن اللَّه وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ وأنا الذي قدرتها عليك. حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنيه إسماعيل بن أبي خالد بمثله.

هذا الأثر صحيح. وأبو صالح: هو ذكوان.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على اللَّه يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم واللَّه لا يحب كل مختال فخور﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن اللَّه ومن يؤمن باللَّه يهد قلبه واللَّه بكل شيء عليم﴾.

قال الإمام الترمذي رحمه الله (ج ٧ ص: ٢١٩): حدثنا أحمد بن محمد ابن موسى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا الليث بن سعد. وابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا ليث بن سعد، حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحد، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يومًا فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

هذا حديث حسن صحيح.

● **قال أبو عبد الرحمن:**

قيس بن الحجاج لم أجد فيه توثيقًا معتبرًا إلا قول أبي حاتم: صالح، كما في «**الجرح والتعديل**» لابنه، وهذا لا يرفع الحديث إلى الحسن، لكنه قد جاء الحديث من طرق، عن ابن عباس كما في «**جامع العلوم والحكم**» لابن رجب رحمه الله.

قال أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص: ٤٦٦): حدثنا محمد بن كثير، أنبأنا سفيان، عن أبي سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله تعالى أن يذهبه من قلبي فقال: لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل الله تعالى ما قبله الله تعالى

منك ، حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار . قال : ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك . قال : ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك . قال : ثم أتيت زيد بن ثابت ، فحدثني عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم مثل ذلك .

هذا حديث حسن .

وأبو سنان هو : سعيد بن سنان ، مختلف فيه والذي يظهر لي أن حديثه لا ينزل عن الحسن واللَّه أعلم .

وقال الإمام أبو عبد اللَّه بن ماجة رحمه اللَّه (ج ١ ص : ٢٩) : حدثنا علي ابن محمد ، ثنا إسحاق بن سليمان قال : سمعت أبا سنان عن وهب بن خالد الحمصي ، عن ابن الديلمي قال : وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري ، فأتيت أبي بن كعب فقلت : أبا المنذر إنه وقع في نفسي شيء من هذا القدر فخشيت على ديني وأمري فحدثني من ذلك بشيء لعل اللَّه أن ينفعني به فقال : لو أن اللَّه عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهبًا أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل اللَّه ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار . ولا عليك أن تأتي أخي عبد اللَّه بن مسعود ، فتسأله فأتيت عبد اللَّه فسألته فذكر مثل ما قال أبي ، وقال لي ولا عليك أن تأتي حذيفة ، فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قال ، وقال : ائت زيد بن ثابت ، فاسأله فأتيت زيد بن ثابت فسألته ، فقال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم

يقول: «لو أن اللَّه عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد ذهبًا أو مثل جبل أحد ذهبًا تنفقه في سبيل اللَّه ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وإنك إن مت على غير ذلك دخلت النار».

قال الإمام أحمد بن عمرو بن أبي عاصم رحمهم اللَّه (ج ١ ص: ١١٠): ثنا أبي، ثنا أبي، ثنا شبيب قال: سمعت أنس بن ماالك قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

هذا حديث حسن.

وشبيب هو: ابن بشر، وثقه ابن معين، وقال: لم يرو عنه غير ابن أبي عاصم وقال أبو حاتم: لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ ا.هـ. من «**تهذيب التهذيب**».

لا عــدوى

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٠ ص: ٢٤١): حدثني عبد اللَّه بن محمد، حدثنا هشام بن يوسف، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه: قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة»، فقال أعرابي: يا رسول اللَّه فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «فمن أعدى الأول».

وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة بعد يقول : قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لا يوردن ممرض على مصح » . وأنكر أبو هريرة حديث الأول فقلنا ألم تحدث أنه لا عدوى ؟ فرطن بالحبشية . قال أبو سلمة : فما رأيته نسي حديثًا غيره .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ١٧٤٣) .

● **قال الحافظ في « الفتح »** : وهذا الذي قاله أبو سلمة ظاهر في أنه كان يعتقد **أي** : أبو هريرة وقد تقدم وجه الجمع بينهما في باب الجذام ، **أن قوله** : « **لا عدوى** » : نهي عن اعتقادها ، **وقوله** : « **لا يورد** » : سبب النهي عن الإيراد خشية الوقوع في اعتقاد العدوى أو خشية تأثير الأوهام ، كما تقدم نظيره في حديث « فر من المجذوم » ؛ لأن الذي لا يعتقد أن الجذام يعدي يجد في قلبه نفرة حتى لو أكرهها على القرب منه لتألمت بذلك . فالأولى للعاقل أن لا يتعرض لمثل ذلك بل يباعد أسباب الآلام ويجانب طرق الأوهام . واللَّه أعلم .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٠ ص : ٢٤٣) : حدثنا سعيد بن عفير قال حدثنا ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرني سالم بن عبد اللَّه وحمزة أن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ، إنما الشؤم في ثلاث : في الفرس والمرأة والدار » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ١٧٤٧) .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١٠ ص : ٢٤٤) : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة قال : سمعت قتادة ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفال » ، قالوا : وما الفال ؟ قال : « كلمة طيبة » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ١٧٤٦).

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ١٧٤٤): حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا أبو الزبير، عن جابر.

(ح) وحدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خيثمة، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا عدوى ولا طيرة ولا غول». وحدثني عبد اللَّه بن هاشم بن حيان، حدثنا بهز، حدثنا يزيد وهو التستري، حدثنا أبو الزبير، عن جابر قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا عدوى ولا غول ولا صفر». وحدثني محمد ابن حاتم، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد اللَّه يقول: سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا عدوى ولا صفر ولا غول». وسمعت أبا الزبير يذكر أن جابرًا فسر لهم قوله: «ولا صفر»، فقال أبو الزبير: الصفر: البطن فقيل لجابر كيف؟ قال: كان يقال دواب البطن. قال: ولم يفسر الغول قال أبو الزبير: هذه الغول التي تغوّل.

قال ابن أبي عاصم في «السنة» (ج ١ ص: ١١٩): حدثنا ابن مصفى، ثنا بقية، عن الزبيدي، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا عدوى ولا طيرة». ثنا عمرو بن عثمان، ثنا بشر بن شعيب، عن أبيه، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة».

هذا حديث صحيح.

وقد أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ١٧٤٣). فقال: وحدثني عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا أبو اليمان، عن شعيب به.

لا يسلط أحد على أحد إلَّا بإذن اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ولو شاء اللَّه لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وما أفاء اللَّه على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن اللَّه يسلط رسله على من يشاء واللَّه على كل شيء قدير﴾ .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ١٠١) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود ، أن أبا سعيد قال : حدثنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال : « يأتي الدجال ، وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس ، أو من خيار الناس فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حديثه فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييه هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول : واللَّه ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٢٥٦) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٥١٣) : حدثنا علي بن حفص وبشر ابن محمد قالا أخبرنا عبد اللَّه ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لابن

صياد : « خبأت لك خبيئًا » ، قال : الدخ ، قال : « اخسأ فلن تعدو قدرك » ، قال عمر : ائذن لي فأضرب عنقه قال : « دعه » إن يكن هو فلا تطيقه وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله » .

قال البخاري (ج ٦ ص: ٩٦): حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال حدثني سنان بن أبي سنان الدؤلي وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أخبره أنه غزا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قبل نجد ، فلما قفل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قفل معه ، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة فنزل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال : « إن هذا اخترط على سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال من يمنعك مني ؟ فقلت اللَّه ثلاث ، ولم يعاقبه وجلس » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص: ٥٧٦ و ج ٤ ص: ١٧٨٦) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٣٨٨): حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات :

ثنتين منهن في ذات اللَّه عز وجل قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا .

وقال : بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له : إن ههنا رجلًا معه امرأة من أحسن النساء فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من

هذه؟ قال: أختي فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأخذ فقال: ادعي اللَّه لي ولا أضرك فدعت فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي اللَّه لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده مهيم قالت: رد اللَّه كيد الكافر في نحره وأخدم هاجر.

قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء.

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ١٨٤٠).

● **قال الحافظ**: وقد أورده المصنف من وجهين، عن أيوب وساقه على لفظ حماد بن زيد، عن أيوب ولم يقع التصريح برفعه في روايته، وقد رواه في النكاح عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد فصرح برفعه لكن لم يسق لفظه، ولم يقع رفعه هنا في رواية النسفي ولا كريمة وهو المعتمد في رواية حماد بن زيد، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر غير مرفوع.

والحديث في الأصل مرفوع كما في رواية جرير بن حازم، وكما في رواية هشام بن حسان، عن ابن سيرين عند النسائي والبزار وابن حبان، وكذا تقدم في البيوع من رواية الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا، ولكن ابن سيرين غالبًا لا يصرح برفع كثير من حديثه.

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ١٨ ص ١٣٠):

حدثنا هداب بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله

وسلم قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت ، فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر ، فبعث إليه غلامًا يعلمه ، فكان في طريقه إذا سلك : راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك ، فقل حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم : الساحر أفضل ، أم الراهب أفضل ، فأخذ حجرًا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وأنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل علي ، وكان الغلام يبرئ الأكمة ، والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني ، فقال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي اللَّه فإن أنت آمنت باللَّه دعوت اللَّه فشفاك ، فآمن باللَّه فشفاه اللَّه ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك قال : ربي ، قال : ولك رب غيري ، قال : ربي وربك اللَّه ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجيئ بالغلام ، فقال له الملك : أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل ، فقال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي اللَّه فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجيئ بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى فدعا بالمئشار ، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيئ بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيئ بالغلام فقيل له : ارجع عن

دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم أكفنيهم بم شئت ، فرجف بهم الجبل ، فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ، قال : كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال : اللهم أكفنيهم بم شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ، قال : كفانيهم الله ، فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ، قال : وما هو ، قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهمًا من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقع السهم في صدغه ، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمه اصبري فإنك على الحق .

قال النووي رحمه الله :

هذا الحديث فيه إثبات كرامات الأولياء، وفيه جواز الكذب في الحرب ونحوها ، وفي إنقاذ النفس من الهلاك سواء نفسه أو نفس غيره ممن له حرمة ،

والأكمه: الذي خلق أعمى، **والمئشار**: مهموز في رواية الأكثرين، ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء وروي المنشار بالنون، وهما لغتان صحيحتان سبق بيانهما قريبًا، **وذروة الجبل**: أعلاه وهي بضم الذل وكسرها، **ورجف بهم الجبل**: أي اضطرب وتحرك حركة شديدة، وحكي القاضي عن بعضهم: أنه رواه فزحف بالزاي والحاء، وهو بمعنى الحركة؛ لكن الأول هو الصحيح المشهور، **والقرقور**: بضم القافين السفينة الصغيرة وقيل: الكبيرة، واختار القاضي الصغيرة بعد حكايته خلافًا كثيرًا، **وانكفأت بهم السفينة**: أي انقلبت، **والصعيد**: هنا الأرض البارزة، **وكبد القوس**: مقبضها عند الرمي. **قوله**: «نزل بك حذرك» **أي**: ما كنت تحذر وتخاف، **والأخدود**: هو الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد، **والسكك**: الطرق، **وأفواهها**: أبوابها. **قوله**: «من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها» هكذا هو في عامة النسخ فأحموه بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة، ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا، ووقع في بعض نسخ بلادنا فاقحموه بالقاف وهذا ظاهر، **ومعناه**: اطرحوه فيها كرهًا، **ومعنى الرواية الأولى**: ارموه فيها من قولهم حميت الحديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى. **قوله**: «فتقاعست» أي: توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار، وبالله التوفيق.

لا يكون شيء في الكون إلا بإذن الله

قال الله سبحانه وتعالى في وصف عيسى عليه السلام: ﴿ورسولًا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾.

وقال سبحانه وتعالى ممتنًا على عيسى عليه السلام : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجلًا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن اللَّه يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن اللَّه وعلى اللَّه فليتوكل المؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر أن اللَّه سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن اللَّه بالناس لرءوف رحيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن اللَّه ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى في شأن السحر :

﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن اللَّه ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن اللَّه ومن يؤمن باللَّه يهد قلبه واللَّه بكل شيء عليم ﴾ .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ١٧٢٩) : حدثنا هارون ابن معروف وأبو الطاهر وأحمد بن عيسى قالوا : حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو وهو : ابن الحارث عن عبد ربه بن سعيد ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن اللَّه عز وجل » .

لا حول ولا قوة إلا باللَّه

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٥٠٠): حدثني محمد بن مقاتل أبو الحسن، أخبرنا عبد اللَّه، أخبرنا خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري، قال: كنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفًا ولا نعلو شرفًا ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال: فدنا منا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا بصيرًا»، ثم قال: «يا عبد اللَّه بن قيس ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا باللَّه».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٧٦).

الشاهد في الحديث قوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا حول ولا قوة إلا باللَّه» فإنها تفيد نفي الحول والقوة عن العبد إلا باللَّه.

لا يكون شيء في الكون إلا بتسخير اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم في الأرض مختلفًا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى :

﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿اللَّه الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ألم تر أن اللَّه سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن اللَّه بالناس لرءوف رحيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿اللَّه الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن اللَّه فأنى يؤفكون﴾ .

● **إذا علمت أن اللَّه هو المسخر ، اعتمدت عليه وحده ،** ولا بأس بالأخذ بالأسباب غير معتمد عليها ، فإن الاعتماد على السبب شرك وترك السبب قدح في الشريعة .

لا يكون شيء في الكون إلا بتدبير اللّه

قال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون اللّه فقل أفلا تتقون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ .

الأمر كله للّه

قال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن الأمر كله للّه يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي اللّه ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم واللّه عليم بذات الصدور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وللّه غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ واللّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل للَّه الأمر جميعًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللَّه﴾.

أي: بأمر اللَّه.

قال البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص: ٤٢٢): باب قول اللَّه تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه﴾ حدثنا شهاب بن عباد، حدثنا إبراهيم بن حميد، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة قال: سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر اللَّه».

حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، حدثني عمير ابن هانئ أنه سمع معاوية قال: سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا يزال من أمتي قائمة بأمر اللَّه، لا يضرهم من كذبهم، ولا من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك». قال مالك بن يخامر: سمعت معاذًا يقول: وهم بالشام، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول: وهم بالشام.

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن عبد اللَّه بن أبي حسين، حدثنا نافع ابن جبير، عن ابن عباس قال: وقف النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على مسيلمة في أصحابه فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر اللَّه فيك ولئن أدبرت ليعقرنك اللَّه».

حدثنا موسى بن إسماعيل، عن عبد الواحد، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود قال: بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمررنا على نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه أن يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم: لنسألنه، فقام إليه رجل منهم فقال: يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعلمت أنه يوحى إليه فقال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتوا من العلم إلا قليلًا﴾. قال الأعمش: هكذا في قراءتنا.

قال البخاري رحمه الله (ج١٣ ص: ٤٦٤): حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر[1] بيدي الأمر أقلب الليل والنهار».

كلام حسن لابن القيم في الكوني والشرعي

● **قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل»** (ص: ٢٨٠):

«الباب التاسع والعشرون: في انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم والإنشاء إلى كوني متعلق بخلقه، وإلى ديني متعلق بأمره، وما يحقق ذلك من إزالة اللبس والإشكال».

---

(١) **الدهر**: ليس اسمًا من أسماء الله بل المعنى وأنا خالق الدهر بدليل ما بعده: أقلب الليل والنهار، ولو كان اسمًا من أسماء الله لما أنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين، **قال الله سبحانه وتعالى**: ﴿وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾ فالدهر اسم للزمن الذي هو الليل والنهار. **والله أعلم**.

هذا الباب متصل بالباب الذي قبله[1] وكل منهما يقرر لصاحبه فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من الديني فهو متعلق بإلاهيته وشرعه وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه ودينه فهو الذي خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدرًا وشرعًا ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري، وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق، والأمران غير متلازمين فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي إذا عرف ذلك **فالقضاء في كتاب اللَّه نوعان**:

كوني قدري كقوله: ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾.

وقوله: ﴿وقضى بينهم بالحق﴾.

وشرعي ديني كقوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾.

أي: أمر وشرع ولو كان قضاء كونيًا لما عبد غير اللَّه، والحكم أيضًا نوعان:

فالكوني كقوله: ﴿قال رب احكم بالحق﴾.

أي: افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك.

والديني كقوله: ﴿ذلكم حكم اللَّه يحكم بينكم﴾ **وقوله**: ﴿إن اللَّه يحكم ما يريد﴾.

---

(١) من كتابه القيم «شفاء العليل».

وقد يرد بالمعنيين معًا كقوله: ﴿ولا يشرك في حكمه أحدًا﴾.

فهذا يتناول حكمه الكوني وحكمه الشرعي، والإرادة أيضًا نوعان:

فالكونية كقوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ **وقوله:** ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ **وقوله:** ﴿إن كان اللَّه يريد أن يغويكم﴾ **وقوله:** ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾.

والدينية كقوله: ﴿يريد اللَّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

وقوله: ﴿واللَّه يريد أن يتوب عليكم﴾ فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا ولوقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة هل هما متلازمان أم لا؟ فقالت القدرية: الأمر يستلزم الإرادة واحتجوا بحجج لا تندفع وقالت المثبتة: الأمر لا يستلزم الإرادة واحتجوا بحجج لا تندفع، والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعًا ودينًا، وقد يأمر بما لا يريده كونًا وقدرًا كإيمان من أمره ولم يوفقه للإيمان مراد له دينًا لا كونًا، وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرده كونًا وقدرًا، وأمر رسوله بخمسين صلاة ولم يرد ذلك كونًا وقدرًا، وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق، فإنه سبحانه لم يحب من إبراهيم ذبح ولده، وإنما أحب منه عزمه على الامتثال وأن يوطن نفسه عليه، وكذلك أمره محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ليلة الإسراء بخمسين صلاة وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان فإنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسله، ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره، ووفقه له، وخذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه فلم تحصل مصلحة الأمر منهم وحصلت من الأمر بالذبح.

فصل

• **وأما الكتابة فالكونية كقوله :** ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ .

وقوله : ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .

وقوله : ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ .

• **والشرعية الأمرية كقوله :** ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ .

وقوله : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ **إلى قوله :** ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ .

وقوله : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ .

فالأولى : كتابة بمعنى القدر .

والثانية : كتابة بمعنى الأمر .

فصل

والأمر الكوني كقوله : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ .

وقوله : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ .

وقوله : ﴿ وكان أمر الله مفعولًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وكان أمرًا مقضيًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ﴾ .

فهذا أمر تقدير كوني لا أمر ديني شرعي ؛ فإن اللَّه لا يأمر بالفحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه .

وقالت طائفة : بل هو أمر ديني ، والمعنى أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا .

● **والقول الأول أرجح لوجوه** :

أحدها : أن الإضمار على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلا إذا لم يمكن تصحيح الكلام بدونه .

الثاني : أن ذلك يستلزم إضمارين : أحدهما أمرناهم بطاعتنا فخالفونا ، الثاني : أو عصونا ونحو ذلك .

الثالث : أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لا يفهم المخاطب غير هذا .

الرابع : أنه سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور ، ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز ، فإن قيل أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك قيل هذا يبطل بالوجه .

الخامس : وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته ، واتباع رسله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمترفين يوضحه .

السادس : أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال رسله إليهم ، ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال أرسلنا رسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها ، فإن الإرسال لو كان إلى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل إلينا .

السابع : أن إرادة اللَّه سبحانه لإهلاك القرية إنما يكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم ، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم لأنهم معذورون

بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم قال تعالى : ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها فأمر رؤساءها ومترفيها أمرًا كونيًا قدريًا ، لا شرعيًا دينيًا بالفسق في القرية ، فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر اللَّه وحق عليها قوله بالإهلاك ، والمقصود ذكر الأمر الكوني والديني .

ومن الديني قوله : ﴿إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان﴾ .

وقوله : ﴿إن اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ **وهو كثير .**

فصل

● **وأما الإذن الكوني فكقوله تعالى :** ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن اللَّه﴾ .

أي : بمشيئته وقدره .

● **وأما الديني فكقوله :** ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن اللَّه﴾ .

أي : بأمره ورضاه .

وقوله : ﴿قل أرأيتم ما أنزل اللَّه لكم من رزق فجعلتم منه حرامًا وحلالًا قل آللَّه أذن لكم أم على اللَّه تفترون﴾ .

وقوله : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللَّه﴾ .

فصل

● **وأما الجعل الكوني فكقوله**: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًا﴾.

وقوله: ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾.

وقوله: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾، **وهو كثير**.

● **وأما الجعل الديني فكقوله**: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾.

أي: ما شرع ذلك ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته.

وأما قوله: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس﴾: فهذا يتناول الجعلين، فإنها جعلها كذلك بقدره وشرعه وليس هذا استعمالًا للمشترك في معنييه بل إطلاق اللفظ وإرادة القدر المشترك بين معنيين فتأمله.

فصل

● **وأما الكلمات الكونية فكقوله**: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾.

وقوله: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق».

فهذه كلماته الكونية التي يخلق بها ويكون ولو كانت الكلمات الدينية هي التي يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار.

● **وأما الديني فكقوله :** ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام اللَّه﴾ .

والمراد به : القرآن وقوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في النساء : « واستحللتم فروجهن بكلمة اللَّه » .

أي : بإباحته ودينه وقوله : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ .

وقد اجتمع النوعان في قوله : ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾ .

فكتبه : كلماته التي يأمر بها وينهى ويحل ويحرم وكلماته التي يخلق بها ويكون فأخبر أنها ليست جهمية تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه وتجعلها خلقًا من جملة مخلوقاته .

فصل

● **وأما البعث الكوني فكقوله :** ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد﴾ .

وقوله : ﴿فبعث اللَّه غرابًا يبحث في الأرض﴾ .

● **وأما البعث الديني فكقوله :** ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم﴾ .

وقوله : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين﴾ .

فصل

● **وأما الإرسال الكوني فكقوله :** ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًّا﴾ .

وقوله : ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾ .

وأما **الديني فكقوله** : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ .

وقوله : ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولًا شاهدًا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولًا﴾ .

فصل

- **وأما التحريم الكوني فكقوله** : ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ .

وقوله : ﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة﴾ .

وقوله : ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ .

- **وأما التحريم الديني فكقوله** : ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ و ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ و ﴿حرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا﴾ و ﴿أحل اللَّه البيع وحرم الربا﴾ .

فصل

- **وأما الإيتاء الكوني فكقوله** : ﴿واللَّه يؤتي ملكه من يشاء﴾ .

وقوله : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾ .

وقوله : ﴿وآتيناهم ملكًا عظيمًا﴾ .

- **وأما الإيتاء الديني فكقوله** : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ .

وقوله : ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ .

وأما قوله : ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾ .

فهذا يتناول النوعين، فإنه يؤتيها من يشاء أمرًا ودينًا وتوفيقًا وإلهامًا .

فصل

● **وأنبياؤه ورسله وأتباعهم**: حظهم من هذه الأمور الديني منها وأعداؤه واقفون مع القدر الكوني فحيث ما مال القدر مالوا معه فدينهم دين القدر ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره وخصماء اللَّه يعصون أمره ويحتجون بقدره لا يقولون نحن واقفون مع مراد اللَّه نعم مع مراده الديني أو الكوني ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني ولا يكون ذلكم عذرًا لكم عنده إذ لو عذر بذلك لم يذم أحدًا من خلقه، ولم يعاقبه، ولم يكن في خلقه عاص، ولا كافر، ومن زعم ذلك فقد كفر باللَّه وكتبه كلها وجميع رسله، وباللَّه التوفيق.

اللَّه يصنع كل صانع وصنعته

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه، في كتاب «خلق أفعال العباد» (ص: ٣٩): حدثنا علي بن عبد اللَّه، ثنا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك، عن ربعي ابن حراش، عن حذيفة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن اللَّه يصنع كل صانع وصنعته».

أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٣٣٢) من طريق البخاري بسنده ولفظه.

وقال ابن أبي عاصم في «السنة» (ج ١ ص: ١٥٨): ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا الفضيل بن سليمان، ثنا أبو مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن اللَّه خالق كل صانع وصنعته». ثنا يعقوب بن حميد، ثنا مروان بن

معاوية الفزاري، ثنا أبو مالك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمثله.

هذا حديث صحيح.

وأخرجه ابن مندة في «التوحيد» (ج ١ ص: ٢٦٧)، **وأخرجه الحاكم** (ج ١ ص: ٣١) فقال: حدثنا أبو النضر محمد بن يوسف الفقيه، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا علي بن المديني، ثنا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الله خالق كل صانع وصنعته». حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا الفضيل بن سليمان، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الله خالق كل صانع وصنعته».

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

تنبيـــــه:

جاء عند اللالكائي في «السنة» (ج ٢ ص: ٥٣٨ و ٥٣٩) من طريقين إلى أبي مالك سعد بن طارق في الأولى منهما: «إن الله صانع كل صانع وصنعته» والظاهر أنه رواية بالمعنى لأن من المحدثين من رواه بلفظ «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»، ومنهم من رواه بلفظ: «إن الله صنع»، كما عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٤٣) فعلى هذا فلا يوصف الله بأنه صانع بل يوصف بأنه خالق قال تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية.

● **وإني ذاكر بعون اللّه ما تيسر لي الوقوف عليه من طرق المحدثين؛ حتى يتبين لك أن هذه اللفظة أعني «صانع» وهْمٌ من بعض الرواة، أو تصحيف.**

قال البزار رحمه اللّه كما في «كشف الأستار» (ج٣ ص: ٢٨): حدثنا أحمد بن عبد اللّه بن الحسين بن كردي، وأحمد بن أبان القرشي، قالا: ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربعي عن حذيفة عن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «خلق اللّه كل صانع وصنعته» قال البزار: لا نعلم هذا يروى مرفوعًا إلا بهذا الإسناد، ورواه غير مروان مرفوعًا.

وقال البيهقي رحمه اللّه في «الاعتقاد» (ص: ١٤٤): أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أبو النضر الفقيه ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا علي بن المديني، ثنا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «إن اللّه يصنع كل صانع وصنعته». وذكره في «الأسماء والصفات» (ص: ٤٩١) بهذا الإسناد وبهذا اللفظ.

وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٤٣): أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد، أنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس، ثنا محمد بن غالب، ثنا القعنبي، ثنا مروان الفزاري، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي ابن حراش، عن حذيفة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «إن اللّه عز وجل صنع كل صانع وصنعته».

قال الإمام أبو أحمد بن عدي، في «الكامل» (ج٦ ص: ٢٠٤٦): حدثنا محمد بن الحسين البصري، ثنا أبو كامل، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا أبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله

وسلم قال : « إن اللّٰه يصنع[1] كل صانع وصنعته » .

● **وهذا لا أعلم يرويه عن أبي مالك غير فضيل بهذا الإسناد .**

كذا قال أبوأحمد رحمه اللّٰه ، وقد رواه مروان بن معاوية كما تقدم وأبو خالد الأحمر عند اللالكائي (ج ٢ ص : ٥٣٨) فعلم بهذا أن لفظة « صانع » شاذة أو تصحيف ، والحمد للّٰه . ولعل الذي شذ بها أبو خالد الأحمر ، واللّٰه أعلم .

وقد جاء في مسلم ما معناه : إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، فإن اللّٰه صانع ما يشاء ، وهي أيضًا تعتبر شاذة ، إذ المتفق عليه : إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، فإن اللّٰه لا مستكره له .

وسيأتي التنبيه على ذلك في باب (لا مستكره للّٰه) .

* * *

(١) في « **الأصل** » : يضع كل صانع بصنعته ، **والصواب** ما أثبتناه .

اللّه خالق كل شيء
ومنه خلق أفعال العباد

قال اللّه سبحانه وتعالى:

﴿هل من خالق غير اللّه يرزقكم من السماء والأرض﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿اللّه خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ذلكم اللّه ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿اللّه خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ذلكم اللّه ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هو اللّه الخالق البارئ المصور﴾.

وقال سبحانه وتعالى حاكيًا عن إبراهيم إذ يقول لأبيه وقومه: ﴿واللّه خلقكم وما تعملون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾.

والحصر ها هنا مستفاد من ضمير الفصل ومن دخول الألف واللام على الخلاق .

وقال سبحانه وتعالى في بيان الحوار بين موسى وفرعون : ﴿ قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرًا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دونه اللّٰه لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن واللّٰه بما تعملون بصير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ .

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج١٣ ص : ٢٦٥) : حدثنا الحسن بن صباح ، حدثنا شبابة ، حدثنا ورقاء ، عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن ، سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا اللّٰه خالق كل شيء فمن خلق اللّٰه » .

قال الإمام أبو داود رحمه اللّٰه (ج١٢ ص : ٤٥٥) : حدثنا مسدد أن يزيد بن زريع ، ويحيى بن سعيد حدثاهم ، قالا : أخبرنا عوف ، أخبرنا قسامة بن زهير ، أخبرنا أبو موسى الأشعري ، قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « إن اللّٰه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل

والحزن والخبيث والطيب». زاد في حديث يحيى «وبين ذلك». والإخبار في حديث يزيد.

هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا قسامة بن زهير، وقد وثقه ابن سعد كما في «**تهذيب التهذيب**».

الحديث رواه الترمذي (ج٨ ص: ٢٩٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

كلام مفيد لابن القيم في خلق أفعال العباد

قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (ص: ٥٤):

فصل

ومما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ واعتراض القدرية على الاستدلال بذلك والجواب عنه نظير الاعتراض على قوله: ﴿الله خالق كل شيء﴾ وجوابه ونزيده تقريرًا أن أفعالهم أشياء ممكنة، والله قادر على كل ممكن فهو الذي جعلهم فاعلين بقدرته ومشيئته، ولو شاء لحال بينهم وبين الفعل مع سلامة آلة الفعل منهم كما قال تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ وقال: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ وقال: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا﴾.

فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه وبين الإنسان ونطقه، وبين اليد وبطشها، وبين الرجل ومشيها فكيف يظن به ظن السوء، ويجعل له مثل

السوء أنه لا يقدر على ما يقدر عليه عباده، ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون لقدرته علوًّا كبيرًا، نعم ولا نظن به ظن السوء ونجعل له مثل السوء إنه لا يعاقب عباده على ما لم يفعلوه، ولا قدرة لهم على فعله بل على ما فعله هو دونهم، واضطرهم إليه وجبرهم عليه وذلك بمنزلة عقوبة الزمن إذا لم يطر إلى السماء وعقوبة أشل اليد على ترك الكتابة وعقوبة الأخرس على ترك الكلام، فتعالى الله عن هذين المذهبين الباطلين المنحرفين عن سواء السبيل.

فصل

ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى: ﴿واللَّه جعل لكم مما خلق ظلالًا وجعل لكم من الجبال أكنانًا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ فأخبر أنه هو الذي جعل السرابيل، وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل، إلا أن بعد تحليلها صنعة الآدميين وعملهم فإذا كانت مجعولة للَّه فهي مخلوقة له بجملتها، صورتها ومادتها وهيآتها ونظير هذا قوله تعالى: ﴿واللَّه جعل لكم من بيوتكم سكنًا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم﴾.

فأخبر سبحانه أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة مجعولة له وهي إنما صارت بيوتًا بالصنعة الآدمية ونظيره قوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾.

فأخبر سبحانه أنه خالق الفلك المصنوع للعباد وأبعد من قال: إن المراد بمثله هو الإبل فإنه إخراج المماثل حقيقة واعتبار لما هو بعيد عن المماثلة ونظير ذلك قوله تعالى حكاية على خليله أنه قال لقومه: ﴿أتعبدون ما تنحتون * واللَّه

خلقكم وما تعملون﴾ فإن كانت ما مصدرية كما قدره بعضهم فالاستدلال ظاهر وليس بقوي إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتونه بأيديهم، وبين إخبارهم بأن اللَّه خالق أعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها، وغير ذلك فالأولى أن تكون ما موصولة أي: واللَّه خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له لا آلهة شركاء معه، فأخبر أنه خلق معمولهم وقد حله عملهم وصنعهم ولا يقال المراد مادته، فإن مادته غير معمولة لهم وإنما يصير معمولًا بعد عملهم.

فصل

وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي جعل أئمة الخير يدعون إلى الهدى، وأئمة الشر يدعون إلى النار، فتلك الإمامة والدعوة بجعله مجعولة له وفعل لهم قال تعالى عن آل فرعون: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾، وقال عن أئمة الهدى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ فأخبر أن هذا وهذا بجعله مع كونه كسبًا وفعلًا للأئمة ونظير ذلك قول الخليل: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ فأخبر الخليل أنه سبحانه هو الذي يجعل المسلم مسلمًا، وعند القدرية هو الذي جعل نفسه مسلمًا لا أن اللَّه جعله مسلمًا ولا جعله إمامًا يهدي بأمره ولا جعل الآخر إمامًا يدعو إلى النار على الحقيقة بل هم الجاعلون لأنفسهم كذلك حقيقة ونسبة هذا الجعل إلى اللَّه، مجاز بمعنى التسمية أي: سمنا مسلمين لك، وكذلك جعلناهم أئمة أي: سميناهم كذلك وهم جعلوا أنفسهم أئمة رشد وضلال، فمنهم الحقيقة ومنه المجاز والتعبير.

فصل

ومن ذلك؛ إخباره سبحانه بأنه هو الذي يلهم العبد فجوره وتقواه، والإلهام الإلقاء في القلب لا مجرد البيان والتعليم، كما قاله طائفة من المفسرين إذ لا يقال لمن تبين لغيره شيئًا وعلمه إياه أنه قد ألهمه ذلك، هذا لا يعرف في اللغة البتة بل الصواب ما قاله ابن زيد قال: جعل فيها فجورها وتقواها وعليه حديث عمران بن حصين أن رجلًا من مزينة أو جهينة أتى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول اللَّه: أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سابق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم؟ قال: «بل شيء قضي عليهم ومضى» قال: ففيم العمل؟ قال: «من خلقه اللَّه لإحدى المنزلتين استعمله بعمل أهلها، وتصديق ذلك في كتاب اللَّه: ﴿ونفس وما سواها ۞ فألهمها فجورها وتقواها﴾». فقراءته هذه الآية عقيب إخباره بتقديم القضاء والقدر السابق يدل على أن المراد بالإلهام استعمالها فيما سبق لها لا مجرد تعريفها، فإن التعريف والبيان لا يستلزم وقوع ما سبق به القضاء والقدر، ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده تعريف مستلزم لحصول ذلك لا تعريف مجرد عن الحصول فإنه لا يسمى إلهامًا وباللَّه التوفيق.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ۞ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾، وذات الصدور كلمة لما يشتمل عليه الصدر من الاعتقادات والإرادات والحب والبغض، أي صاحبة

الصدور فإنها لما كانت فيها قائمة بها نسبت إليها نسبة الصحبة والملازمة، وقد اختلف في إعراب ﴿من خلق﴾ هو النصب أو الرفع، فإن كان مرفوعًا فهو استدلال على علمه بذلك لخلقه له، والتقدير أنه يعلم ما تضمنته الصدور وكيف لا يعلم الخالق ما خلقه وهذا الاستدلال في غاية الظهور والصحة فإن الخلق يستلزم حياة الخالق وقدرته وعلمه ومشيئته، وإن كان منصوبًا فالمعنى ألا يعلم مخلوقه وذكر لفظة من تغليبًا ليتناول العلم العاقل وصفاته على التقديرين، فالآية دالة على خلق ما في الصدور كما هي دالة على علمه سبحانه به، وأيضًا فإنه سبحانه خلقه لما في الصدور دليلًا على علمه بها فقال: ﴿ألا يعلم من خلق﴾.

أي: كيف يخفى عليه ما في الصدور وهو الذي خلقه فلو كان ذلك غير مخلوق له لبطل الاستدلال به على العلم فخلقه سبحانه للشيء من أعظم الأدلة على علمه به فإذا انتفى الخلق انتفى دليل العلم فلم يبق ما يدل على علمه بما ينطوي عليه الصدر إذا كان غير خالق لذلك وهذا من أعظم الكفر برب العالمين وجحد لما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وعلم بالضرورة أنهم ألقوه إلى الأمم كما ألقوا إليهم أنه إله واحد لا شريك له.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ **وقوله:** ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ **وقوله:** ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية﴾ وقوله حكاية عن زكرياء أنه قال عن ولده: ﴿واجعله رب رضيًا﴾.

وقال في الطرف الآخر: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ وقال: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا﴾.

وهذه الأكنة والوقر: هي شدة البغض والنفرة والإعراض التي لا يستطيعون معها سمعًا ولا عقلًا، والتحقيق أن هذا ناشئ عن الأكنة والوقر فهو موجب ذلك ومقتضاه فمن فسر الأكنة والوقر به فقد فسرهما بموجبهما ومقتضاهما وبكل حال فتلك النفرة والإعراض والبغض من أفعالهم وهي مجعولة للَّه سبحانه، كما أن الرأفة والرحمة وميل الأفئدة إلى بيته هو من أفعالهم واللَّه جاعله فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وإراداتها واعتقاداتها فذلك كله مجعول مخلوق له، وإن كان العبد فاعلًا له باختياره وإرادته فإن قيل: هذا كله معارض بقوله تعالى: ﴿ما جعل اللَّه من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ والبحيرة والسائبة إنما صارت كذلك بجعل العباد لها فأخبر سبحانه أن ذلك لم يكن بجعله.

«**قيل**»: لا تعارض بحمد اللَّه بين نصوص الكتاب بوجه ما، والجعل ها هنا جعل شرعي أمري لا كوني قدري، فإن الجعل في كتاب اللَّه ينقسم إلى هذين النوعين كما ينقسم إليهما الأمر والإذن والقضاء والكتابة والتحريم، كما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه، فنفى سبحانه عن البحيرة والسائبة جعله الديني الشرعي، **أي**: لم يشرع ذلك ولا أمر به، ولكن الذين كفروا افتروا عليه الكذب، وجعلوا ذلك دينًا له بلا علم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾.

فأخبر سبحانه أن هذه الفتنة الحاصلة بما ألقى الشيطان هي بجعله سبحانه، وهذا جعل كوني قدري ومن هذا قوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان في «صحيحه»: «اللهم اجعلني

لك شكارًا، لك ذكارًا، لك رهابًا، لك مطواعًا، لك مخبتًا، لك أواهًا منيبًا»[1]، فسأل ربه أن يجعله كذلك وهذه كلها أفعال اختيارية واقعة بإرادة العبد واختياره وفي هذا الحديث «وسدد لساني»[2]، وتسديد اللسان جعله ناطقًا بالسداد من القول، ومثله قوله في الحديث الآخر: «اللهم اجعلني لك مخلصًا»[3] ومثله قوله: «اللهم اجعلني أعظم شكرك، وأكثر ذكرك، وأتبع نصيحتك، وأحفظ وصيتك» ومثله قول المؤمنين: ﴿ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا﴾ فالصبر وثبات الأقدام فعلان اختياريان، ولكن التصبير والتثبيت فعل الرب تعالى وهو المسئول، والصبر والثبات فعلهم القائم بهم حقيقة ومثله قوله: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحًا ترضاه﴾ وقال ابن عباس والمفسرون بعده ألهمني قال أبو إسحاق: وتأويله في اللغة كفني عن الأشياء إلا نفس شكر نعمتك، ولهذا يقال في تفسير الموزع المولع ومنه الحديث كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم موزعًا بالسؤال أي: مولعًا به كأنه كف ومنع إلا منه، وقال في «الصحاح»: وزعته أزعه وزعًا كففته فاتزع عنه أي: كف وأوزعته بالشيء أغريته به فأوزع به فهو موزع به واستوزعت اللَّه شكره فأوزعني أي:

---

(١) رواه أبو داود (ج ٤ ص: ٣٧٥)، والترمذي (ج ٩ ص: ٥٣٨)، وابن ماجه (ج ٢ ص: ١٢٥٩)، وأحمد (ج ١ ص: ٢٢٧) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنه.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: هو حديث صحيح رجاله رجال الصحيح، إلا طليق بن قيس وقد وثقه أبو زرعة والنسائي.

(٢) هو قطعة من حديث ابن عباس المتقدم الذي قد تقدم تخريجه والحمد للَّه.

(٣) رواه أبو داود (ج ٤ ص: ٣٧٣)، وأحمد (ج ٤ ص: ٣٦٩) من حديث زيد بن أرقم، وفي سنده عندهما أبو مسلم البجلي ما روى عنه إلا داود الطفاوي، ولم يوثقه معتبر كما في «تهذيب التهذيب».
وقال الإمام الذهبي في «الميزان»: لا يعرف.

استلهمته فألهمني فقد دار معنى اللفظة على معنى ألهمني ذلك واجعلني مغري به وكفني عما سواه، وعند القدرية أن هذا غير مقدور للرب بل هو غير مقدور العبد.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واعلموا أن فيكم رسول اللَّه لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن اللَّه حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ فتحبيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين هو إلقاء محبته في قلوبهم، وهذا لا يقدر عليه سواه، وأما تحبيب العبد الشيء إلى غيره فإنما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبته، فأخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين حبه وحسنه الداعي إلى حبه وألقى في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان، وأن ذلك محض فضله ومنته عليهم حيث لم يكلهم إلى أنفسهم بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكريه ضده، فجاد عليهم به فضلًا منه ونعمة واللَّه عليم بمواقع فضله، ومن يصلح ومن لا يصلح حكيم بجعله في مواضعه، **ومن ذلك قوله تعالى:** ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللَّه ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ ﴿واذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا﴾، وتأليف القلوب جعل بعضها يألف بعضًا ويميل إليه ويحبه وهو من أفعالها الاختيارية، وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي فعل ذلك لا غيره **ومن ذلك قوله:** ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾.

فأخبر سبحانه بفعلهم وهو الهمّ، وبفعله وهو كفهم عما هموا به، ولا يصح أن يقال: إنه سبحانه أشل أيديهم وأماتهم وأنزل عليهم عذابًا، حال بينهم وبين ما هموا به، بل كف قدرهم وإرادتهم مع سلامة حواسهم وبنيتهم وصحة آلات الفعل منهم، وعند القدرية هذا محال بل هم الذين يكفون أنفسهم والقرآن صريح في إبطال قولهم ومثله قوله: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ فهذا كف أيدي الفريقين مع سلامتهما وصحتهما وهو بأن حال بينهم وبين الفعل فكف بعضهم عن بعض ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن اللَّه﴾ والإيمان والطاعة من أجل النعم بل هما أجل النعم على الإطلاق فهما منه سبحانه، تعليمًا، وإرشادًا، وإلهامًا، وتوفيقًا، ومشيئة، وخلقًا، ولا يصح أن يقال إنها أمر وبيان فقط فإن ذلك حاصل بالنسبة إلى الكفار والعصاة فتكون نعمته على أهل الإيمان والطاعة والبر منهم إذ نعمة البيان والإرشاد مشتركة وهذا قول القدرية وقد صرح به كثير منهم ولم يجعلوا للَّه على العبد نعمة في مشيئته وخلقه فعله، وتوفيقه إياه حين فعله وهذا من قولهم الذي باينوا به جميع الرسل والكتب، وطردوا ذلك حين لم يجعلوا للَّه على العبد منة في إعطائه الجزاء بل قالوا: ذلك محض حقه الذي لا منة للَّه عليه فيه واحتجوا بقوله: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾، قالوا: أي غير ممنون به عليهم، إذ هو جزاء أعمالهم وأجورها، قالوا: والمنة تكدر النعمة والعطية، ولم يدعوا هؤلاء للجهل باللَّه موضعًا وقاسوا منته على منة المخلوق فإنهم مشبهة في الأفعال معطلة في الصفات ليست المنة في الحقيقة إلا اللَّه، فهو المنان بفضله وأهل سمواته وأهل أرضه في محض منته عليهم قال تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل اللَّه يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ وقال تعالى لكليمه موسى: ﴿ولقد مننا

عليك مرة أخرى ﴾ وقال : ﴿ ولقد مننا على موسى وهارون ﴾ وقال : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ولما قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم للأنصار : « ألم أجدكم ضلالًا فهداكم اللَّه بي ؟ وعالة فأغناكم اللَّه بي ؟ » ، قالوا : اللَّه ورسوله أمن وقال الرسل لقومهم : ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن اللَّه يمن على من يشاء من عباده ﴾ فمنه سبحانه محض إحسانه وفضله ورحمته وما طاب عيش أهل الجنة فيها إلا بمنته عليهم ولهذا قال أهلها وقد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون : ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمن اللَّه علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ فاجزوا المعرفتهم بربهم وحقه عليهم أن نجاهم من عذاب السموم بمحض منته عليهم وقد قال أعلم الخلق باللَّه وأحبهم إليه وأقربهم منه وأطوعهم له : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ، قالوا : ولا أنت يا رسول اللَّه ، قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه برحمة منه وفضل » ، وقال : « إن اللَّه لو عذب أهل سمواته وأرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم » ، والأول في « الصحيح » ، والثاني في « المسند » و« السنن » وصححه الحاكم وغيره فأخبر سيد العالمين والعاملين أنه لا يدخل الجنة بعمله ، وقالت القدرية : إنهم يدخلونها بأعمالهم لئلا يتكدر نعيمهم عليهم بمشيئة اللَّه بل يكون ذلك النعيم عوضًا وما رمى السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم القدرية عن قوس واحدة إلا لعظم بدعهم ومنافاتها لما بعث اللَّه به أنبياءه ورسله ، فلو أتى العباد بكل طاعة وكانت أنفاسهم كلها طاعات للَّه لكانوا في محض منته وفضله وكانت له المنة عليهم وكلما عظمت طاعة العبد كانت منة اللَّة عليه أعظم فهو المان بفضله فمن أنكر منته فقد أنكر إحسانه وأما قوله تعالى : ﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ يختلف أهل العلم باللَّه ورسوله وكتابه أن معناه غير مقطوع ومنه ريب المنون وهو الموت لأنه يقطع العمر .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ وقوله : ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ ، وهذا الإغراء والإلقاء محض فعله سبحانه ، والتعادي والتباغض أثره هو محض فعلهم ، وأصل ضلال القدرية والجبرية من عدم اهتدائهم إلى الفرق بين فعله سبحانه وفعل العبد فالجبرية جعلوا التعادي والتباغض فعل الرب دون المتعاديين والمتباغضين ، والقدرية جعلوا ذلك محض فعلهم الذي لا صنع للَّه فيه ولا قدرة ولا مشيئة ، وأهل الصراط السوي جعلوا ذلك فعلهم وهو أثر فعل اللَّه وقدرته ومشيئته كما قال تعالى : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ﴾ فالتسيير فعله ، والسير فعل العباد ، وهو أثر التسيير وكذلك الهدى والإضلال فعله ، والاهتداء والضلال أثر فعله ، وهما أفعالنا القائمة بنا فهو الهادي والعبد المهتدي ، وهو الذي يضل من يشاء والعبد الضال ، وهذا حقيقة ، وهذا حقيقة ، والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان .

فصل

يوسف الصديق : ﴿ رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾ وصرف كيدهن هو صرف دواعي قلوبهن ومكرهن بألسنتهن وأعمالهن ، وتلك أفعال اختيارية وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والانصراف أثر فعله وهو فعل النسوة ، ومن ذلك قوله سبحانه لنبيه محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلًا ﴾ فالتثبيت فعله ، والثبات فعل رسوله فهو سبحانه

المثبت وعبده الثابت ومثله قوله: ﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل اللَّه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء﴾ فأخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين فعله فإنه يفعل ما يشاء، وأما الثبات والضلال فمحض أفعالهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ فأخبر أنه هو الذي قسى قلوبهم حتى صارت قاسية فالقساوة وصفها وفعلها وهي أثر فعله وهو جعلها قاسية وذلك أثر معاصيهم ونقضهم ميثاقهم وتركهم ما ذكروا به فالآية مبطلة لقول القدرية والجبرية.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم﴾، وهم إنما خرجوا باختيارهم وقد أخبر أنه هو الذي أخرجهم، فالإخراج فعله حقيقة والخروج فعلهم حقيقة، ولولا إخراجه لما خرجوا وهذا بخلاف قوله: ﴿واللَّه أنبتكم من الأرض نباتًا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجًا﴾. وقوله: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ وقوله: ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾، فإن هذا إخراج لا صنع فيه فإنه بغير اختيارهم وإرادتهم، وأما قوله: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ فيحتمل أن يكون إخراجًا بقدره ومشيئته فيكون من الأول، ويحتمل أن يكون إخراجًا يوجبه بأمره فلا يكون من هذا، فيكون الإخراج في كتاب اللَّه ثلاثة أنواع؛ أحدها إخراج الخارج باختياره ومشيئته، والثاني إخراجه قهرًا وكرهًا، والثالث إخراجه أمرًا وشرعًا.

فصل

وقد ظن طائفة من الناس أن من هذا الباب قوله تعالى : ﴿فلم تقتلوهم ولكن اللَّه قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن اللَّه رمى﴾ ، وجعلوا ذلك من أدلتهم على القدرية ولم يفهموا مراد الآية وليست من هذا الباب ، فإن هذا خطاب لهم في وقعة بدر حيث أنزل اللَّه سبحانه ملائكته فقتلوا أعداءه فلم يفرد المسلمون بقتلهم بل قتلتهم الملائكة ، وأما رميه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فمقدوره كان هو الحذف والإلقاء ، وأما إيصال ما رمى به إلى وجوه العدو مع البعد وإيصال ذلك إلى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله ، ولكنه فعل اللَّه وحده ، فالرمي يراد به الحذف والإيصال فأثبت له الحذف بقوله : ﴿إذ رميت﴾ ونفى عنه الإيصال بقوله : ﴿وما رميت﴾ .

فصل

ومن ذلك قوله : ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ ، والضحك والبكاء فعلان اختياريان فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة ، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة ، وتأويل الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام عن ظاهره بغير موجب ، ولا منافاة بين ما يذكر من تلك التأويلات وبين ظاهره . فإن إضحاك الأرض بالنبات وإبكاء السماء بالمطر وإضحاك العبد وإبكاءه بخلق آلات الضحك والبكاء له لا ينافي حقيقة اللفظ وموضوعه ومعناه من أنه جاعل الضحك والبكاء فيه بل الجميع حق .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾ ورؤية البرق أمر واقع بإحساسهم، فالإرادة فعله والرؤية فعلنا، ولا يقال إراءة البرق خلقه فإن خلقه لا يسمى إراءة ولا يستلزم رؤيتنا له بل إراءتنا له جعلنا نراه وذلك فعله سبحانه، ومن ذلك قول الخضر لموسى: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما﴾ فبلوغ الأشد ليس من فعلهما، واستخراج الكنز من أفعالهما الاختيارية، وقد أخبر أن كليهما بإرادته سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى عن السحرة: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن اللَّه﴾. وليس إذنه ههنا أمره وشرعه بل قضاؤه وقدره ومشيئته، فهو إذًا كوني قدري لا ديني أمري.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾، وكلمة التقوى هي الكلمة التي يتقى اللَّه بها، وأعلى أنواع هذه الكلمة هي قول: لا إله إلا اللَّه، ثم كل كلمة يتقى اللَّه بها بعدها فهي من كلمة التقوى، وقد أخبر سبحانه أنه ألزمها عباده المؤمنين فجعلها لازمة لهم لا ينفكون عنها. فبالتزامه التزموها ولولا إلزامهم إياها لما التزموها، والتزامها فعل اختياري تابع لإرادتهم واختيارهم فهو الملزم وهو الملتزمون.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعًا * إذا مسه الشر جزوعًا * وإذا مسه الخير منوعًا﴾، وهذا تفسير الهلوع وهو شدة الحرص الذي يترتب عليه الجزع والمنع، فأخبر سبحانه أنه خلق الإنسان كذلك وذلك صريح في أن هلعه مخلوق للَّه كما أن ذاته مخلوقة، فالإنسان بجملته ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه مخلوق للَّه ليس فيه شيء خلق للَّه وشيء خلق لغيره. بل اللَّه خالق الإنسان بجملته وأحواله كلها، فالهلع فعله حقيقة واللَّه خالق ذلك فيه حقيقة، فليس اللَّه سبحانه بهلوع ولا العبد هو الخالق لذلك.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن اللَّه ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾، وإذنه ههنا قضاؤه وقدره لا مجرد أمره وشرعه، كذلك قال السلف في تفسير هذه الآية: قال ابن المبارك عن الثوري: بقضاء اللَّه وقال محمد بن جرير: يقول جل ذكره لنبيه وما لنفس خلقها من سبيل إلى أن تصدقك إلا أن يأذن لها في ذلك، فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد اللَّه ثم خلها فإن هداها بيد خالقها. وما قبل الآية وما بعدها لا يدل إلا على ذلك فإنه سبحانه قال: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن اللَّه﴾ أي: لا تكفي دعوتك في حصول الإيمان حتى يأذن اللَّه لمن دعوته أن يؤمن. ثم قال: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ قال ابن جرير: يقول

تعالى يا محمد قل لهؤلاء السائليك الآيات على صحة ما تدعو إليه من توحيد اللَّه وخلع الأنداد والأوثان، انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد اللَّه؛ من شمسها وقمرها واختلاف ليلها ونهارها ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها، وفي الأرض من جبالها وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم عظة ومعتبرًا ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على حفظه وتدبيره ظهير يغنيكم عما سواها من الآيات، وما يغني عن قوم قد سبق لهم من اللَّه الشقاء، وقضى عليهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار، فهم لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدقون به، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا﴾ قال ابن جرير: وكل إنسان ألزمناه ما قضي له أنه عامله وما هو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وهذا ما قاله الناس في الآية، وهو ما طار له من الشقاء والسعادة وما طار عنه من العمل. ثم ذكر عن ابن عباس قال: طائره عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وزائل معه أينما زال، وكذلك قال ابن جريج وقتادة ومجاهد: هو عمله، زاد مجاهد: وما كتب له وقال قتادة أيضًا: سعادته وشقاوته بعمله، قال ابن جرير: فإن قال قائل: فكيف قال ألزمناه طائره في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت ولم يقل في يديه أو رجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: إن العنق هي موضع السمات وموضع القلائد والأطوقة وغير ذلك مما

يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرى عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله: ﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾ وقال الفراء: الطائر معناه عندهم العمل، قال الأزهري: والأصل في هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي، فكتب ما علمه منهم أجمعين وقضى بسعادة من علمه مطيعًا وشقاوة من علمه عاصيًا فطار لكل ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، وأما قوله: في عنقه فقال أبو إسحاق: إنما يقال للشيء اللازم هذا في عنق فلان أي: لزومه له كلزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق. قال أبو علي: هذا مثل قولهم طوقتك كذا وقلدتك كذا، أي: صرفته نحوك وألزمتك إياه. ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق، وقيل: إنما خص العنق؛ لأن عمله لا يخلو إما أن يكون خيرًا أو شرًا، وذلك مما يزين أو يشين كالحلي والغل فأضيف إلى الأعناق. قالت القدرية: إلزامه ذلك وسمه به وتعليمه بعلامة يعرف الملائكة أنه سعيد أو شقي والخبر عنه لا أنه إلزامه العمل فجعله لازمًا له. قال أهل السنة: هذه طريقة لكم معروفة في تحريف الكلم عن مواضعه سلكتموها في الجسم والطبع والعقل، وهذا لا يعرفه أهل اللغة وهو خلاف حقيقة اللفظ وما فسره به أعلم الأمة بالقرآن، ولا يعرف ما قلتموه عن أحد من سلف الأمة البتة، ولا فسر الآية غيركم به ولا يصح حمل الآية عليه؛ فإن الخبر عنه بذلك والعلامة أعلم بها إنما حصل بعد طائره اللازم له من عمله فلما لزمه ذلك الطائر ولم ينفك عنه أخبر عنه بذلك وصارت عليه علامة وسمة، ونحن قد أرأيناكم أقوال أئمة الهدى وسلف الأمة في الطائر فأرونا قولكم عن واحد منهم قاله قبلكم. وكل طائفة من أهل البدع تجر القرآن إلى بدعها وضلالها وتفسره بمذاهبها وآرائها والقرآن بريء من ذلك وبالله التوفيق.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون * كذلك نسلكه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به﴾ وقد وقع هذا المعنى في القرآن في موضعين؛ هذا أحدهما والثاني في سورة الشعراء في قوله: ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ قال ابن عباس: سلك الشرك في قلوب المكذبين كما سلك الخرزة في الخيط، وقال أبو إسحاق: أي كما فعل بالمجرمين الذين استهزءوا بمن تقدم من الرسل، كذلك سلك الضلال في قلوب المجرمين واختلفوا في مفسر الضمير في قوله نسلكه فقال ابن عباس: سلكنا الشرك وهو قول الحسن. وقال الزجاج وغيره: هو الضلال وقال الربيع: يعني الاستهزاء وقال الفراء: التكذيب، وهذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، والتكذيب والاستهزاء والشرك كل ذلك فعلهم حقيقة وقد أخبر أنه سبحانه هو الذي سلكه في قلوبهم. وعندي في هذه الأقوال شيء فإن الظاهر أن الضمير في قوله: لا يؤمنون به هو الضمير في قوله: سلكناه، فلا يصح أن يكون المعنى لا يؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء، فلا تصح تلك الأقوال إلا باختلاف مفسر الضميرين والظاهر اتحاده، فالذين لا يؤمنون به هو الذي سلكه في قلوبهم وهو القرآن، فإن قيل: فما معنى سلكه إياه في قلوبهم، وهم ينكرونه قبل سلكه في قلوبهم بهذه الحال، أي: سلكناه غير مؤمنين به فدخل في قلوبهم مكذبًا به كما دخل في قلوب المؤمنين مصدقًا به. وهذا مراد من قال: إن الذي سلكه في قلوبهم هو التكذيب والضلال، ولكن فسر الآية بالمعنى، فإنه إذا دخل في قلوبهم مكذبين به، فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم، فإن قيل فما معنى

إدخاله في قلوبهم، وهم لا يؤمنون به؟ قيل: لتقوم عليهم بذلك حجة اللّٰه، فدخل في قلوبهم، وعلموا أنه حق وكذبوا به، فلم يدخل في قلوبهم دخول مصدق به مؤمن به مرضي به.

وتكذيبهم به بعد دخوله في قلوبهم أعظم كفرًا من تكذيبهم به قبل أن يدخل في قلوبهم، فإن المكذب بالحق بعد معرفته له شر من المكذب به ولم يعرفه، فتأمله فإنه من فقه التفسير واللّٰه الموفق للصواب.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾ فالإرسال ها هنا؛ إرسال كوني قدري كإرسال الرياح، وليس بإرسال ديني شرعي، فهو إرسال تسليط بخلاف قوله في المؤمنين: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فهذا السلطان المنفي عنه على المؤمنين هو الذي أرسل به جنده على الكافرين، قال أبو إسحاق: ومعنى الإرسال ها هنا التسليط. تقول: قد أرسلت فلانًا على فلان إذا سلطته عليه.

كما قال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ فاعلم أن من اتبعه هو مسلط عليه، قلت: ويشهد له قوله تعالى: ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ وقوله: ﴿تؤزهم أزًّا﴾ فالأز في اللغة التحريك، والتهييج، ومنه يقال لغليان القدر الأزيز لتحرك الماء عند الغليان. وفي الحديث كان لصدر رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وعبارات السلف تدور على هذا المعنى، قال ابن عباس: تغريهم إغراء، وفي رواية أخرى عنه تسلهم سلًّا، وفي رواية أخرى تحرضهم تحريضًا، وفي أخرى تزعجهم للمعاصي

إزعاجًا، وفي أخرى توقدهم إيقادًا، أي: كما يتحرك الماء بالوقد تحته. قال أبو عبيدة: الأزيز الإلهاب والحركة كالتهاب النار في الحطب، يقال: إز قدرك أي: ألهب تحتها النار، وائتزت القدر إذا اشتد غليانها وهذا اختيار الأخفش، والتحقيق أن اللفظة تجمع المعنيين جميعًا، قالت القدرية: معنى أرسلنا الشياطين على الكافرين خلينا بينهم وبينها ليس معناه التسليط. قال أبو علي: الإرسال بمعنى التخلية بين المرسل وما يريد، فمعنى الآية خلينا بين الشياطين والكافرين ولم يمنعهم منهم ولم يعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾. قال الواحدي: وإلى هذا الوجه يذهب القدرية في معنى الآية، وليس المعنى على ما ذهبوا إليه وقال أبو إسحاق والمختار: إنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم كما قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين﴾ وقال: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾. وإنما معنى الإرسال التسليط، قلت: وهذا هو المفهوم من معنى الإرسال كما في الحديث إذا أرسلت كلبك المعلم أي سلطته، ولو خلى بينه وبين الصيد من غير إرسال منه لم يبح صيده. وكذلك قوله: ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ وكذلك قوله: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ والتخلية بين المرسل وبين ما أرسل عليه من لوازم هذا المعنى ولا يتم التسليط إلا به، فإذا أرسل الشيء الذي من طبعه وشأنه أن تفعل فعلًا ولم تمنعه من فعله فهذا هو التسليط.

ثم إن القدرية تناقضوا في هذا القول، فإنهم إن جوزوا منعهم منهم وعصمتهم وإعادتهم فقد نقضوا أصلهم، فإن منع المختار من فعله الاختياري مع سلامة النية وصحة بنيته تدل على أن فعله وتركه مقدوران للرب، وهذا عين قول أهل السنة، وإن قالوا: لا يقدر على منعهم وعصمهم منهم وإعادتهم فقد

جعلوا قدرتهم ومشيئتهم بفعل ما لا يقدر الرب على المنع منه ، وهذا أبطل الباطل . ثم قالت القدرية : ﴿ تؤزهم أزًّا ﴾ تأمرهم بالمعاصي أمرًا ، وحكوا ذلك عن الضحاك وهذا لا يلتفت إليه ، إذ لا يقال لمن أمر غيره بشيء قد أزه . ولا تساعد اللغة على ذلك ولو كان ذلك صحيحًا لكان يؤز المؤمنين أيضًا فإنه يأمرهم بالمعاصي أكثر من أمر الكافرين ؛ فإن الكافر سريع الطاعة والقبول من الشيطان فلا يحتاج من أمره ما يحتاج إليه من أمر المؤمنين ، بل يأمر الكافر مرة ويأمر المؤمنين مرات فلو كان الأز الأمر لم يكن له اختصاص بالكافرين .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس ﴾ وقوله : ﴿ أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ وقوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ باللَّه من الشيطان الرجيم ﴾ ومن المعلوم أن الإعاذة من الشيطان الرجيم ليست بإماتته ولا تعطيل آلات كيده ، وإنما هي بأن يعصم المستعيذ من أذاه له ويحول بينه وبين فعله الاختياري له . فدل على أن فعله مقدور له سبحانه إن شاء سلطه على العبد وإن شاء حال بينه وبينه . وهذا على أصول القدرية باطل ، فلا يثبتون حقيقة الإعاذة وإن أثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد وجعلوا الآية ردًّا على الجبرية والجبرية أثبتوا حقيقة الإعاذة ولم يثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد ، بل الاستعاذة فعل الرب حقيقة كما أن الإعاذة فعله ، وقد ضل الطائفتان عن الصراط المستقيم وأصابت كل طائفة منهما فيما أثبتته من الحق .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا باللَّه ﴾ وقول هود : ﴿ وما توفيقي إلا باللَّه ﴾ ومعلوم أن الصبر والتوفيق فعل اختياري للعبد ، وقد أخبر أنه به لا بالعبد ، وهذا لا ينبغي أن يكون فعلًا للعبد حقيقة ؛ ولهذا أمر به وهو لا يأمر عبده بفعل نفسه سبحانه وإنما يؤمر العبد بفعله هو ومع هذا فليس فعله واقعًا به ، وإنما هو بالخالق لكل شيء الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فالتصبير منه سبحانه ، وهو فعله ، والصبر هو القائم بالعبد وهو فعل العبد ؛ ولهذا أثنى على من يسأله أن يصبره فقال تعالى : ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن اللَّه ﴾ .

ففي الآية أربعة أدلة :

أحدها : قولهم : ﴿ أفرغ علينا صبرًا ﴾ ، والصبر فعلهم الاختياري ، فسألوه ممن هو بيده ومشيئته وإذنه ، إن شاء أعطاهموه وإن شاء منعهموه .

والثاني : قولهم : ﴿ وثبت أقدامنا ﴾ ، وثبات الأقدام فعل اختياري ، ولكن التثبيت فعله والثبات فعلهم ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله .

الثالث : قولهم : ﴿ وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ فسألوه النصر وذلك بأن يقوي عزائمهم ويشجعهم ويصبرهم ويثبتهم ويلقي في قلوب أعدائهم الخور والخوف والرعب فيحصل النصر . وأيضًا فإن كون الإنسان منصورًا على غيره ؛ إما أن يكون بأفعال الجوارح وهو واقع بقدرة العبد واختياره ، وإما أن يكون بالحجة والبيان والعلم وذلك أيضًا فعل العبد . وقد أخبر سبحانه أن النصر بجملته من عنده وأثنى على من طلبه منه ، وعند القدرية لا يدخل تحت مقدور الرب .

الرابع : قوله : ﴿ فهزموهم بإذن اللَّه ﴾ وإذنه ها هنا هو الإذن الكوني القدري ، أي : بمشيئته وقضائه وقدره ، وليس هو الإذن الشرعي ، الذي بمعنى الأمر ، فإن ذلك لا يستلزم الهزيمة ، بخلاف إذنه الكوني وأمره الكوني فإن المأمور المكون لا يتخلف عنه البتة .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ وفي الآية رد ظاهر على الطائفتين وإبطال لقولهما ، فإنه سبحانه أغفل قلب العبد عن ذكره ، فغفل هو ، فالإغفال فعل اللَّه والغفلة فعل العبد ، ثم أخبر عن اتباعه هواه وذلك فعل العبد حقيقة ، والقدرية تحرف هذا النص وأمثاله بالتسمية والعلم ، فيقولون معنى أغفلنا قلبه ، سميناه غافلًا أو وجدناه غافلًا ، أي : علمناه كذلك ، وهذا من تحريفهم . بل أغفلته مثل أقمته وأقعدته وأغنيته وأفقرته أي : جعلته كذلك وأما أفعلته أو أوجدته كذلك كأحمدته وأجنبته وأبخلته وأعجزته فلا يقع في أفعال اللَّه البتة ، إنما يقع في أفعال العاجز أن يجعل جبانًا وبخيلًا وعاجزًا ، فيكون معناه صادفته كذلك ، وهو يخطر بقلب الداعي اللهم أقدرني أو أوزعني وألهمني ، **أي** : سمني وأعلمني كذلك ، وهل هذا إلا كذب عليه وعلى المدعو سبحانه ، والعقلاء يعلمون علمًا ضروريًّا أن الداعي إنما سأل اللَّه أن يخلق له ذلك ويشاء له ويقدره عليه ، حتى القدري إذا غابت عنه بدعته وما تقلده عن أشياخه وأسلافه وبقي وفطرته ، لم يخطر بقلبه سوى ذلك . وأيضًا فلا يمكن أن يكون العبد هو المغفل لنفسه عن الشيء ، فإن إغفاله لنفسه عنه مشروط بشعوره به ، وذلك مضاد لغفلته عنه ، بخلاف إغفال الرب تعالى له ، فإنه لا يضاد علمه بما يغفل عنه العبد ،

وبخلاف غفلة العبد ، فإنها لا تكون إلا مع عدم شعوره بالمغفول عنه ، وهذا ظاهر جدًّا فثبت أن الإغفال فعل اللَّه بعبده والغفلة فعل العبد .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى إخبارًا عن نبيه شعيب أنه قال لقومه : ﴿ قد افترينا على اللَّه كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا اللَّه منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء اللَّه ربنا ﴾ وهذا يبطل تأويل القدرية المشيئة في مثل ذلك ، بمعنى الأمر ، فقد علمت أنه من الممتنع على اللَّه أن يأمر بالدخول في ملة الكفر والشرك به ، ولكن استثنوا بمشيئته التي يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء ، ثم قال شعيب : ﴿ وسع ربنا كل شيء علمًا ﴾ فرد الأمر إلى مشيئته وعلمه فإن له سبحانه في خلقه علم محيط ومشيئته نافذة وراء ما يعلمه الخلائق فامتناعنا من العود فيها هو مبلغ علومنا ومشيئتنا ، وللَّه علم آخر ومشيئة أخرى وراء علومنا ومشيئتنا فلذلك رد الأمر إليه ومثله قول إبراهيم : ﴿ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء اللَّه ربي شيئًا وسع ربي كل شيء علمًا أفلا تتذكرون ﴾ ، فأعادت الرسل بكمال معرفتها باللَّه أمورها إلى مشيئة الرب وعلمه ؛ ولهذا أمر اللَّه رسوله أن لا يقول لشيء إنه فاعله حتى يستثني بمشيئة اللَّه ، فإنه إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله ؛ وقد تقدم تقرير هذا المعنى .

وبالجملة ؛ فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد .

ولهذا ؛ كان إثبات القدر أساس التوحيد ، قال ابن عباس : الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده ا.هـ. كلامه رحمه اللَّه .

عقوبة من لم يسند الأمور إلى اللَّه خالقها وبارئها

قال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن اللَّه لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك اللَّه الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن اللَّه إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن اللَّه لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن اللَّه قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب اللَّه خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون اللَّه وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من اللَّه علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾.

وقال الإمام البخاري (ج ٦ ص: ٥٠٠): حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام، حدثنا إسحاق بن عبد اللَّه قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم. (ح) وحدثني محمد[1]، حدثنا عبد اللَّه بن رجاء، أخبرنا

---

(١) قال الحافظ: يقال إن محمدًا هذا هو الذهلي، ويقال: إنه المصنف نفسه كما قيل في الحديث الذي قبله، ويؤيد ذلك أنه روى عن عبد اللَّه بن رجاء في اللقطة وعدة مواضع بغير واسطة =

همام عن إسحاق بن عبد اللَّه قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة رضي اللَّه عنه حدثه أنه سمع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا للَّه عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، أو قال: البقر- هو شك في ذلك إن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر- فأعطي ناقة عشراء فقال: يبارك لك فيها. وأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب هذا عني قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب وأعطي شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر قال: فأعطاه بقرة حاملًا وقال: يبارك لك فيها. وأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد اللَّه إليّ بصري فأبصر به الناس قال: فمسحه فرد اللَّه إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة ولودًا فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ لي اليوم إلا باللَّه ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا وأعطاك اللَّه، فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته

= لكن جزم به أبو ذر بأنه عند المصنف عن محمد غير منسوب عن عبد اللَّه بن رجاء، وجوز أنه الذهلي وساقه عن الجوزقي عن مكي بن عبدان عن الذهلي بطوله، وكذا جزم أبو نعيم، وساق من طريق موسى بن العباس عن محمد بن يحيى، وسيأتي في التوحيد حديث آخر أخرجه البخاري بهذين السندين سواء عن أبي هريرة ا.هـ.

فقال له مثل ما قال لهذا ، فرد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك اللَّه إلى ما كنت وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا باللَّه ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري . وقال له : قد كنت أعمى فرد اللَّه بصري ، وفقيرًا فقد أغناني ، فخذ ما شئت فواللَّه لا أجهدك اليوم بشيء أخذته للَّه ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي اللَّه عنك وسخط على صاحبيك » .

● قال الحافظ :

قوله : بدا للَّه ، بتخفيف الدال المهملة بغير همز ، أي : سبق في علم اللَّه ، فأراد إظهاره ، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيًا ؛ لأن ذلك محال في حق اللَّه تعالى ، وقد أخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ ، عن همام ، بهذا الإسناد ، بلفظ أراد اللَّه أن يبتليهم ، فلعل التغيير فيه من الرواة ، مع أن في الرواية أيضًا نظرًا ؛ لأنه لم يزل مريدًا ، والمعنى أظهر اللَّه ذلك فيهم ، **وقيل** : معنى أراد قضى ، **وقال صاحب « المطالع »** : ضبطناه على متقني مشايخنا بالهمز ؛ أي : ابتدأ اللَّه أن يبتليهم قال : ورواه كثير من الشيوخ بغير همز ، وهو خطأ . انتهى . وسبق إلى التخطئة أيضًا الخطابي ، وليس كما قال ؛ لأنه موجه كما ترى ، وأولى ما يحمل عليه أن المراد قضى اللَّه أن يبتليهم ، وأما البدء الذي يراد به تغير الأمر عما كان عليه فلا ا.هـ .

إسناد الأمور إلى غير خالقها تكذيب للَّه

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٥٢٢) : باب قوله : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ قال ابن عباس : شكركم . حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك عن صالح بن كيسان ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن مسعود ، عن زيد بن خالد الجهني ، أنه قال : صلى لنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم صلاة

الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أقبل على الناس ، فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي ، وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل اللَّه ورحمته ؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص : ٨٣) فقال : حدثنا يحيى بن يحيى قرأت على مالك به .

وقال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ١ ص : ٨٤) : وحدثني عباس بن عبد العظيم العنبري ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة ، وهو ابن عمار ، حدثنا أبو زميل ، قال : حدثني ابن عباس قال : مطر الناس على عهد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « أصبح من الناس شاكر ، ومنهم كافر ، قالوا : هذه رحمة اللَّه ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ حتى بلغ : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ » .

● **قال الإمام النووي رحمه اللَّه** (ج ٢ ص : ٦٢) :

قال الشيخ أبو عمرو رحمه اللَّه : ليس مراده أن جميع هذا نزل في قولهم في الأنواء ؛ فإن الأمر في ذلك وتفسيره يأبى ذلك ، وإنما النازل في ذلك قوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ والباقي نزل في غير ذلك ، ولكن اجتمعا في وقت النزول ، فذكر الجميع من أجل ذلك ، قال الشيخ أبو عمرو رحمه اللَّه : ومما يدل على هذا أن في بعض الروايات عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما في ذلك الاقتصار على هذا القدر اليسير فحسب ، هذا آخر كلام الشيخ رحمه اللَّه ا.هـ .

﴿ لست أحملكم ولكن اللَّه حملكم ﴾

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ٥٢٧) : حدثنا عبد اللَّه بن عبد الوهاب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة والقاسم التميمي ، عن زهدم ، قال : كان بين هذا الحي من جرم وبين الأشعريين ود وإخاء ، فكنا عند أبي موسى الأشعري فقرب إليه الطعام فيه لحم دجاج ، وعنده رجل من بني تيم اللَّه ، كأنه من الموالي ، فدعاه إليه ، فقال الرجل : إني رأيته يأكل شيئًا فقذرته ؛ فحلفت لا آكله ، فقال : هلم فلأحدثك عن ذاك إني أتيت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في نفر من الأشعريين نستحمله ، قال : « واللَّه لا أحملكم ، وما عندي ما أحملكم » ، فأتي النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بنهب إبل فسأل عنا ، فقال : « أين النفر الأشعريون ؟ » فأمر لنا بخمس ذود غر الذري ، ثم انطلقنا ، قلنا : ما صنعنا ؟ حلف رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لا يحملنا ، وما عنده ما يحملنا ، ثم حملنا تغفلنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بيمينه ، واللَّه لا نفلح أبدًا ، فرجعنا إليه ، فقلنا له ، فقال : « لست أنا أحملكم ولكن اللَّه حملكم ، إني واللَّه لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير منه ، وتحللتها » .

أخرجه مسلم (ج٣ ص : ١٢٧٠) .

* * *

أدلة الختم والطبع

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿قل أرأيتم إن أخذ اللَّه سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من إله غير اللَّه يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون * تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع اللَّه على قلوب الكافرين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون * لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿الذين يجادلون في آيات اللَّه بغير سلطان أتاهم كبر مقتًا عند اللَّه وعند الذين آمنوا كذلك يطبع اللَّه على كل قلب متكبر جبار﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات اللَّه وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع اللَّه عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذًا أبدًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله اللَّه على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد اللَّه أفلا تذكرون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفًا أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٢٠٥٠) : حدثنا عبد اللَّه بن مسلمة ابن قعنب ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن رقبة بن مسقلة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا ، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا » .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٥٩١) : وحدثني الحسن بن علي الحلواني ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية ، وهو ابن سلام ، عن زيد - يعني أخاه - ، أنه سمع أبا سلام ، قال : حدثني الحكم بن ميناء أن عبد اللَّه بن عمرو وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول على أعواد منبره : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن اللَّه على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » .

* * *

كلام الحافظ ابن القيم على الختم والطبع وما شابههما

قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (ص: ٨٥) الباب الخامس عشر: في الطبع، والختم، والقفل، والغل، والسد، والغشاوة، والحائل بين الكافر وبين الإيمان، وأن ذلك مجعول للرب تعالى.

قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾. **وقال تعالى:** ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله اللَّه على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد اللَّه أفلا تذكرون﴾ **وقال تعالى:** ﴿وقولهم قلوبنا غلف بل طبع اللَّه عليها بكفرهم﴾.

وقال: ﴿كذلك يطبع اللَّه على قلوب الكافرين﴾.

وقال: ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾.

وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾.

وقال: ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.

وقد دخل هذه الآيات ونحوها طائفتا القدرية والجبرية، فحرفها القدرية بأنواع من التحريف المبطل لمعانيها وما أريد منها، وزعمت الجبرية أن اللَّه أكرهها على ذلك وقهرها عليه وأجبرها من غير فعل منها ولا إرادة ولا اختيار

ولا كسب البتة، بل حال بينها وبين الهدى ابتداء من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضي ذلك، بل أمره وحال مع أمره بينه وبين الهدى، فلم ييسر إليه سبيلًا، ولا أعطاه عليه قدرة، ولا مكنه منه بوجه، وأراد بعضهم بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي ورضيه منه، فهدى أهل السنة والحديث وأتباع الرسول لما اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. **وقالت القدرية**: لا يجوز حمل هذه الآيات على أنهم منعهم من الإيمان، وحال بينهم وبينه؛ إذ يكون لهم الحجة على الله، ويقولون كيف يأمرنا بأمر، ثم يحول بيننا وبينه، ويعاقبنا عليه وقد منعنا من فعله، وكيف يكلفنا بأمر لا قدرة لنا عليه، وهل هذا إلا بمثابة من أمر عبده بالدخول من باب ثم سد عليه الباب سدًّا محكمًا لا يمكنه الدخول معه البتة ثم عاقبه أشد العقوبة على عدم الدخول، وبمنزلة من أمره بالمشي إلى مكان ثم قيده بقيد لا يمكنه معه نقل قدمه ثم أخذ يعاقبه على ترك المشي، وإذا كان هذا قبيحًا في خلق المخلوق الفقير المحتاج فكيف ينسب إلى الرب تعالى مع كمال غناه وعلمه وإحسانه ورحمته! قالوا: وقد كذّب الله سبحانه الذين قالوا: قلوبنا غلف وفي أكنة وأنها قد طبع عليها، وذمهم على هذا القول، فكيف ينسب إليه تعالى؟ ولكن القوم لما أعرضوا وتركوا الاهتداء بهداه الذي بعث به رسله حتى صار ذلك الإعراض والنفار كالألف والطبيعة والسجية، أشبه حالهم حال من منع عن الشيء وصد عنه، وصار هذا وقرًا في آذانهم، وختمًا على قلوبهم، وغشاوة على أعينهم، فلا يخلص إليها الهدى، وإنما أضاف الله تعالى ذلك إليه؛ لأن هذه الصفة قد صارت في تمكنها وقوة ثباتها كالخلقة التي خلق عليها العبد، قالوا: ولهذا قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ وقال: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ وقال: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وقال: ﴿فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم

يلقونه بما أخلفوا اللَّه ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ ولعمر اللَّه أن الذي قاله هؤلاء حقه أكثر من باطله، وصحيحه أكثر من سقيمه، ولكن لم يوفوه حقه، وعظموا اللَّه من جهة وأخلوا بتعظيمه من جهة؛ فعظموه بتنزيهه عن الظلم وخلاف الحكمة وأخلوا بتعظيمه من جهة التوحيد وكمال القدرة ونفوذ المشيئة، والقرآن يدل على صحة ما قالوه في الران والطبع والختم من وجه، وبطلانه من وجه، وأما صحته: فإنه سبحانه جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم وإعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه كما قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم واللَّه لا يهدي القوم الفاسقين﴾ وقال: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ وقال: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ وقال: ﴿ثم انصرفوا صرف اللَّه قلوبهم﴾.

وقد **اعترف بعض القدرية** بأن ذلك خلق اللَّه سبحانه ولكنه عقوبة على كفرهم وإعراضهم السابق، فإنه سبحانه يعاقب على الضلال المقدور بإضلال بعده، ويثيب على الهدى بهدى بعده، كما يعاقب على السيئة بسيئة مثلها، ويثيب على الحسنة بحسنة مثلها.

وقال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وقولوا قولًا سديدًا * يصلح لكم أعمالكم﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا اللَّه يجعل لكم فرقانًا ويكفر ...﴾ ومن الفرقان الهدى الذي يفرق به بين الحق والباطل وقال في ضد ذلك: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين واللَّه أركسهم بما كسبوا﴾ وقال: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم اللَّه مرضًا﴾ وقال: ﴿ثم انصرفوا صرف اللَّه قلوبهم﴾ وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء حق والقرآن دل عليه، وهو موجب العدل، واللَّه سبحانه

ماض في العبد حكمه، عدل في عبده قضاؤه، فإنه إذا دعا عبده إلى معرفته ومحبته وذكره وشكره فأبى العبد إلا إعراضًا وكفرًا قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره، وصده عن الإيمان به، وحال بين قلبه وبين قبول الهدى، وذلك عدل منه فيه، وتكون عقوبته بالختم والطبع والصد عن الإيمان كعقوبته له بذلك في الآخرة، مع دخول النار كما قال: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ فحجابه عنهم إضلال لهم، وصد عن رؤيته، وكمال معرفته، كما عاقب قلوبهم في هذه الدار بصدها عن الإيمان، وكذلك عقوبته لهم بصدهم عن السجود له يوم القيامة مع الساجدين هو جزاء امتناعهم من السجود له في الدنيا، وكذلك عماهم عن الهدى في الآخرة عقوبة لهم على عماهم في الدنيا، ولكن أسباب هذه الجرائم في الدنيا كانت مقدورة لهم، واقعة باختيارهم، وإرادتهم، وفعلهم، فإذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم وقال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا﴾.

ومن ها هنا ينفتح للعبد باب واسع عظيم النفع جدًا في قضاء اللَّه المعصية والكفر والفسوق على العبد، وإن ذلك محض عدل فيه، وليس المراد بالعدل ما يقوله الجبرية إنه الممكن؛ فكل ما يمكن فعله بالعبد فهو عندهم عدل، والظلم هو الممتنع لذاته، فهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب الكلام في الأسباب والحكم، ولا المراد به ما تقوله القدرية النفاة أنه إنكار عموم قدرة اللَّه ومشيئته على أفعال عباده، وهدايتهم، وإضلالهم، وعموم مشيئته لذلك، وأن الأمر إليهم، لا إليه، وتأمل قول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «ماض في حكمك، عدل في قضاؤك»، كيف ذكر العدل في القضاء مع الحكم النافذ، وفي ذلك رد لقول الطائفتين القدرية والجبرية؛ فإن العدل الذي

أثبته القدرية مناف للتوحيد، معطل لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته، والعدل الذي أثبته الجبرية مناف للحكمة والرحمة ولحقيقة العدل، والعدل الذي هو اسمه وصفته ونعته سبحانه خارج عن هذا، وهذا لم يعرفه إلا الرسل وأتباعهم؛ ولهذا قال هود عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿إني توكلت على اللَّه ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ فأخبر عن عموم قدرته، ونفوذ مشيئته، وتصرفه في خلقه كيف شاء، ثم أخبر أنه في هذا التصرف والحكم على صراط مستقيم، وقال أبو إسحاق: **أي**: هو سبحانه وإن كانت قدرته تنالهم بما شاء فإنه لا يشاء إلا العدل، **وقال ابن الأنباري**: لما قال هو آخذ بناصيتها كان في معنى لا يخرج من قبضته، وأنه قاهر بعظيم سلطانه لكل دابة، فأتبع قوله: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾، قال: وهذا نحو كلام العرب إذا وصفوا بحسن السيرة والعدل والإنصاف قالوا: فلان على طريقة حسنة وليس ثم طريق، ثم ذكر وجهًا آخر فقال: لما ذكر أن سلطانه قد قهر كل دابة أتبع هذا قوله: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾؛ **أي**: لا تخفى عليه مشيئته، ولا يعدل عنه هارب، فذكر الصراط المستقيم وهو يعني به الطريق الذي لا يكون لأحد مسلك إلا عليه كما قال: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾. قلت: فعلى هذا القول الأول يكون المراد أنه في تصرفه في ملكه يتصرف بالعدل ومجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ولا يظلم مثقال ذرة، ولا يعاقب أحدًا بما لم يجنه، ولا يهضمه ثواب ما عمله، ولا يحمل عليه ذنب غيره، ولا يأخذ أحدًا بجريرة أحد، ولا يكلف نفسًا ما لا تطيقه، فيكون من باب له الملك وله الحمد، ومن باب «ماض في حكمك عدل في قضاؤك»، ومن باب ﴿الحمد للَّه رب العالمين﴾؛ أي: كما أنه رب العالمين المتصرف فيهم بقدرته ومشيئته فهو المحمود على هذا التصرف وله الحمد على جميعه، وعلى القول

الثاني المراد به التهديد والوعيد وأن مصير العباد إليه وطريقهم عليه لا يفوته منهم أحد كما قال تعالى: ﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم﴾، قال الفراء: يقول: مرجعهم إليّ فأجازيهم كقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ قال: وهذا كما تقول في الكلام طريقك علي وأنا على طريقك لمن أوعدته، وكذلك قال الكلبي والكسائي، ومثل قوله: ﴿وعلى اللَّه قصد السبيل﴾ على أحد القولين في الآية، وقال مجاهد: الحق يرجع إلى اللَّه وعليه طريقه ومنها أي ومن السبيل، ما هو جائر عن الحق، ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ فأخبر عن عموم مشيئته وأن طريق الحق عليه موصولة إليه فمن سلكها فإليه يصل ومن عدل عنها فإنه يضل عنه، والمقصود أن هذه الآيات تتضمن عدل الرب تعالى وتوحيده، واللَّه يتصرف في خلقه بملكه وحمده وعدله وإحسانه؛ فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وشرعه وقدره وثوابه وعقابه، يقول الحق، ويفعل العدل ﴿واللَّه يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ فهذا العدل والتوحيد الذين دل عليهما القرآن لا يتناقضان، وأما توحيد أهل القدر والجبر وعدلهم فكل منهما يبطل الآخر ويناقضه.

فصل

ومن سلك من القدرية هذه الطريق فقد توسط بين الطائفتين، لكنه يلزمه الرجوع إلى مثبتي القدر، وإلا تناقض قطعًا، وإلا تناقض أبين تناقض، فإنه إذا زعم أن الضلال والطبع والختم والقفل والوقر وما يحول بين العبد والإيمان مخلوق للَّه، وهو واقع بقدرته ومشيئته، فقد أعطى أن أفعال العباد مخلوقة، وأنها واقعة بمشيئته فلا فرق بين الفعل الابتدائي والفعل الجزائي إن كان هذا مقدورًا للَّه واقعًا بمشيئته والآخر كذلك، وإن لم يكن ذلك مقدورًا ولا يصح دخوله تحت المشيئة فهذا كذلك، والتفريق بين النوعين تناقض محض، وقد

حكى هذا التفريق عن بعض القدرية أبو القاسم الأنصاري في شرحه «الإرشاد»، فقال: ولقد اعترف بعض القدرية بأن الختم والطبع توابع غير أنها عقوبات من اللَّه لأصحاب الجرائم فقال: وممن صار إلى هذا المذهب عبد الواحد بن زيد البصري، وبكر ابن أخته، قال: وسبيل المعاقبين بذلك سبيل المعاقبين بالنار، وهؤلاء قد بقي عليهم درجة واحدة، وقد تحيزوا إلى أهل السنة والحديث.

فصل

وقالت طائفة منهم: الكافر هو الذي طبع على قلب نفسه في الحقيقة وختم على قلبه، والشيطان أيضًا فعل ذلك، ولكن لما كان اللَّه سبحانه هو الذي أقدر العبد والشيطان على ذلك نسب الفعل إليه لإقراره للفاعل على ذلك؛ لأنه هو الذي فعله.

قال أهل السنة؛ والعدل: هذا الكلام فيه حق وباطل، فلا يقبل مطلقًا، ولا يرد مطلقًا؛ فقولكم: إن اللَّه سبحانه أقدر الكافر والشيطان على الطبع والختم كلام باطل؛ فإنه لم يقدره إلا على التزيين والوسوسة والدعوة إلى الكفر، ولم يقدره على خلق ذلك في قلب العبد البتة، هو أقل من ذلك وأعجز، وقد قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «بعثت داعيًا ومبلغًا وليس إلي من الهداية شيء، وخلق إبليس مزينًا وليس إليه من الضلالة شيء». فمقدور الشيطان أن يدعو العبد إلى فعل الأسباب التي إذا فعلها ختم اللَّه على قلبه وسمعه وطبع عليه، كما يدعوه إلى الاسباب التي إذا فعلها عاقبه اللَّه بالنار، فعقابه بالنار كعقابه بالختم والطبع، وأسباب العقاب فعله، وتزيينها وتحسينها فعل الشيطان، والجميع مخلوق للَّه.

وأما ما في هذا الكلام من الحق فهو أن اللَّه سبحانه أقدر العبد على الفعل الذي أوجب الطبع والختم على قلبه ، فلولا إقدار اللَّه له على ذلك لم يفعله ، وهذا حق ، لكن القدرية لم توف هذا الموضوع حقه وقالت : أقدره قدرة تصلح للضدين ، فكان فعل أحدهما باختياره ومشيئته التي لا تدخل تحت مقدور الرب ، وإن دخلت قدرته الصالحة تحت مقدوره سبحانه فمشيئته واختياره وفعله غير واقع تحت مقدور الرب ، وهذا من أبطل الباطل ؛ فإن كل ما سواه تعالى مخلوق له داخل تحت قدرته واقع بمشيئته ، وما لم يشأ لم يكن .

قالت القدرية : لما أعرضوا على التدبر ، ولم يصغوا إلى التذكر ، وكان ذلك مقارنًا لإيراد اللَّه سبحانه حجته عليهم ، أضيفت أفعالهم إلى اللَّه ؛ لأن حدوثها إنما اتفق عند إيراد الحجة عليهم .

قال أهل السنة : هذا من أمحل المحال أن يضيف الرب إلى نفسه أمرًا لا يضاف إليه البتة لمقارنته ما هو من فعله ، ومن المعلوم أن الضد يقارن الضد ، فالشر يقارن الخير ، والحق يقارن الباطل ، والصدق يقارن الكذب ، وهل يقال : إن اللَّه يحب الكفر والفسوق والعصيان لمقارنتهما ما يحبه من الإيمان والطاعة ، وأنه يحب إبليس لمقارنة وجوده لوجود الملائكة ، فإن قيل : قد ينسب الشيء إلى الشيء لمقارنته له وإن لم يكن له فيه تأثير كقوله تعالى : ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ ومعلوم أن السورة لم تحدث لهم زيادة رجس ، بل قارن زيادة رجسهم نزولها ، فنسب إليها ، قيل : لم ينحصر الأمر في هذين الأمرين الذين ذكرتموهما وهما : إحداث السورة الرجس ، والثاني مقارنته لنزولها ، بل هاهنا أمر ثالث وهو أن السورة لما أنزلت اقتضى نزولها

الإيمان بها والتصديق والإذعان لأوامرها ونواهيها، والعمل بما فيها، فوطن المؤمنون أنفسهم على ذلك، فازدادوا إيمانًا بسببها، فنسبت زيادة الإيمان إليها؛ إذ هي السبب في زيادته، وكذب بها الكافرون وجحدوها، وكذبوا من جاء بها، ووطنوا أنفسهم على مخالفة ما تضمنته وإنكاره، فازدادوا بذلك رجسًا، فنسب إليها إذ كان نزولها ووصولها إليهم هو السبب في تلك الزيادة، فإن هذا من نسبة الأفعال القبيحة عندكم التي لا تجوز نسبتها إلى اللّٰه عند دعوتهم إلى الإيمان وتدبر آياته! على أن أفعالهم القبيحة لا تنسب إلى اللّٰه سبحانه، وإنما هي منسوبة إليهم، والمنسوب إليه سبحانه أفعاله الحسنة الجميلة المتضمنة للغايات المحمودة والحكم المطلوبة، والختم والطبع والقفل والإضلال أفعال حسنة من اللّٰه وضعها في أليق المواضع بها؛ إذ لا يليق بذلك المحل الخبيث غيرها والشرك والكفر والمعاصي والظلم أفعالهم القبيحة التي لا تنسب إلى اللّٰه فعلًا وإن نسبت إليه خلقًا، فخلقها غيرها، والخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول، والقضاء غير المقضي، والقدر غير المقدور، وستمر بك هذه المسألة مستوفاة إن شاء اللّٰه في باب اجتماع الرضا بالقضاء وسخط الكفر والفسوق والعصيان إن شاء اللّٰه.

قالت القدرية: لما بلغوا في الكفر إلى حيث لم يبق طريق إلى الإيمان لهم إلا بالقسر والإلجاء ولم تقتض حكمته تعالى أن يقسرهم على الإيمان لئلا تزول حكمة التكليف عبر عن ترك الإلجاء والقسر بالختم والطبع، إعلامًا لهم بأنهم انتهوا في الكفر والإعراض إلى حيث لا ينتهون عنه إلا بالقسر، وتلك الغاية في وصف لجاجهم وتماديهم في الكفر.

قال أهل السنة: هذا كلام باطل فإنه سبحانه قادر على أن يخلق فيهم مشيئة الإيمان وإرادته ومحبته، فيؤمنون بغير قسر ولا إلجاء بل إيمان اختيار

وطاعة كما قال تعالى : ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا﴾ وإيمان القسر والإلجاء لا يسمى إيمانًا ؛ ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة ولا يسمى ذلك إيمانًا ؛ لأنه عن إلجاء واضطرار وقال تعالى : ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ وما يحصل للنفوس من المعرفة والتصديق بطريق الإلجاء والاضطرار والقسر لا يسمى هدى ، وكذلك قوله : ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء اللَّه لهدى الناس جميعًا﴾ فقولكم لم يبق طريق إلى الإيمان إلا بالقسر باطل ؛ فإنه بقي إلى إيمانهم طريق لم يرهم اللَّه إياه وهو مشيئته وتوفيقه وإلهامه وإمالة قلوبهم إلى الهدى وإقامتها على الصراط المستقيم ، وذلك أمر لا يعجز عنه رب كل شيء ومليكه ، بل هو القادر عليه كقدرته على خلقه ذواتهم وصفاتهم ودرائهم ، ولكن منعهم ذلك لحكمته ، وعدله فيهم ، وعدم استحقاقهم وأهليتهم لبذل ذلك لهم ، كما منع السفل خصائص العلو ، ومنع الحار بعض البارد ، ومنع الخبيث خصائص الطيب ، ولا يقال فلم فعل هذا ؛ فإن ذلك من لوازم ملكه وربوبيته ومن مقتضيات أسمائه وصفاته ، وهل يليق بحكمته أن يسوي بين الطيب والخبيث والحسن والقبيح والجيد والرديء؟ ومن لوازم الربوبية خلق الزوجين ، وتنويع المخلوقات وأخلاقها . فقول القائل : لم خلق الرديء والخبيث واللئيم ، سؤال جاهل بأسمائه ، وصفاته ، وملكه ، وربوبيته ، وهو سبحانه فرق بين خلقه أعظم تفريق ، وذلك من كمال قدرته وربوبيته ، فجعل منه ما يقبل جميع الكمال الممكن ، ومنه ما لا يقبل شيئًا منه ، وبين ذلك درجات متفاوتة لا يحصيها إلا الخلاق العليم ، وهدى كل نفس إلى حصول ما هي قابلة له ، والقابل والمقبول كله مفعوله ، ومخلوقه ، وأثر فعله وخلقه ، وهذا هو الذي ذهب عن الجبرية والقدرية ، ولم يهتدوا إليه ، وباللَّه التوفيق .

قالت القدرية: الختم والطبع، وهو شهادته سبحانه عليهم بأنهم لا يؤمنون وعلى أسماعهم، وعلى قلوبهم.

قال أهل السنة: هذا هو قولكم بأن الختم والطبع هو الإخبار عنهم بذلك، وق تقدم فساد هذا بما فيه كفاية، وأنه لا يقال في لغة من لغات الأمم لمن أخبر عن غيره بأنه مطبوع على قلبه، وأن عليه ختمًا، أنه: قد طبع على قلبه، وختم عليه بل هذا كذب على اللغات، وعلى القرآن، وكلك قول من قال إن ختمه على قلوبهم إطلاعه على ما فيها من الكفر، وكذلك قول من قال: إنه إحصاؤه عليهم حتى يجازيهم به، وقول من قال: إنه إعلامها بعلامة تعرفها بها الملائكة، وقد بينا بطلان ذلك بما فيه كفاية، قالت القدرية: لا يلزم من الطبع والختم والقفل أن تكون مانعة من الإيمان، بل يجوز أن يجعل اللَّه فيهم ذلك من غير أن يكون منهم من الإيمان، بل يكون ذلك من جنس الغفلة والبلادة والغشا في البصر، فيورث ذلك إعراضًا عن الحق، وتعاميًا عنه، ولو أمعن النظر وتفكر وتدبر لما آثر على الإيمان غيره، وهذا الذي قالوا: يجوز أن يكون في أول الأمر، فإذا تمكن واستحكم من القلب ورسخ فيه امتنع معه الإيمان، ومع هذا فهو أثر فعله وإعراضه وغفلته وإيثار شهوته وكبره على الحق والهدى، فلما تمكن فيه واستحكم صار صفة راسخة وطبعًا وختمًا وقفلًا ورانًا، فكان مبداه غير حائل بينهم وبين الإيمان، والإيمان ممكن معه لو شاءوا لآمنوا مع مبادئ تلك الموانع، فلما استحكمت لم يبق إلى الإيمان سبيل، ونظير هذا أن العبد يستحسن ما يهواه فيميل إليه بعض الميل، ففي هذه الحال يمكن صرف الداعية له؛ إذ الأسباب لم تستحكم، فإذا استمر على ميله واستدعى أسبابه واستمكنت لم يمكنه صرف قلبه عن الهوى، والمحبة، فيطبع على قلبه، ويختم عليه، فلا يبقى فيه محل ما يهواه، ويحبه،

وكان الانصراف مقدورًا له في أول الأمر، فلما تمكنت أسبابه لم يبق مقدورًا له، كما قال الشاعر:

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

فلو أنهم بادروا في مبدأ الأمر إلى مخالفة الأسباب الصادة عن الهدى لسهل عليهم، ولما استعصى عليهم، ولقدروا عليه، ونظير ذلك المبادرة إلى إزالة العلة قبل استحكام أسبابها، ولزومها للبدن لزومًا لا ينفك منها، فإذا استحكمت العلة، وصارت كالجزء من البدن، عز على الطبيب استنقاذ العليل منها، ونظير ذلك المتوحل في حمأة فإنه ما لم يدخل تحتها فهو قادر على التخلص، فإذا توسط معظمها عز عليه وعلى غيره إنقاذه، فمبادئ الأمور مقدورة للعبد، فإذا استحكمت أسبابها وتمكنت لم يبق الأمر مقدورًا له، فتأمل هذا الموضع حق التأمل، فإنه من أنفع الأشياء في باب القدر، والله الموفق للصواب، والله سبحانه جاعل ذلك كله وخالقه فيهم بأسباب منهم، وتلك الأسباب قد تكون أمورًا عدمية، يكفي فيها عدم مشيئة أضدادها، فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى فيبقى على العدم الأصلي، وإن أراد من عبده الهداية فهي لا تحصل حتى يريد من نفسه إعانته وتوفيقه، فإذا لم يرد سبحانه نفسه ذلك لم تحصل الهداية.

فصل

ومما ينبغي أن يعلم: أنه لا يمتنع من الطبع والختم والقفل حصول الإيمان؛ بأن يفك الذي ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل ذلك الختم والطابع والقفل، ويهديه بعد ضلاله، ويعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه،

ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده ، حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها ، ويكتب عليه السعادة والإيمان ، وقرأ قارئ عند عمر بن الخطاب : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ وعنده شاب فقال : اللهم عليها أقفالها ، ومفاتيحها بيدك ، لا يفتحها سواك ، فعرفها له عمر ، وزادته عنده خيرًا ، وكان عمر يقول في دعائه : اللهم إن كنت كتبتني شقيًا فامحني واكتبني سعيدًا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت(١) ، فالرب تعالى فعال لما يريد ، لا حجر عليه ، وقد ضل هاهنا فريقان : القدرية حيث زعمت أن ذلك ليس مقدورًا للرب ، ولا يدخل تحت فعله ؛ إذ لو كان مقدورًا له ومنعه العبد لناقض جوده ولطفه ، والجبرية حيث زعمت أنه سبحانه إذا قدر قدرًا وعلم شيئًا فإنه لا يغيره بعد هذا ، ولا يتصرف بخلاف ما قدره وعلمه ، والطائفتان حجرت على من لا يدخل تحت حجر أحد أصلًا ، وجميع خلقه تحت حجره شرعًا وقدرًا ، وهذه المسألة من أكبر مسائل القدر ، وسيمر بك إن شاء اللَّه في باب المحو والإثبات ما يشفيك فيها ، والمقصود أنه مع الطبع والختم والقفل لو تعرض العبد أمكنه فك ذلك الختم والطابع ، وفتح ذلك القفل يفتحه من بيده مفاتيح كل شيء ، وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير ممتنعة عليه ، وإن كان فك الختم وفتح القفل غير مقدور له كما أن شرب الدواء مقدور له وزوال العلة وحصول العافية غير مقدور ، فإذا استحكم به المرض وصار صفة لازمة له لم يكن له عذر في تعاطي ما إليه من أسباب الشفاء ، وإن كان غير مقدور له ولكن لمّا ألف العلة وساكنها ولم يحب زوالها ، ولا آثر ضدها عليها مع معرفته بما بينها وبين ضدها من التفاوت ، فقد

---

(١) **أثر عمر رضي اللَّه عنه رواه ابن جرير** (ج٦ ص ٤٨١ و ٤٨٢) بتحقيق محمود شاكر من طرق إلى عصمة أبي حكيمة عن أبي عثمان النهدي أن عمر فذكره.
وأبو حكيمة عصمة ، ترجمة ابن أبي حاتم وقال : إن أباه قال في عصمة : محلة الصدق . اهـ .
ومحله الصدق لا ترتقي إلى الحسن ، **فعلى هذا فالأثر ضعيف واللَّه أعلم** .

سد على نفسه باب الشفاء بالكلية ، واللَّه سبحانه يهدي عبده إذا كان ضالًّا وهو يحسب أنه على هدى ، فإذا تبين له الهدى لم يعدل عنه لمحبته وملاءمته لنفسه ، فإذا عرف الهدى فلم يحبه ، ولم يرض به ، وآثر عليه الضلال ، مع تكرر تعريفه منفعة هذا وخيره ، ومضرة هذا وشره ، فقد سد على نفسه باب الهدى بالكلية ، فلو أنه في هذه الحال تعرض وافتقر إلى من بيده هداه ، وعلم أنه ليس إليه هدى نفسه ، وأنه إن لم يهده اللَّه فهو ضال ، وسأل اللَّه أن يقبل بقلبه ، وأن يقيه شر نفسه ، وفقه ، وهداه، بل لو علم اللَّه منه كراهية لما هو عليه من الضلال ، وأنه مرض قاتل إن لم يشفه منه أهلكه ، لكانت كراهته وبغضه إياه مع كونه مبتلى به من أسباب الشفاء والهداية ، ولكن من أعظم أسباب الشقاء والضلال محبته له ورضاه به ، وكراهته الهدى والحق ، فلو أن المطبوع على قلبه المختوم عليه كره ذلك ، ورغب إلى اللَّه في فك ذلك عنه ، وفعل مقدوره ، لكان هداه أقرب شيء إليه ، ولكن إذا استحكم الطبع والختم حال بينه وبين كراهة ذلك وسؤال الرب فكه وفتح قلبه .

فصل

فإن قيل : فإذا جوزتم أن يكون الطبع والختم والقفل عقوبة وجزاء على الجرائم ، والإعراض والكفر السابق على فعل الجرائم . قيل : هذا موضع يغلط فيه أكثر الناس ، ويظنون باللَّه سبحانه خلاف موجب أسمائه وصفاته ، والقرآن من أوله إلى آخره إنما يدل على أن الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب سبحانه بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بينه له ، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والإرشاد وتكرار الإعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد ، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك ، والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع ، بل كان

اختيارًا فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية ، فتأمل هذا المعنى في قوله : ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ ومعلوم أن هذا ليس حكمًا يعم جميع الكفار ، بل الذين آمنوا ، وصدقوا الرسل ، وكان أكثرهم كفارًا قبل ذلك ، ولم يختم على قلوبهم وعلى أسماعهم ، فهذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار ، فعل اللَّه بهم ذلك عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة ، كما عاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير ، وبعضهم بالطمس على أعينهم ، فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب ، كما يعاقب بالطمس على الأعين ، وهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة مستمرة ، وقد يعاقب به إلى وقت ، ثم يعافي عبده ويهديه ، كما يعاقب بالعذاب كذلك .

فصل

وهاهنا عدة أمور عاقب بها الكفار بمنعهم عن الإيمان وهي :

الختم ، والطبع ، والأكنة ، والغطاء ، والغلاف ، والحجاب ، والوقرة ، والغشاوة ، والران ، والغل ، والسد ، والقفل ، والصمم ، والبكم ، والعمى ، والصد ، والشد على القلب ، والضلال ، والإغفال ، والمرض ، وتقليب الأفئدة ، والحول بين المرء وقلبه ، وإزاغة القلوب ، والخذلان ، والإركاس ، والتثبيط ، والتزيين ، وعدم إرادة هداهم ، وتطهيرهم ، وإماتة قلوبهم بعد خلق الحياة فيها فتبقى على الموت الأصلي ، وإمساك النور عنها فتبقى في الظلمة الأصلية ، وجعل القلب قاسيًا لا ينطبع فيه مثال الهدى وصورته ، وجعل الصدر ضيقًا حرجًا لا يقبل الإيمان .

وهذه الأمور: منها ما يرجع إلى القلب كالختم والطبع والقفل والأكنة والإغفال والمرض ونحوها، ومنها ما يرجع إلى رسوله الموصل إليه الهدى كالصمم والوقر، ومنها ما يرجع إلى طليعته ورائده كالعمى والغشا، ومنها ما يرجع إلى ترجمانه ورسوله المبلغ عنه كالبكم النطقي وهو نتيجة البكم القلبي، فإذا بكم القلب بكم اللسان، ولا تصغ إلى قول من يقول: إن هذه مجازات واستعارات؛ فإنه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن اللّٰه ورسوله، وكان هذا القائل حقيقة الفعل عنده أن يكون من حديد، والختم أن يكون بشمع أو طين، والمرض أن يكون حمى بنافض أو قولنج أو غيرهما من أمراض البدن، والموت هو مفارقة الروح للبدن ليس إلا، والعمى ذهاب ضوء العين الذي تبصر به، وهذه الفرقة من أغلظ الناس حجابًا، فإن هذه الأمور إذا أضيفت إلى محالها كانت بحسب تلك المحال؛ فنسبة قفل القلب إلى القلب كنسبة قفل الباب إليه، وكذلك الختم والطبع الذي عليه هو بالنسبة إليه كالختم والطابع الذي على الباب، والصندوق، ونحوهما، وكذلك نسبة الصمم والعمى إلى الأذن والعين، وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته، بل هذه الأمور ألزم للقلب منها للبدن، فلو قيل: إنها حقيقة في ذلك مجاز في الأجسام المحسوسة، لكان مثل قول هؤلاء وأقوى منه، وكلاهما باطل؛ فالعمى في الحقيقة، والبكم والموت والقفل للقلب، ثم قال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ **والمعنى**: أنه معظم العمى وأصله، وهذا كقوله صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «إنما الربا في النسيئة»، وقوله: «إنما الماء من الماء» وقوله: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس» وقوله: «ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، إنما المسكين الذي لا يجد ما يغنيه، ولا يفطن له، فيتصدق عليه» وقوله: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد

الذي يملك نفسه عند الغضب» ولم يرد نفي الاسم عن هذه المسميات، إنما أراد أن هؤلاء أولى بهذه الأسماء وأحق ممن يسمونه بها، فهكذا قوله: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، وقريب من هذا قوله: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن باللَّه واليوم الآخر﴾ الآية وعلى التقديرين فقد أثبت للقلب عمى حقيقة، وهكذا جميع ما نسب إليه، ولما كان القلب ملك الأعضاء، وهي جنوده، وهو الذي يحركها، ويستعملها، والإرادة، والقوى، والحركة الاختيارية تنبعث منه، كانت هذه الأمثال أصلًا، وللأعضاء تبعًا، فلنذكر هذه الأمور مفصلة ومواقعها في القرآن، فقد تقدم الختم وختم البذر في الأرض إذا غطاه، قال أبو إسحاق: معنى ختم وطبع في اللغة واحد وهو التغطية قال الأزهري: وأصله التغطية على الشيء، والاستيثاق منه، فلا يدخله شيء كما قال تعالى: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ وكذلك قوله: ﴿طبع اللَّه على قلوبهم﴾.

قلت: الختم والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة، فهو تأثر لازم لا يفارق.

وأما الأكنة ففي قوله تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ وهي جمع كنان كعنان وأعنة، وأصله من الستر والتغطية، ويقال: كنه وأكنه بمعنى واحد، بل بينهما فرق؛ فأكنه إذا ستره وأخفاه كقوله تعالى: ﴿أو أكننتم في أنفسكم﴾، وكنه إذا صانه وحفظه كقوله: ﴿بيض مكنون﴾ ويشتركان في الستر، والكنان ما أكن الشيء وستره، وهو كالغلاف، وقد أقروا على أنفسهم بذلك فقالوا: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فذكروا غطاء القلب وهي

الأكنة ، وغطاء الأذن وهو الوقر ، وغطاء العين ، وهو الحجاب ، والمعنى : لا نفقه كلامك ، ولا نسمعه ، ولا نراك ، والمعنى : إنا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفقه ما تقول ، ولا يراك ، قال ابن عباس : قلوبنا في أكنة مثل الكنانة التي فيها السهام ، وقال مجاهد : كجعبة النبل وقال مقاتل : عليها غطاء فلا نفقة ما تقول .

فصل

وأما الغطاء فقال تعالى : ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضًا * الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعًا﴾ وهذا يتضمن معنيين أحدهما : أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات اللّه ، وأدلة توحيده ، وعجائب قدرته ، والثاني : أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن ، وتدبره ، والاهتداء به ، وهذا الغطاء للقلب أولًا ، ثم يسري منه إلى العين .

فصل

وأما الغلاف فقال تعالى : ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم اللّه بكفرهم﴾ وقد اختلف في معنى قولهم قلوبنا غلف فقالت طائفة : المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم ، فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به ، أو لا تحتاج إليك ، وعلى هذا فيكون غلف جمع غلاف ، والصحيح قول أكثر المفسرين أن المعنى قلوبنا لا تفقه ، ولا تفهم ما تقول ، وعلى هذا فهو جمع أغلف كأحمر وحمر ، قال أبو عبيدة : كل شيء في غلاف فهو أغلف ، كما يقال سيف أغلف ، وقوس أغلف ، ورجل أغلف غير مختون ، قال ابن عباس وقتادة

مجاهد: على قلوبنا غشاوة فهي في أوعية فلا تعي، ولا تفقه، ما تقول، وهذا هو الصواب في معنى الآية لتكرر نظائره في القرآن كقولهم: ﴿قلوبنا في أكنة﴾، وقوله تعالى: ﴿كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ ونظائر ذلك، وأما قول من قال هي أوعية للحكمة فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة، وليس له في القرآن نظير يحمل عليه، ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الإنسان نفسه بالعلم والحكمة، فأين وجدتم في الاستعمال قول القائل: قلبي غلاف وقلوب المؤمنين غلف، أي: أوعية للعلم، والغلاف قد يكون وعاء للجيد والرديء، فلا يلزم من كون القلب غلافًا أن يكون داخله العلم والحكمة، وهذا ظاهر جدًّا؟

فإن قيل: فالإضراب ببل على هذا القول الذي قويتموه ما معناه؟ وأما على القول الآخر فظاهر؛ **أي**: ليست قلوبكم محلًّا للعلم والحكمة، بل مطبوع عليها قيل: وجه الإضراب في غاية الظهور، وهو أنهم احتجوا بأن اللَّه لم يفتح لهم الطريق إلى فهم ما جاء به الرسول، ومعرفته، بل جعل قلوبهم داخلة في غلف، فلا تفقهه، فكيف تقوم به عليهم الحجة؟ وكأنهم ادعوا أن قلوبهم خلقت في غلف؛ فهم معذورون في عدم الإيمان، فكذَّبهم اللَّه وقال: ﴿بل طبع اللَّه عليها بكفرهم﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿بل لعنهم اللَّه بكفرهم﴾ فأخبر سبحانه أن الطبع، والإبعاد عن توفيقه وفضله، إنما كان بكفرهم الذي اختاروه لأنفسهم، وآثروه على الإيمان، فعاقبهم عليه بالطبع، واللعنة، والمعنى: لم نخلق قلوبهم غلفًا لا تعي ولا تفقه، ثم نأمرهم بالإيمان وهم لا يفهمونه، ولا يفقهونه، بل اكتسبوا أعمالًا عاقبناهم عليها بالطبع على القلوب، والختم عليها.

فصل

وأما الحجاب ففي قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ وقوله : ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا﴾ على أصح القولين ، والمعنى : جعلنا بين القرآن إذا قرأته وبينهم حجابًا يحول بينهم وبين فهمه ، وتدبره ، والإيمان به ، وبيّنه قوله : ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا﴾ وهذه الثلاثة هي الثلاثة المذكورة في قوله : ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فأخبر سبحانه أن ذلك جعله كالحجاب يمنع رؤية الحق ، والأكنة تمنع من فهمه ، والوقر يمنع من سماعه ، وقال الكلبي : الحجاب هاهنا مانع يمنعهم من الوصول إلى رسول اللّٰه بالأذى ، من الرعب ، ونحوه مما يصدهم عن الإقدام عليه ، ووصفه بكونه مستورًا فقيل : بمعنى ساتر وقيل : على النسب ؛ أي : ذو ستر ، والصحيح أنه على بابه ، أي : مستورًا عن الأبصار فلا يرى ، ومجيء مفعول بمعنى فاعل لا يثبت ، والنسب في مفعول لم يشتق من فعله ، كمكان مهول أي : ذو هول ، ورجل مرطوب أي : ذو رطوبة ، فأما مفعول فهو جار على فعله ؛ فهو الذي وقع عليه الفعل كمضروب ، ومجروح ، ومستور .

فصل

وأما الران فقد قال تعالى : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ قال أبو عبيدة : غلب عليها ، والخمر ترين على عقل السكران والموت يرين على الميت فيذهب به ، ومن هذا حديث أسيفع جهينة ، وقول عمر : فأصبح

قد رين به ؛ أي : غلب عليه ، وأحاط به الرين ، وقال أبو معاذ النحوي : الرين أن يسودَّ القلب من الذنوب ، والطبع : أن يطبع على القلب ، وهو أشد من الرين ، والإقفال أشد من الطبع ، وهو أن يقفل على القلب ، وقال الفراء : كثرت الذنوب والمعاصي منهم فأحاطت بقلوبهم ، فذلك الرين عليها ، وقال أبو إسحاق : ران غطى ، يقال : ران على قلبه الذنب يرين رينًا ؛ أي : غشيه ، قال : والرين كالغشاء يغشى القلب ، ومثله الغين ، قلت : أخطأ أبو إسحاق ؛ فالغين ألطف شيء وأرقه ، قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « وإنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر اللَّه في اليوم مائة مرة » ، وأما الرين والران فهو من أغلظ الحجب على القلب ، وأكثفها ، وقال مجاهد : هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب القلب وتغشاه فيموت القلب ، وقال مقاتل : غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة ، وفي « سنن النسائي » و « الترمذي » من حديث أبي هريرة عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع ، واستغفر ، وتاب ، صقل قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو الران الذي ذكر اللَّه : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ » قال الترمذي : هذا حديث صحيح ، وقال عبد اللَّه بن مسعود : كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله ، فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التي اكتسبوها أوجبت لهم رينًا على قلوبهم ، فكان سبب الران منهم ، وهو : خلق اللَّه فيهم ؛ فهو خالق السبب ومسببه ، ولكن السبب باختيار العبد ، والمسبب خارج عن قدرته واختياره .

فصل

وأما الغل فقال تعالى : ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ قال الفراء : حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله ، وقال أبو عبيدة : منعناهم عن الإيمان بموانع ، ولما كان الغل مانعًا للغلول من التصرف والتقلب ، كان الغل الذي على القلب مانعًا من الإيمان ، فإن قيل : فالغل من الإيمان هو الذي في القلب ، فكيف ذكر الغل الذي في العنق؟ قيل : لما كان عادة الغل أن يوضع في العنق ناسب ذكر محله ، والمراد به القلب ، كقوله تعالى : ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ ومن هذا قولهم : إثمي في عنقك ، وهذا في عنقك ، ومن هذا قوله : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ شبه الإمساك عن الإنفاق باليد إذا غلت إلى العنق ، ومن هذا قال الفراء : إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا : حبسناهم عن الإنفاق قال أبو إسحاق : وإنما يقال للشيء اللازم : هذا في عنق فلان أي : لزومه كلزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق ، قال أبو علي : هذا مثل قولهم : طوقتك كذا ، وقلدتك كذا ، ومنه : قلده السلطان كذا ، أي : صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ، ومكان الطوق .

قلت : ومن هذا قولهم : قلدت فلانًا حكم كذا وكذا ، كأنك جعلته طوقًا في عنقه ، وقد سمى الله التكاليف الشاقة أغلالًا في قوله : ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ فشبهها بالأغلال لشدتها ، وصعوبتها ، قال الحسن : هي الشدائد التي كانت في العبادة كقطع أثر

البول، وقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وتتبع العروق من اللحم، قال ابن قتيبة: هي تحريم اللَّه سبحانه عليهم كثيرًا مما أطلقه لأمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، وجعلها أغلالًا؛ لأن التحريم يمنع، كما يقبض الغل اليد، وقوله: ﴿فهي إلى الأذقان﴾ قالت طائفة: الضمير يعود إلى الأيدي، وإن لم تذكر لدلالة السياق عليها، قالوا: لأن الغل يكون في العنق، فتجمع إليه اليد؛ ولذلك سمي جامعة، وعلى هذا فالمعنى: فأيديهم، أو فأيمانهم، مضمومة إلى أذقانهم، هذا قول الفراء والزجاج، وقالت طائفة: الضمير يرجع إلى الأغلال، وهذا هو الظاهر، وقوله: ﴿فهي إلى الأذقان﴾ أي: واصلة، وملزوزة إليها، فهو غل عريض قد أحاط بالعنق حتى وصل إلى الذقن، وقوله: ﴿فهم مقمحون﴾ قال الفراء والزجاج: المقمح هو: الغاض بصره بعد رفع رأسه، ومعنى الإقماح في اللغة: رفع الرأس، وغض البصر، يقال: أقمح البعير رأسه، وقمح، وقال الأصمعي: بعير قامح إذا رفع رأسه عن الحوض، ولم يشرب، قال الأزهري: لما غلت أيديهم إلى أعناقهم، رفعت الأغلال أذقانهم، ورءوسهم، صعدًا كالإبل الرافعة رءوسها، انتهى..

فإن قيل: فما وجه التشبيه بين هذا، وبين حبس القلب عن الهدى والإيمان؟

قيل: أحسن وجه وأبينه؛ فإن الغل إذا كان في العنق واليد مجموعة إليها منع اليد عن التصرف والبطش، فإذا كان عريضًا قد ملأ العنق ووصل إلى الذقن منع الرأس من تصويبه، وجعل صاحبه شاخص الرأس، منتصبة، لا يستطيع له حركة، ثم أكد هذا المعنى والحبس بقوله: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًّا﴾ قال ابن عباس: منعهم من الهدى لما سبق

في علمه ، والسد الذي جعل من بين أيديهم ومن خلفهم هو الذي سد عليهم طريق الهدى ، فأخبر سبحانه عن الموانع التي منعهم بها من الإيمان عقوبة لهم ، ومثلها بأحسن تمثيل وأبلغه ، وذلك حال قوم قد وضعت الأغلال العريضة الواصلة إلى الأذقان في أعناقهم ، وضمت أيديهم إليها ، وجعلوا بين السدين ، لا يستطيعون النفوذ من بينهما ، وأغشيت أبصارهم فهم لا يرون شيئًا ، وإذا تأملت حال الكافر الذي عرف الحق وتبين له ثم جحده ، وكفر به ، وعاداه ، أعظم معاداة ، وجدت هذا المثل مطابقًا له أتم مطابقة ، وأنه قد حل بينه وبين الإيمان ، كما حال بين هذا وبين التصرف ، واللَّه المستعان .

فصل

وأما القفل فقال تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ قال ابن عباس : يريد : على قلوب هؤلاء أقفال ، وقال مقاتل : يعني : الطبع على القلب ؛ وكأن القلب بمنزلة الباب المرتج الذي قد ضرب عليه قفل ، فإنه ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب ، والوصول إلى ما وراءه ، وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل ، عن القلب لم يدخل الإيمان والقرآن ، وتأمل تنكير القلب وتعريف الأقفال ؛ فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء ، وقلوب من هم بهذه الصفة ، ولو قال : أم على القلوب أقفالها ، لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة ، وفي قوله : ﴿أقفالها﴾ بالتعريف نوع تأكيد ؛ فإنه لو قال : أقفال لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم ، فلما أضافها إلى القلوب علم أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب ، فكأنه أراد : أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها ، واللَّه أعلم .

فصل

وأما الصمم، والوقر، ففي قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾ **وقوله:** ﴿أولئك الذين لعنهم اللَّه فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ **وقوله:** ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ **وقوله:** ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ قال ابن عباس: في آذانهم صمم عن استماع القرآن، ﴿وهو عليهم عمى﴾ أعمى اللَّه قلوبهم، فلا يفقهون، ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ مثل البهيمة التي لا تفهم إلا دعاء، ونداء، وقال مجاهد: بعيد من قلوبهم، وقال الفراء: تقول للرجل الذي لا يفهم: كذلك أنت تنادى من مكان بعيد، قال: وجاء في التفسير: كأنما ينادون من السماء، فلا يسمعون. انتهى. والمعنى: أنهم لا يسمعون، ولا يفهمون، كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع، ولم يفهم.

فصل

وأما البكم فقال تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾ والبكم: جمع أبكم، وهو: الذي لا ينطق، والبكم نوعان: بكم القلب، وبكم اللسان، كما أن النطق نطقان: نطق القلب، ونطق اللسان، وأشدهما: بكم القلب، كما أن عماه وصممه أشف من عمى العين وصمم الأذن، فوصفهم سبحانه بأنهم لا يفقهون الحق، ولا تنطق به ألسنتهم، والعلم يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب من: سمعه، وبصره، وقلبه، وقد سدت عليهم هذه الأبواب الثلاثة، فسد

السمع بالصمم، والبصر بالعمى، والقلب بالبكم، ونظيره قوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ وقد جمع سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات اللَّه﴾ فإذا أراد سبحانه هداية عبد فتح قلبه، وسمعه، وبصره، وإذا أراد ضلاله أصمه، وأعماه، وأبكمه، وباللَّه التوفيق.

فصل

وأما الغشاوة فهي: غطاء العين كما قال تعالى: ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ وهذا الغطاء سري إليها من غطاء القلب؛ فإن ما في القلب يظهر على العين من الخير والشر؛ فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه، وأنت إذا أبغضت رجلًا بغضًا شديدًا، أو أبغضت كلامه، ومجالسته، تجد على عينك غشاوة عند رؤيته، ومخالطته، فتلك أثر البغض، والإعراض عنه، وغلظت على الكفار؛ عقوبة لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسول، وجعل الغشاوة عليها يشعر بالإحاطة على ما تحته كالعمامة، ولما عشوا عن ذكره الذي أنزله صار ذلك العشا غشاوة على أعينهم؛ فلا تبصر مواقع الهدى.

فصل

وأما الصد فقال تعالى: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل﴾ قرأ أهل الكوفة على البناء للمفعول حملًا على زين، وقرأ الباقون: وصد بفتح الصاد، ويحتمل وجهين: أحدهما: إعراض؛ فيكون لازمًا، والثاني: يكون صد غيره؛ فيكون متعديًا، والقراءتان كالآيتين لا يتناقضان،

وأما الشد على القلب ففي قوله تعالى : ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموَالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما﴾ فهذا الشد على القلب هو الصد والمنع ؛ ولهذا قال ابن عباس : يريدا منعها ، والمعنى : قسها ، واطبع عليها ؛ حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان ، وهذا مطابق لما في التوراة أن اللَّه سبحانه قال لموسى : اذهب إلى فرعون ، فإني سأقسي قلبه ؛ حتى تظهر آياتي وعجائبي بمصر ، وهذا الشد والتقسية من كمال عدل الرب سبحانه في أعدائه ، جعله عقوبة لهم على كفرهم ، وإعراضهم ، كعقوبته لهم بالمصائب ، ولهذا كان محمولًا عليه ، فهو حسن منه ، وأقبح شيء منهم ، فإنه عدل منه وحكمة ، وهو ظلم منهم وسفه ، فالقضاء والقدر فعل عادل ، حكيم ، غني ، عليم ، يضع الخير والشر في أليق المواضع بهما ، والمقضي المقدر يكون ظلمًا ، وجورًا ، وسفهًا ، وهو فعل جاهل ، ظالم ، سفيه .

فصل

وأما الصرف فقال تعالى : ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف اللَّه قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ فأخبر سبحانه عن فعلهم وهو : الانصراف ، وعن فعله فيهم وهو : صرف قلوبهم عن القرآن ؛ لأنهم ليسوا أهلًا له ؛ فالمحل غير صالح ، ولا قابل ، فإن صلاحية المحل بشيئين : حسن فهم ، وحسن قصد ، وهؤلاء قلوبهم لا تفقه ، وقصودهم سيئة ، وقد صرح سبحانه بهذا في قوله : ﴿ولو علم اللَّه فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ فأخبر سبحانه عن عدم قابلية

الإيمان فيهم ، وأنهم لا خير فيهم يدخل بسببه إلى قلوبهم ، فلم يسمعهم سماع إفهام ينتفعون به ، وإن سمعوه سماعًا تقوم به عليهم حجته ، فسماع الفهم الذي سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم ، ثم أخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعهم من الإيمان لو أسمعهم هذا السماع الخاص ، وهو : الكبر ، والتولي ، والإعراض ، فالأول : مانع من الفهم ، والثاني : مانع من الانقياد ، والإذعان ، فأفهام سيئة ، وقصود ردية ، وهذه نسخة الضلال ، وعلم الشقاء ، كما أن نسخة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح ، وقصد صالح ، واللَّه المستعان .

وتأمل قوله سبحانه : ﴿ثم انصرفوا صرف اللَّه قلوبهم﴾ كيف جعل هذه الجملة الثانية سواء كانت خبرًا ، أو إعادة عقوبة ؛ لانصرافهم ، فعاقبهم عليه بصرف آخر غير الصرف الأول ؛ فإن انصرافهم كان لعدم إرادته سبحانه . وعدم مشيئته لإقبالهم ؛ لأنه لا صلاحية فيهم ولا قبول فلم ينلهم الإقبال والإذعان ، فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل ، والظلم ، عن القرآن ، فجازاهم على ذلك صرفًا آخر ، غير الصرف الأول ، كما جازاهم على زيغ قلوبهم عن الهدى ، إزاغة غير الزيغ الأول ، كما قال : ﴿فلما زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم﴾ وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه سبحانه جازاه بأن يعرض عنه ، فلا يمكنه من الإقبال عليه ، ولتكن قصة إبليس منك على ذكر ، تنتفع بها أتم انتفاع ، فإنه لما عصى ربه تعالى ، ولم ينقد لأمره ، وأصر على ذلك ، عاقبه بأن جعله داعيًا إلى كل معصية ، فعاقبه على معصيته الأولى ، بأن جعله داعيًا إلى كل معصية ، وفروعها ، صغيرها ، وكبيرها ، وصار هذا الإعراض والكفر السابق ، فمن عقاب السيئة السيئة بعدها ، كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فإن قيل : فكيف يلتئم إنكاره سبحانه عليهم الانصراف ، والإعراض

عنه ، وقد قال تعالى : ﴿أنى يصرفون﴾ و ﴿أنى يؤفكون﴾ وقال : ﴿فما لهم من التذكرة معرضين﴾ فإذا كان هو الذي صرفهم ، وجعلهم معرضين ، ومأفوكين ، فكيف ينعي ذلك عليهم؟ قيل : هم دائرون بين عدله ، وحجته عليهم ؛ فمكنهم ، وفتح لهم الباب ، ونهج لهم الطريق ، وهيأ لهم الأسباب ، فأرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، ودعاهم على ألسنة رسله ، وجعل لهم عقولًا تميز بين الخير والشر ، والنافع والضار ، وأسباب الردى وأسباب الفلاح ، وجعل لهم أسماعًا وأبصارًا ، فآثروا الهوى على التقوى ، واستحبوا العمى على الهدى ، وقالوا : معصيتك آثر عندنا من طاعتك ، والشرك أحب إلينا من توحيدك ، وعبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك ، فأعرضت قلوبهم عن ربهم ، وخالقهم ، ومليكهم ، وانصرفت عن طاعته ، ومحبته ، فهذا عدله فيهم ، وتلك حجته عليهم ، فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى ، إرادة منهم ، واختيارًا ، فسده عليهم اضطرارًا ، فخلاهم وما اختاروا لأنفسهم ، وولاهم ما تولوه ، ومكنهم فيما ارتضوه ، وأدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه ، وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون ، فلا أقبح من فعلهم ، ولا أحسن من فعله ، ولو شاء لخلقهم على غير هذه الصفة ، ولأنشأهم على غير هذه النشأة ، ولكنه سبحانه خالق العلو والسفل ، والنور والظلمة ، والنافع والضار ، والطيب والخبيث ، والملائكة والشياطين ، والشاء والذياب ، ومعطيها آلاتها ، وصفاتها ، وقواها ، وأفعالها ، ومستعملها فيما خلقت له ، فبعضها بطباعها ، وبعضها بإرادتها ومشيئتها ، وكل ذلك جار على وفق حكمته ، وهو موجب حمده ، ومقتضى كماله المقدس ، وملكه التام ، ولا نسبة لما علمه الخلق من ذلك إلى ما خفي عليهم بوجه ما ، إن هو إلا كنقرة عصفور من البحر .

فصل

وأما الإغفال فقال تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾ سئل أبو العباس ثعلب عن قوله: ﴿أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ فقال: جعلناه غافلًا قال: ويكون في الكلام أغفلته: سميته غافلًا، ووجدته غافلًا، قلت: الغفل الشيء الفارغ، والأرض الغفل: التي لا علامة بها، والكتاب الغفل: الذي لا شكل عليه، فأغفلناه: تركناه غفلًا عن الذكر، فارغًا منه؛ فهو إبقاء له على العدم الأصلي؛ لأنه سبحانه لم يشأ الذكر، فبقي غافلًا، فالغفلة وصفه، والإغفال: فعل اللَّه فيه بمشيئته، وعدم مشيئته لتذكره؛ فكل منهما مقتض لغفلته، فإذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر، وإذا شاء غفلته امتنع منه الذكر، فإن قيل: فهل تضاف الغفلة، والكفر، والإعراض، ونحوها إلى عدم مشيئة الرب أضدادها، أم إلى مشيئته لوقوعها؟ قيل: القرآن قد نطق بهذا، وبهذا، قال تعالى: ﴿أولئك الذين لم يرد اللَّه أن يطهر قلوبهم﴾ وقال: ﴿ومن يرد اللَّه فتنته فلن تملك له من اللَّه شيئًا﴾ ومن يرد أن يضله، فإن قيل: فكيف يكون عدم السبب المقتضى موجبًا للأثر؟ قيل: الأثر كان وجوديًا، فلا بد له من مؤثر وجودي، وأما العدم فيكفي فيه عدم سببه، وموجبه، فيبقى على العدم، فإذا أضيف إليه كان من باب إضافة الشيء إلى دليله، فعدم السبب دليل على عدم المسبب، وإذا سمي موجبًا ومقتضيًا بهذا الاعتبار فلا مشاحة في ذلك، وأما أن يكون العدم أثرًا ومؤثرًا فلا. هذا وهذا الإغفال ترتب عليه اتباع هواه، وتفريطه في أمره، قال مجاهد: كان أمره فرطًا، أي: ضياعًا، وقال قتادة: أضاع أكبر الضيعة، وقال السدي: هلاكًا، وقال أبو الهيثم: أمر فرط: أي: متهاون به، مضيع،

والتفريط : تقديم العجز ، قال أبو إسحاق : من قدم العجز في أمر أضاعه ، وأهلكه ، قال الليث : الفرط : الأمر الذي يفرط فيه ، يقول : كل أمر فلان فرط ، قال الفراء ، فرطًا : متروكًا ، يفرط فيما لا ينبغي التفريط فيه ، واتبع ما لا ينبغي اتباعه ، وغفل عما لا يحسن الغفلة عنه .

فصل

وأما المرض فقال تعالى : ﴿في قلوبهم مرض فزادهم اللَّه مرضًا﴾ وقال : ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ وقال : ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلًا﴾ ومرض القلب : خروج عن صحته واعتداله ؛ فإن صحته أن يكون عارفًا بالحق ، محبًّا له ، مؤثرًا له على غيره ؛ فمرضه : إما بالشك فيه ، وإما بإيثار غيره عليه ؛ فمرض المنافقين مرض شك وريب ، ومرض العصاة مرض غيّ وشهوة ، وقد سمى اللَّه سبحانه كلًّا منهما : مرضًا ، قال ابن الأنباري : أصل المرض في اللغة : الفساد ، مرض فلان ، فسد جسمه ، وتغيرت حاله ، ومرضت بالمرض : تغيرت ، وفسدت ، قالت ليلى الأخيلية :

إذا هبط الحجاج أرضًا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها

وقال آخر :

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة ... لفقد الحسين والبلاد اقشعرت

والمرض يدور على أربعة أشياء : فساد ، وضعف ، ونقصان ، وظلمة ، ومنه : مرض الرجل في الأمر إذا ضعف فيه ، ولم يبالغ ، وعين مريضة النظر : أي : فاترة ضعيفة ، وريح مريضة : إذا هب هبوبها كما قال :

راحت لأربعك الرياح مريضة

أي : لينة ضعيفة حتى لا يعفى أثرها ، وقال ابن الأعرابي : أصل المرض : النقصان ، ومنه : بدن مريض ، أي : ناقص القوة ، وقلب مريض : ناقص الدين، ومرض في حاجتي : إذا نقصت حركته وقال الأزهري، عن المنذري، عن بعض أصحابه : المرض : إظلام الطبيعة ، واضطرابها بعد صفائها ، قال : والمرض : الظلمة وأنشد :

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيء لها شمس ولا قمر

هذا أصله في اللغة ، ثم الشك ، والجهل ، والحيرة ، والضلال ، وإرادة الغيّ ، وشهوة الفجور ، في القلب ، تعود إلى هذه الأمور الأربعة ؛ فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض ، فيعاقبه اللّه بزيادة المرض ؛ لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها .

فصل

وأما تقليب الأفئدة فقال تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وهذا عطف على أنها إذا جاءت لا يؤمنون : أي : نحول بينهم وبين الإيمان ، ولو جاءتهم تلك الآية فلا يؤمنون ، واختلف في قوله : ﴿ كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ فقال كثير من المفسرين : المعنى : نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم الآية ، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة ، قال ابن عباس ، في رواية عطاء عنه : ونقلب أفئدتهم ، وأبصارهم ؛ حتى يرجعوا إلى ما سبق عليهم من علمي ، قال : وهذا كقوله : ﴿ واعلموا أن اللّه يحول بين المرء وقلبه ﴾ وقال آخرون : المعنى : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ؛ لتركهم الإيمان به أول مرة ؛ فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم، وهذا معنى حسن ؛ فإن كاف التشبيه تتضمن نوعًا من التعليل

كقوله : ﴿وأحسن كما أحسن اللَّه إليك﴾ وقوله : ﴿كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم﴾ والذي حسن اجتماع التعليل والتشبيه الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر ، والتقليب تحويل الشيء من وجه إلى وجه وكان الواجب من مقتضى إنزال الآية ، ووصولهم إليها ، كما سألوا أن يؤمنوا إذا جاءتهم ؛ لأنهم رأوها عيانًا ، وعرفوا أدلتها ، وتحققوا صدقها ، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليبًا لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي ينبغي أن تكون عليه ، وقد روى مسلم في « صحيحه » ، من حديث عبد اللَّه بن عمر ، أنه سمع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء » ثم قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » وروى الترمذي ، من حديث أنس ، قال : كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقلت : يا رسول اللَّه آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال : « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع اللَّه يقلبها كيف يشاء » قال : هذا حديث حسن ، وروى حماد عن أيوب ، وهشام ، ويعلى بن زياد ، عن الحسن ، قال : قالت عائشة رضي اللَّه عنها : دعوة كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يكثر أن يدعو بها : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقلت : يا رسول اللَّه ، دعوة كثيرًا ما تدعو بها ، قال : « إنه ليس من عبد إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع اللَّه فإذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه » وقوله : ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ قال ابن عباس : أخذلهم ، وأدعهم في ضلالهم يتمادون .

فصل

وأما إزاغة القلوب فقال تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم ﴾ وقال عن عباده المؤمنين ، أنهم سألوه : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ وأصل الزيغ : الميل ، ومنه : زاغت الشمس إذا مالت ؛ فإزاغة القلب : إمالته ، وزيغه : ميله عن الهدى إلى الضلال ، والزيغ يوصف به القلب والبصر ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ﴾ وقال قتادة ، ومقاتل : شخصت فرقًا ، وهذا تقريب للمعنى ؛ فإن الشخوص غير الزيغ ، وهو : أن يفتح عينيه ينظر إلى الشيء فلا يطرق ، ومنه : شخص بصر الميت ، ولما مالت الأبصار عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى هؤلاء الذين أقبلوا إليهم من كل جانب ، اشتغلت عن النظر إلى شيء آخر ، فمالت عنه ، وشخصت بالنظر إلى الأحزاب ، وقال الكلبي : مالت أبصارهم إلا من النظر إليهم ، وقال الفراء : زاغت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ، متحيرة ، تنظر إليه ، قلت : القلب إذا امتلأ رعبًا شغله ذلك عن ملاحظة ما سوى المخوف ، فزاغ البصر عن الوقوع عليه وهو مقابله .

فصل

وأما الخذلان فقال تعالى : ﴿ إن ينصركم اللَّه فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ وأصل الخذلان : الترك ، والتخلية ، ويقال للبقرة والشاة إذا تخلفت مع ولدها في المرعى ، وتركت صواحباتها : خذول ، قال محمد بن إسحاق في هذه الآية : إن ينصرك اللَّه فلا غالب لك من الناس ، ولن يضرك خذلان من خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس ،

أي : لا تترك أمري للناس، وارفض الناس لأمري، والخذلان : أن يخلى الله تعالى بين العبد وبين نفسه، ويكله إليها، والتوفيق ضده : أن لا يدعه ونفسه، ولا يكله إليها، بل يصنع له، ويلطف به، ويعينه، ويدفع عنه، ويكلأه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه؛ فمن خلى بينه وبين نفسه فقد هلك؛ ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «يا حي، يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك»، فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه إبليس فإن تولاه الله لم يظفر به عدوه، وإن خذله وأعرض عنه، افترسه الشيطان، كما يفترس الذئب الشاة، فإن قيل : فما ذنب الشاة إذا خلى الراعي بين الذئب وبينها، وهل يمكنها أن تقوى على الذئب وتنجو منه؟ قيل : لعمر الله إن الشيطان ذئب الإنسان، كما قاله الصادق المصدوق، ولكن لم يجعل الله لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة سلطانًا، مع ضعفها، فإذا أعطت بيدها، وسالمت الذئب، ودعاها، فلبت دعوته، وأجابت أمره، ولم تتخلف، بل أقبلت نحوه، سريعة، مطيعة، وفارقت حمى الراعي، وليس للذئاب عليه سبيل، ودخلت في محل الذئاب، كانت صيدًا لهم، فهل الذنب كل الذنب إلا على الشاة؟ فكيف والراعي يحذرها، ويخوفها، وينذرها، وقد أراها مصارع الشاة التي انفردت عن الراعي، ودخلت وادي الذئاب، قال أحمد بن مروان المالكي(١) في كتاب «المجالسة» : سمعت ابن أبي الدنيا يقول : إن لله

---

(١) **قال الإمام الذهبي في «الميزان»** : اتهمه الدارقطني ومشاه غيره ا.هـ.

زاد الحافظ في «**اللسان**»، وصرح الدارقطني في «غرائب مالك» بأنه يضع الحديث، وذكر الحافظ عن مسلمة أنه وثقه ا.هـ.

المراد من «**لسان الميزان**» بالمعنى، والجرح هاهنا مقدم على التعديل؛ لأن الجرح مفسر. والله أعلم.

وابن أبي الدنيا اسمه : عبد الله بن محمد بن عبيد، إمام، ومؤلف، وشيخه : أحمد بن سعيد =

سبحانه من العلوم ما لا يحصى، يعطي كل واحد من ذلك ما لا يعطي غيره، لقد حدثنا أبو عبد اللَّه أحمد بن محمد بن سعيد القطان، ثنا عبيد اللَّه بن بكر السهمي، عن أبيه، أن قومًا كانوا في سفر، فكان فيهم رجل يمر بالطائر، فيقول: أتدرون ما تقول هؤلاء؟ فيقولون: لا. فيقول: تقول كذا، وكذا، فيحيلنا على شيء لا ندري أصادق فيه هو، أم كاذب، إلى أن مروا على غنم وفيها شاة قد تخلفت على سخلة لها، فجعلت تحنو عنقها إليها، وتثغو، فقال: أتدرون ما تقول هذه الشاة؟ قلنا: لا. قال: تقول للسخلة: الحقي لا يأكلك الذئب كما أكل أخاك عام أول في هذا المكان، قال: فانتهينا إلى الراعي فقلت له: ولدت هذه الشاة قبل عامك هذا؟ قال: نعم ولدت سخلة عام أول، فأكلها الذئب بهذا المكان، ثم أتينا على قوم فيهم ظعينة على جمل لها، وهو يرغو، ويحنو عنقه إليها، فقال: أتدرون ما يقول هذا البعير؟ قلنا: لا، قال: فإنه يلعن راكبته، ويزعم أنها رحلته على مخيط وهو في سنامه، قال: فانتهينا إليهم، فقلنا: يا هؤلاء إن صاحبنا يزعم أن هذا البعير يلعن راكبته، ويزعم أنها رحلته على مخيط، وأنه في سنامه، قال: فأناخوا البعير وحطوا عنه، فإذا هو كما قال، فهذه شاة قد حذرت سخلتها من الذئب مرة، فحذرت، وقد حذر اللَّه سبحانه ابن آدم من ذئبه مرة بعد مرة، وهو يأبى إلا أن يستجيب له إذا دعاه، ويبيت معه، ويصبح ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن اللَّه وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾.

لم أجد ترجمته، وعبيد اللَّه بن بكر السهمي صوابه: عبد اللَّه بن بكر بن حبيب، ترجمة عبد اللَّه في «**التهذيب**»، وثقه ابن معين ومرة، قال صالح: وأبوه بكر وثقه ابن معين كما في «**الجرح والتعديل**».

فصل

وأما الإركاس فقال تعالى : ﴿فما لكم في المنافقين فئتين واللَّه أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل اللَّه ومن يضلل اللَّه فلن تجد له سبيلًا﴾ قال الفراء : أركسهم : ردهم إلى الكفر ، وقال أبو عبيدة : يقال : ركست الشيء ، وأركسته لغتان إذا رددته ، والركس قلب الشيء على رأسه ، أو رد أوله على آخره والارتكاس الارتداد قال أمية :

فأركسوا في حميم النار أنهم كانوا عصاة وقالوا الإفك والزورا

ومن هذا يقال للروث : الركس ؛ لأنه رد إلى حال النجاسة ؛ ولهذا المعنى سمي رجيعًا ، والركس ، والنكس ، والمركوس ، والمنكوس ، بمعنى واحد ، قال الزجاج : أركسهم : نكسهم ، وردهم ، والمعنى : أنه ردهم إلى حكم الكفار من الذل ، والصغار وأخبر سبحانه عن حكمه ، وقضائه فيهم ، وعدله ، وإن كان إركاسه كان بسبب كسبهم ، وأعمالهم ، كما قال تعالى : ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ فهذا توحيده ، وهذا عدله ، لا ما تقوله القدرية المعطلة من أن التوحيد إنكار الصفات ، والعدل ، والتكذيب بالقدر .

فصل

وأما التثبيط فقال تعالى : ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره اللَّه انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ والتثبيط : رد الإنسان عن الشيء الذي يفعله ، قال ابن عباس : يريد : خذلهم وكسلهم عن الخروج ، وقال في رواية أخرى : حبسهم قال مقاتل ، وأوحى إلى قلوبهم اقعدوا مع القاعدين ، وقد بين سبحانه حكمته في هذا التثبيط ، والخذلان ، قبل وبعد ،

فقال : ﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره اللَّه انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ فلما تركوا الإيمان به ، وبلقائه ، وارتابوا بما لا ريب فيه ، ولم يريدوا الخروج في طاعة اللَّه ، ولم يستعدوا له ، ولا أخذوا أهبة ذلك ، كره سبحانه انبعاث من هذا شأنه فإن من لم يرفع به ، وبرسوله ، أو كتابه ، رأسًا ، ولم يقبل هديته التي أهداها إليه على يد أحب خلقه إليه ، وأكرمهم عليه ولم يعرف قدر هذه النعمة ، ولا شكرها ، بل بدلها كفرًا ؛ فإن طاعة هذا ، وخروجه مع رسوله ، يكرهه اللَّه سبحانه ، فثبطه ؛ لئلا يقع ما يكره من خروجه ، وأوحى إلى قلبه قدرًا وكونًا أن يقعد مع القاعدين ، ثم أخبر سبحانه عن الحكمة التي تتعلق بالمؤمنين في تثبيط هؤلاء عنهم ، فقال : ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا ولأوضعوا﴾ والخبال : الفساد والاضطراب ، فلو خرجوا مع المؤمنين ، لأفسدوا عليهم أمرهم ، فأوقعوا بينهم الاضطراب ، والاختلاف ، قال ابن عباس : ما زادوكم إلا خبالًا : عجزًا وجبنًا ، يعني : يجبنوهم عن لقاء العدو بتهويل أمرهم وتعظيمهم في صدورهم ، ثم قال : ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ أي : أسرعوا في الدخول بينكم ، للتفريق ، والإفساد ، قال ابن عباس : يريد : ضعفوا شجاعتكم ، يعني : بالتفريق بينهم لتفرق الكلمة ، فيجبنوا عن العدو ، وقال الحسن : لأوضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات البين ، وقال الكلبي : ساروا بينكم يبغونكم العيب قال لبيد :

أرانا موضعين لحتم غيب وسحر بالطعام وبالشراب

أي مسرعين ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

تبالهن بالعرفان لما عرفنني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

أي: أسرع حتى كلت مطيته ﴿يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم﴾ قال قتادة: وفيكم من يسمع كلامهم، ويطيعهم، وقال ابن إسحاق: وفيكم قوم أهل محبة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه؛ لشرفهم فيهم، ومعناه على هذا القول: وفيكم أهل سمع وطاعة لهم، لو صحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم، قلت: فتتضمن سماعين معنى مستجيبين، وقال مجاهد، وابن زيد، والكلبي: المعنى: وفيكم عيون لهم، ينقلون إليهم ما يسمعون منكم، أي: جواسيس، والقول هو الأول كما قال تعالى: ﴿سماعون للكذب﴾ أي: قابلون له، ولم يكن في المؤمنين جواسيس للمنافقين؛ فإن المنافقين كانوا مختلطين بالمؤمنين: ينزلون معهم، ويرحلون، ويصلون معهم، ويجالسونهم، ولم يكونوا متحيزين عنهم، قد أرسلوا فيهم العيون ينقلون إليهم أخبارهم؛ فإن هذا إنما يفعله من انحاز عن طائفة، ولم يخالطها، وأرصد بينهم عيونًا له، فالقول قول قتادة، وابن إسحاق، والله أعلم، فإن قيل: انبعاثهم إلى طاعته: طاعة له، فكيف يكرهها؟ وإذا كان سبحانه يكرهها فهو يحب ضدها لا محالة؛ إذ كراهة أحد الضدين تستلزم محبة الضد الآخر؛ فيكون قعودهم محبوبًا له فكيف يعاقبهم عليه؟ قيل: هذا سؤال له شأن، وهو من أكبر الأسئلة في هذا الباب، وأجوبة الطوائف على حسب أصولهم: فالجبرية تجيب عنه بأن أفعاله لا تعلل بالحكم والمصالح، وكل ممكن فهو جائز عليه، ويجوز أن يعذبهم على فعل ما يحبه ويرضاه، وترك ما يبغضه ويسخطه، والجميع بالنسبة إليه سواء، وهذه الفرقة قد سدت على نفسها باب الحكمة والتعليل، والقدرية تجيب عنه على أصولها بأنه سبحانه لم يثبطهم حقيقة ولم يمنعهم، بل هم منعوا أنفسهم وثبطوها عن الخروج، وفعلوا ما لا يريد، ولما كان في خروجهم المفسدة التي ذكرها الله سبحانه ألقى في نفوسهم كراهة الخروج، قالوا: وجعل سبحانه إلقاء كراهة

الانبعاث في قلوبهم كراهة مشيئة، من غير أن يكره هو سبحانه انبعاثهم؛ فإنه أمرهم به، قالوا: وكيف يأمرهم بما يكرهه، ولا يخفى على من نور اللَّه بصيرته فساد هذين الجوابين، وبعدهما من دلالة القرآن، فالجواب الصحيح: أنه سبحانه أمرهم بالخروج له، ولأمره، واتباعًا لرسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ونصرة له، وللمؤمنين، وأحب ذلك منهم، ورضيه لهم دينًا، وعلم سبحانه أن خروجهم، لو خرجوا، لم يقع على هذا الوجه، بل يكون خروجهم خذلان لرسوله، وللمؤمنين، فكان خروجًا يتضمن خلاف ما يحبه ويرضاه، ويستلزم وقوع ما يكرهه ويبغضه، فكان مكروهًا له من هذا الوجه، ومحبوبًا له من الوجه الذي خرج عليه أولياؤه، وهو يعلم أنه لا يقع منهم إلا على الوجه المكروه إليه، فكرهه، وعاقبهم على ترك الخروج الذي يحبه ويرضاه، لا على ترك الخروج الذي يبغضه ويسخطه، وعلى هذا فليس الخروج الذي كرهه منهم طاعة، حتى لو فعلوه لم يثبهم عليه، ولم يرضه منهم، وهذا الخروج المكروه له ضدان: أحدهما: الخروج المرضي المحبوب، وهذا الضد هو الذي يحبه، والثاني: التخلف عن رسوله، والقعود عن الغزو معه، وهذا الضد يبغضه. ويكرهه أيضًا، وكراهته للخروج على الوجه الذي كانوا يخرجون عليه لا ينافي كراهته لهذا الضد، فنقول للسائل: قعودهم مبغوض له، ولكن هاهنا أمران مكروهان له سبحانه، وأحدهما أكره له من الآخر؛ لأنه أعظم مفسدة، فإن قعودهم مكروه له، وخروجهم على الوجه الذي ذكره أكره إليه، ولم يكن لهم بد من أحد المكروهين إليه سبحانه، فدفع المكروه الأعلى بالمكروه الأدنى؛ فإن مفسدة قعودهم عنه أصغر من مفسدة خروجهم معه؛ فإن مفسدة قعودهم تختص بهم، ومفسدة خروجهم تعود على المؤمنين، فتأمل هذا الموضع، فإن قلت: فهلا وفقهم للخروج الذي يحبه ويرضاه، وهو الذي خرج عليه المؤمنون؟ قلت: قد تقدم جواب مثل

هذا السؤال مرارًا ، وإن حكمته سبحانه تأبى أن يضع التوفيق في غير محله ، وعند غير أهله ، فاللَّه أعلم حيث يجعل هداه وتوفيقه وفضله ، وليس كل محل يصلح لذلك ، ووضع الشيء في غير محله لا يليق بحكمته ، فإن قلت : وعلى ذلك فهلا جعل المحال كلها صالحة ؟ قلت : يأباه كمال ربوبيته ، وملكه ، وظهور آثار أسمائه وصفاته في الخلق ، والأمر ، وهو سبحانه لو فعل ذلك لكان محبوبًا له ؛ فإنه يحب أن يذكر ، ويشكر ، ويطاع ، ويوحد ، ويعبد ، ولكن كان ذلك يستلزم فوات ما هو أحب إليه من استواء أقدام الخلائق في الطاعة ، والإيمان وهو : محبته لجهاد أعدائه ، والانتقام منهم ، وإظهار قدر أوليائه ، وشرفهم ، وتخصيصهم بفضله ، وبذل نفوسهم له في معاداة من عاداه ، وظهور عزته ، وقدرته ، وسطوته ، وشدة أخذه ، وأليم عقابه ، وأضعاف أضعاف هذه الحكم التي لا سبيل للخلق ، ولو تناهوا في العلم والمعرفة ، إلى الإحاطة بها ، ونسبة ما عقلوه منها إلى ما خفي عليهم كنقرة عصفور في بحر .

فصل

وأما التزيين فقال تعالى : ﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ وقال : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا فإن اللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ وقال : ﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ فأضاف التزيين إليه من سبحانه خلقًا ، ومشيئة ، وحذف فاعله تارة ، ونسبه إلى سببه ومن أجراه على يده تارة ، وهذا التزيين منه سبحانه حسن ؛ إذ هو ابتلاء ، واختبار بعيد ؛ ليتميز المطيع منهم من العاصي ، والمؤمن من الكافر كما قال تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا ﴾ وهو من الشيطان

قبيح، وأيضًا فتزيينه سبحانه للعبد عمله السيىء عقوبة منه على إعراضه عن توحيده، وعبوديته، وإيثار سيىء العمل على حسنه؛ فإنه لا بد أن يعرِّفه سبحانه السيىء من الحسن، فإذا آثر القبيح، واختاره، وأحبه، ورضيه لنفسه، زينه سبحانه له، وأعماه عن رؤية قبحه، بعد أن رآه قبيحًا، وكل ظالم، وفاجر، وفاسق لا بد أن يريه اللَّه تعالى ظلمه، وفجوره، وفسقه، قبيحًا، فإذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه، فربما رآه حسنًا عقوبة له؛ فإنه إنما يكشف له عن قبحه بالنور الذي في قلبه، وهو حجة اللَّه عليه، فإذا تمادى في غيه وظلمه ذهب ذلك النور، فلم ير قبحه في ظلمات الجهل، والفسوق، والظلم، ومع هذا فحجة اللَّه قائمة عليه بالرسالة، وبالتعريف الأول، فتزيين الرب تعالى: عدل، وعقوبته: حكمة، وتزيين الشيطان: إغواء، وظلم، وهو السبب الخارج عن العبد، والسبب الداخل فيه: حبه، وبغضه، وإعراضه، والرب سبحانه خالق الجميع، والجميع واقع بمشيئته، وقدرته، ولو شاء لهدى خلقه أجمعين، والمعصوم من عصمه اللَّه، والمخذول من خذله اللَّه، ألا له الخلق، والأمر، تبارك اللَّه رب العالمين.

فصل

وأما عدم مشيئته سبحانه، وإرادته، فكما قال تعالى: ﴿أولئك الذين لم يرد اللَّه أن يطهر قلوبهم﴾ وقال: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا﴾ وعدم مشيئته للشيء مستلزم لعدم وجوده، كما أن مشيئته تستلزم وجوده؛ فما شاء اللَّه وجب وجوده، وما لم يشأ امتنع وجوده، وقد أخبر سبحانه أن العباد لا يشاءون إلا بعد مشيئته، ولا يفعلون شيئًا إلا بعد مشيئته فقال: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه﴾ وقال: ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء اللَّه﴾ فإن قيل: فهل يكون الفعل

مقدورًا للعبد في حال عدم مشيئة اللَّه له أن يفعله؟ قيل: إن أريد بكونه مقدورًا: سلامة آلة العبد التي يتمكن بها من الفعل، وصحة أعضائه، ووجود قواه، وتمكينه من أسباب الفعل، وتهيئة طريق فعله، وفتح الطريق له، فنعم هو مقدور بهذا الاعتبار، وإن أريد بكونه مقدورًا: القدرة المقارنة للفعل، وهي الموجبة له التي إذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل؛ فليس بمقدور بهذا الاعتبار، وتقرير ذلك: أن القدرة نوعان: قدرة مصححة، وهي: قدرة الأسباب، والشروط، وسلامة الآلة، وهي مناط التكليف، وهذه متقدمة على الفعل، غير موجبة له، وقدرة مقارنة للفعل، مستلزمة له، لا يتخلف الفعل عنها، وهذه ليست شرطًا في التكليف، فلا يتوقف صحته وحسنه عليها؛ فإيمان من لم يشأ اللَّه إيمانه، وطاعة من لم يشأ طاعته، مقدور بالاعتبار الأول، غير مقدور بالاعتبار الثاني، وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف ما لا يطاق، كما يأتي بيانه في موضعه إن شاء اللَّه تعالى فإذا قيل: هل خلق لمن علم أنه لا يؤمن قدرة على الإيمان، أم لم يخلق له قدرة؟ قيل: خلق له قدرة مصححة، متقدمة على الفعل، هي مناط الأمر، والنهي، ولم يخلق له قدرة موجبة للفعل، مستلزمة له، لا يتخلف عنها، فهذا فضله يؤتيه من يشاء، وتلك عدله التي تقوم بها حجته على عبده، فإن قيل: فهل يمكنه الفعل، ولم يخلق له هذه القدرة؟ قيل: هذا هو السؤال السابق بعينه، وقد عرفت جوابه وباللَّه التوفيق.

فصل

وأما إماتة قلوبهم ففي قوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ وقوله: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات

ليس بخارج منها﴾ وقوله: ﴿لينذر من كان حيًّا﴾ وقوله: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ فوصف الكافر بأنه ميت، وأنه بمنزلة أصحاب القبور؛ وذلك أن القلب الحي هو الذي يعرف الحق، ويقبله، ويحبه، ويؤثره على غيره، فإذا مات القلب لم يبق فيه إحساس، ولا تمييز بين الحق والباطل، ولا إرادة للحق وكراهة للباطل، فهو بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب، وألم فقدهما، وكذلك وصف سبحانه كتابه ووحيه بأنه: روح؛ لحصول حياة القلب به، فيكون القلب حيًّا، ويزداد حياة بروح الوحي، فيحصل له حياة على حياة، ونور على نور: نور الوحي على نور الفطرة قال: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ **وقال**: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ فجعله روحًا لما يحصل به من الحياة، ونورًا لما يحصل به من الهدى والإضاءة؛ وذلك نور وحياة زائدة على نور الفطرة وحياتها؛ فهو نور على نور، وحياة على حياة؛ ولهذا يضرب سبحانه لمن عدم ذلك مثلًا بمستوقد النار التي ذهب عنه ضوؤها، وبصاحب الصيب الذي كان حظه منه الصواعق، والظلمات، والرعد، والبرق، فلا استنار بما أوقد من النار، ولا حيي بما في الصيب من الماء، ولذلك ضرب هذين المثلين في سورة الرعد لمن استجاب له فحصل على الحياة، والنور، ولمن لم يستجب له وكان حظه الموت والظلمة، فأخبر عمن أمسك عنه نوره بأنه في الظلمة، ليس له من نفسه نور، **فقال تعالى**: ﴿اللَّه نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي اللَّه لنوره من يشاء﴾ **ثم ذكر من أمسك عنه هذا النور، ولم يجعله له فقال**: ﴿والذين كفروا أعمالهم

كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد اللَّه عنده فوفاه حسابه واللَّه سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل اللَّه له نورًا فما له من نور ﴾.

وفي « **المسند** » من حديث عبد اللَّه بن عمر قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إن اللَّه خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ؛ فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضل ؛ **فلذلك أقول** جف القلم على علم اللَّه » **وقال تعالى** : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ اللَّه يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ **وهذه الظلمات ضد الأنوار التي يتقلب فيها المؤمن**، فإن نور الإيمان في قلبه ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، وعلمه نور ، ومشيئته في الناس نور ، وكلامه نور ، ومصيره إلى نور ، والكافر بالضد . ولما كان النور من أسمائه الحسنى وصفاته كان دينه نورًا ، ورسوله نورًا ، وكلامه نورًا ، وداره نورًا يتلألأ ، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ، ويجري على ألسنتهم ، ويظهر على وجوههم ، وكذلك لما كان الإيمان واسمه المؤمن لم يعطه إلا أحب خلقه إليه ، وكذلك الإحسان صفته وهو المحسن ويحب المحسنين ، وهو صابر يحب الصابرين ، شاكر يحب الشاكرين ، عفو يحب أهل العفو ، حييٌّ يحب أهل الحياء ، ستير يحب أهل الستر ، قوي يحب أهل القوة من المؤمنين ، عليم يحب أهل العلم من عباده ، جواد يحب أهل الجود ، جميل يحب المتجملين ، بر يحب الأبرار ، رحيم يحب الرحماء ، عدل يحب أهل العدل ، رشيد يحب أهل الرشد ، وهو الذي جعل من يحبه من خلقه كذلك ، وأعطاه من هذه الصفات ما شاء ، وأمسكها عمن يبغضه ، وجعله على أضدادها ، فهذا عدله ، وذاك فضله ، واللَّه ذو الفضل العظيم .

فصل

وأما جعل القلب قاسيًا فقال تعالى : ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًّا مما ذكروا به﴾ ، **والقسوة** : الشدة والصلابة في كل شيء ، يقال : حجر قاس ، وأرض قاسية لا تنبت شيئًا ، قال ابن عباس : قاسية عن الإيمان ، وقال الحسن : طبع عليها ، والقلوب ثلاثة : قلب قاس ، وهو : اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ، ولا تنطبع فيه ، وضده القلب اللين المتماسك ، وهو : السليم من المرض ، الذي يقبل صورة الحق بلينه ، وبحفظه بتماسكه ، بخلاف المريض الذي لا يحفظ ما ينطبع فيه لميعانه ، ورخاوته ، كالمائع الذي إذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين ، ولكن رخاوته تمنعه من حفظها ، فخير القلوب القلب الصلب اللين ؛ فهو يرى بصفائه ، ويقبله بلينه ، ويحفظه بصلابته ، **وفي « المسند »** وغيره عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « القلوب آنية اللَّه في أرضه ، فأحبها إليه : أصلبها ، وأرقها ، وأصفاها » وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله : ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد * وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ .

فذكر القلب المريض وهو : الضعيف المنحل الذي لا تثبت فيه صورة الحق .

والقلب القاسي : اليابس الذي لا يقبلها ، ولا تنطبع فيه ، فهذان القلبان شقيان معذبان ، ثم ذكر القلب المخبت المطمئن إليه ، وهو الذي ينتفع بالقرآن ويزكو به ، قال الكلبي : فتخبت له قلوبهم : فترق للقرآن قلوبهم ، وقد بين سبحانه حقيقة الإخبات ، ووصف المخبتين في قوله : ﴿وبشر المخبتين * الذين

إذا ذكر اللَّه وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ .

فذكر للمخبتين أربع علامات : وجل قلوبهم عند ذكره ، والوجل : الخوف مقرون بهيبة ومحبة ، وصبرهم على أقداره ، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرًا وباطنًا ، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم ، وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت ، **قال ابن عباس** : المخبتين : المتواضعين ، **وقال مجاهد** : المطمئنين إلى اللَّه ، وقال الأخفش : الخاشعين ، **وقال ابن جرير** : الخاضعين ، **قال الزجاج** : اشتقاقه من الخبت : وهو المنخفض من الأرض ، وكل مخبت متواضع ، فالإخبات : سكون الجوارح على وجه التواضع ، والخشوع للَّه ، فإن قيل : فإذا كان معناه التواضع والخشوع فكيف عدي بإلى في قوله : ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ **قيل** : ضمن معنى أنابوا واطمأنوا وتابوا ، وهذه عبارات السلف في هذا الموضوع ، **والمقصود** : أن القلب المخبت ضد القاسي والمريض ، وهو سبحانه الذي جعل بعض القلوب مخبتًا إليه ، وبعضها قاسيًا ، وجعل للقسوة آثارًا ، وللإخبات آثارًا ، فمن آثار القسوة : تحريف الكلم عن مواضعه ، وذلك من سوء الفهم ، وسوء القصد ، وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب ، ومنها : نسيان ما ذكر به ، وهو : ترك ما أمر به علمًا وعملاً ، ومن آثار الإخبات : وجل القلوب لذكره سبحانه ، والصبر على أقداره ، والإخلاص في عبوديته ، والإحسان إلى خلقه .

فصل

وأما تضييق الصدر ، وجعله حرجًا لا يقبل الإيمان ، فقال تعالى : ﴿فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء﴾ .

والحرج: هو الشديد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم، يقال: رجل حرج، وحرج: أي: ضيق الصدر.

قال الشاعر:

لا حرج الصدر ولا عنيف

وقال عبيد بن عمير: قرأ ابن عباس هذه الآية، فقال: هل هنا أحد من بني بكر؟ قال رجل: نعم، قال: ما الحرجة فيكم؟ قالوا: الوادي الكثير الشجر، الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس: كذلك قلب الكافر، وقرأ عمر ابن الخطاب الآية فقال: إيتوني رجلًا من كنانة واجعلوه راعيًا، فأتوه به فقال عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ فقال: الشجرة تحدق بها الأشجار الكثيرة فلا تصل إليها راعية ولا وحشية، فقال عمر: كذلك قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الخير، **قال ابن عباس**: يجعل صدره ضيقًا حرجًا إذا سمع ذكر اللَّه اشمأز قلبه وإن ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك، ولما كان القلب محلًّا للمعرفة والعلم والمحبة والإنابة، وكانت هذه الأشياء إنما تدخل في القلب إذا اتسع لها فإذا أراد اللَّه هداية عبده وسع صدره وشرحه فدخلت فيه وسكنته، وإذا أراد ضلاله ضيق صدره وأحرجه فلم يجد محلًّا يدخل فيه فيعدل عنه ولا يساكنه، وكل إناء فارغ إذا دخل فيه الشيء ضاق به، وكلما أفرغت الشيء ضاق إلا القلب اللين فكلما أفرغ منه الإيمان والعلم اتسع وانفسح، وهذا من آيات قدرة الرب تعالى.

وفي الترمذي وغيره، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح»، قالوا: فما علامة ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله».

● **فشرح الصدر من أعظم أسباب الهدى، وتضييقه من أسباب الضلال،** كما أن شرحه من أجل النعم وتضييقه من أعظم النقم، فالمؤمن منشرح الصدر منفسحه في هذه الدار على ما ناله من مكروهها، وإذا قوي الإيمان وخالطت بشاشته القلوب كان على مكارهها أشرح صدرًا منه على شهواتها ومحابها، فإذا فارقها كان انفساح روحه، والشرح الحاصل له بفراقها أعظم بكثير كحال من خرج من سجن ضيق إلى فضاء واسع موافق له، فإنها سجن المؤمن فإذا بعثه اللَّه يوم القيامة رأى من انشراح صدره وسعته ما لا نسبة لما قبله إليه، فشرح الصدر كما أنه سبب الهداية فهو أصل كل نعمة وأساس كل خير.

وقد سأل كليم الرحمن موسى بن عمران ربه أن يشرح صدره لما علم أنه لا يتمكن من تبليغ رسالته والقيام بأعبائها، إلا إذا شرح له صدره، وقد عدد سبحانه من نعمه على خاتم أنبيائه ورسله شرح صدره له وأخبر عن أتباعه أنه شرح صدورهم للإسلام.

فإن قلت: فما الأسباب التي تشرح الصدور والتي تضيقها؟

قلت: السبب الذي يشرح الصدر، النور الذي يقذفه اللَّه فيه فإذا دخله ذلك النور اتسع بحسب قوة النور وضعفه، وإذا فقد ذلك النور أظلم وتضايق، فإن قلت: فهل يمكن اكتساب هذا النور أم هو وهبي؟ قلت: هو وهبي وكسبي، واكتسابه أيضًا مجرد موهبة من اللَّه تعالى، فالأمر كله للَّه والحمد كله له، والخير كله بيديه، وليس مع العبد من نفسه شيء البتة، بل اللَّه واهب الأسباب ومسبباتها وجاعلها أسبابًا ومانحها من يشاء ومانعها من يشاء، إذا أراد بعبده خيرًا وفقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق فبقدر الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق.

فإن قلت : فالرغبة والرهبة بيده ، لا بيد العبد ؟

قلت : نعم واللَّه ، وهما مجرد فضله ومنته ، وإنما يجعلها في المحل الذي يليق بهما ويحبسهما عمن لا يصلح لهما ، فإن قلت : فما ذنب من لا يصلح ؟ قلت : أكثر ذنوبه أنه لا يصلح لأن صلاحيته بما اختاره لنفسه وآثره وأحبه من الضلال والغي على بصيرة من أمره ، فآثر هواه على حق ربه ومرضاته ، واستحب العمى على الهدى ، وكان كفر المنعم عليه بصنوف النعم وجحده لهيئته والشرك به ، والسعي في مساخطه أحب إليه من شكره وتوحيده ، والسعي في مرضاته فهذا من عدم صلاحيته لتوفيق خالقه ومالكه ، وأي ذنب فوق هذا . فإذا أمسك الحكم العدل توفيقه عمن هذا شأنه كان قد عدل فيه وانسدت عليه أبواب الهداية وطرق الرشاد ؛ فأظلم قلبه فضاق عن دخول الإسلام والإيمان فيه ، فلو جاءته كل آية لم تزده إلا ضلالًا وكفرًا .

وإذا تأمل من شرح اللَّه صدره للإسلام والإيمان هذه الآية ، وما تضمنته من أسرار التوحيد والعذر والعدل وعظمة شأن الربوبية صار لقلبه عبودية أخرى ، ومعرفة خاصة ، وعلم أنه عبد من كل وجه وبكل اعتبار ، وأن الرب تعالى رب كل شيء ومليكه من الأعيان والصفات والأفعال ، والأمر كله بيده والحمد كله له وأزمَّة الأمور بيده ، ومرجعها كلها إليه ولهذه الآية شأن فوق عقولنا ، وأجل من أفهامنا ، وأعظم مما قال فيها المتكلمون الذين ظلموها معناها وأنفسهم كانوا يظلمون ، تاللَّه لقد غلظ عنها حجابهم ، وكثفت عنها أفهامهم ومنعتهم من الوصول إلى المراد بها أصولهم التي أصلوها ، وقواعدهم التي أسسوها فإنها تضمنت إثبات التوحيد والعدل الذي بعث اللَّه به رسله وأنزل به كتبه ، والعدل الذي يقوله معطلو الصفات ونفاة القدر ، وتضمنت إثبات الحكمة والقدرة والشرع والسبب والحكم والذنب والعقوبة ، ففتحت للقلب الصحيح بابًا واسعًا من معرفة الرب تعالى بأسمائه وصفات كماله ،

ونعوت جلاله، وحكمته في شرعه وقدره وعدله في عقابه وفضله في ثوابه، وتضمنت كمال توحيده وربوبيته وقيوميته وإلهيته وأن مصادر الأمور كلها عن محض إرادته ومردها إلى كمال حكمته، وأن المهدي من خصه اللَّه بهدايته، وشرح صدره لدينه وشريعته، وأن الضال من جعل صدره ضيقًا حرجًا عن معرفته ومحبته كأنما يتصاعد في السماء وليس ذلك في قدرته وإن ذلك عدل في عقوبته لمن لم يقدره حق قدره، وجحد كمال ربوبيته وكفر بنعمته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته، فسد عليه باب توفيقه وهدايته وفتح أبواب غيه وضلاله، فضاق صدره وقسا قلبه، وتعطلت من عبودية ربها جوارحه وامتلأت بالظلمة جوانحه، والذنب له حيث أعرض عن الإيمان واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان، ورضي بموالاة الشيطان، وهانت عليه معاداة الرحمن، فلا يحدث نفسه بالرجوع إلى مولاه، ولا يعزم يومًا على إقلاعه عن هواه، قد ضاد اللَّه في أمره؛ يحب ما يبغضه، ويبغض ما يحبه ويوالي من يعاديه، ويعادي من يواليه، يغضب إذا رضي الرب ويرضى إذا غضب هذا وهو يتقلب في إحسانه ويسكن في داره، ويتغذى برزقه، ويتقوى على معاصيه بنعمه فمن أعدل منه سبحانه عما يصفه به الجاهلون والظالمون إذا جعل بالوحي على أمثال هذا من الذين لا يؤمنون.

فصل

إذا شرح اللَّه صدر عبده بنوره الذي يقذفه في قلبه، أراه في ضوء ذلك النور حقائق الأسماء والصفات التي تضل فيها معرفة العبد، إذ لا يمكن أن يعرفها العبد على ما هي عليه في نفس الأمر، وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الإيمان، وحقائق العبودية، وما يصححها وما يفسدها، وتفاوت معرفة الأسماء والصفات والإيمان والإخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في

هذا النور ، قال تعالى : ﴿أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ ، **وقال تعالى** : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به﴾ **فكشف لقلب المؤمن في ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الأعلى مستويًا على عرش الإيمان في قلب العبد المؤمن** ، فيشهد بقلبه ربًّا عظيمًا قاهرًا قادرًا أكبر من كل شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، السموات السبع قبضة إحدى يديه ، والأرضون السبع قبضة اليد الأخرى ، يمسك السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، ثم يهزهن ، ثم يقول : أنا الملك فالسموات السبع في كفه كخردلة في كف العبد يحيط ولا يحاط به ، ويحصر خلقه ولا يحصرونه ، ويدركهم ولا يدركونه ، لو أن الناس من لدن آدم إلى آخر الخلق قاموا صفًّا واحدًا ما أحاطوا به سبحانه ، ثم يشهده في علمه فوق كل عليم وفي قدرته فوق كل قدير ، وفي جوده فوق كل جواد ، وفي رحمته فوق كل رحيم ، وفي جماله فوق كل جميل حتى لو كان جمال الخلائق كلهم على شخص واحد منهم ، ثم أعطى كلهم مثل ذلك الجمال لكانت نسبته إلى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس ولو اجتمعت قوة الخلائق على شخص واحد منهم ، ثم أعطى كل منهم مثل تلك القوة لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حملة العرش ، ولو كان جودهم على رجل واحد ، وكل الخلائق على ذلك الجود ، لكانت نسبته إلى جوده دون نسبة قطرة إلى البحر ، وكذلك علم الخلائق إذا نسب إلى علمه كان كنقرة عصفور من البحر ، وكذلك سائر صفاته كحياته وسمعه وبصره وإرادته ، فلو فرض البحر المحيط بالأرض مدادًا تحط به سبعة أبحر وجميع أشجار الأرض شيئًا بعد شيء أقلام لفني ذلك المداد والأقلام ولا تفنى

كلماته، فهو أكبر في علمه من كل عالم وفي قدرته من كل قادر، وفي جوده من كل جواد، وفي غناه من كل غني، وفي علوه من كل عال، وفي رحمته من كل رحيم، استوى على عرشه، واستولى على خلقه، متفرد بتدبير مملكته فلا قبض ولا بسط ولا منع، ولا هدى، ولا ضلال، ولا سعادة، ولا شقاوة، ولا موت ولا حياة، ولا نفع ولا ضر، إلا بيده، لا مالك غيره، ولا مدبر سواه، لا يستقل أحد معه بملك مثقال ذرة في السموات والأرض ولا له شركة في ملكها، ولا يحتاج إلى وزير، ولا ظهير، ولا معين، ولا يغيب فيخلفه غيره، ولا يعيي فيعينه سواه، ولا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه لمن شاء وفيمن شاء، فهو أول مشاهد المعرفة، ثم يترقى منه إلى مشهد فوقه لا يتم إلا به، وهو مشهد الإلهية فيشهده سبحانه متجليًا في كماله بأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، وفضله في ثوابه، فيشهد ربًّا قيومًا متكلمًا آمرًا ناهيًا، يحب ويبغض، ويرضى ويغضب، قد أرسل رسله، وأنزل كتبه، وأقام على عباده الحجة البالغة، وأتم عليهم نعمته السابغة، يهدي من يشاء نعمة منه وفضلًا، ويضل من يشاء حكمة منه وعدلًا، ينزل إليهم أوامره وتعرض عليه أعمالهم، لم يخلقهم عبثًا، ولم يتركهم سدى بل أمره جار عليهم في حركاتهم وسكناتهم، وظواهرهم وبواطنهم، فللّه عليهم حكم وأمر في كل تحريكة وتسكينة، ولحظة ولفظة، وينكشف له في هذا النور عدله وحكمته، ورحمته ولطفه، وإحسانه وبره، في شرعه وأحكامه، وأنها أحكام رب رحيم، محسن لطيف حكيم، قد بهرت حكمته العقول وأقرت بها الفطر، وشهدت لمنزلها بالوحدانية ولمن جاء بها بالرسالة والنبوة، وينكشف له في ضوء ذلك النور إثبات صفات الكمال وتنزيهه سبحانه عن النقص والمثال، وإن كل كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحق به وأولى وكل نقص وعيب، فهو

سبحانه منزه متعال عنه وينكشف له في ضوء هذا النور حقائق المعاد واليوم الآخر وما أخبر به الرسول عنه حتى كأنه يشاهده عيانًا وكأنه يخبر عن اللَّه وأسمائه وصفاته وأمره ونهيه، ووعده ووعيده إخبار من كأنه قد رأى، وعاين وشاهد ما أخبر به، فمن أراد سبحانه هدايته شرح صدره لهذا فاتسع له وانفسح، ومن أراد ضلالته جعل صدره من ذلك في ضيق وحرج لا يجد فيه مسلكًا ولا منفذًا واللَّه الموفق المعين.

وهذا الباب: يكفي اللبيب في معرفة القدر والحكمة، ويطلعه على العدل والتوحيد الذي تضمنهما قوله: ﴿شهد اللَّه أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند اللَّه الإسلام﴾ **ا.هـ. كلامه رحمه اللَّه.**

سبقت كلمة اللَّه بما هو كائن

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمى﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

قال البخاري رحمه الله (ج ١١ ص : ٤٩٨) : حدثنا حبان بن موسى ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لرجل ممن معه يدعي

الإسلام : « هذا من أهل النار » ، فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال ، وكثرت به الجراح فأثبتته فجاء رجل من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول اللَّه أرأيت الذي تحدثت أنه من أهل النار قاتل في سبيل اللَّه من أشد القتال فكثرت به الجراح فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « أما إنه من أهل النار » ، فكاد بعض الناس يرتاب فبينا هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانة فانتزع منها سهمًا ، فانتحر بها فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقالوا : يا رسول اللَّه صدق اللَّه حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإن اللَّه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

قال الإمام أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب « **السنة** » (ج ١ ص : ٩٦) : ثنا دحيم ، ثنا أبو اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، عن أم حبيبة ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « أُريت ما تلقى أمتي من بعدي ، وسفك بعضهم دماء بعض ، فأحزنني وشق ذلك عليّ ، وسبق كما سبق في الأمم قبلها فسألت اللَّه تعالى أن يوليني شفاعتهم[1] فيهم يوم القيامة ففعل » .

قال الشيخ الألباني - رحمه اللَّه - : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقد أعل بما لا يقدح ، وقد كنت بينت ذلك في الأحاديث الصحيحة (١٤٤٠) بما يكفي ويشفي إن شاء اللَّه .

---

(١) كذا في « **الأصل** » وفي « **المستدرك** » (ج ١ ص : ٦٨) وسألته أن يوليني يوم القيامة شفاعة فيهم فقبل . وفي « التوحيد » لابن خزيمة (ص : ٢٧٣) نحو ما في « **المستدرك** » إلا أن عنده ففعل كما عند ابن أبي عاصم .

الاختلاف الكائن بقدر

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾.

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص: ٣٥٨): حدثنا أحمد بن حنبل، أخبرنا الوليد بن مسلم، أخبرنا ثور بن يزيد، حدثني خالد بن معدان، حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض ابن سارية وهو ممن نزل فيه: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين، وعائدين، ومقتبسين فقال العرباض: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي: كلاهما مستور الحال، **فالحديث حسن لغيره وله طرق يرتقي بها إلى الصحة.**

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص: ٣٤٠): حدثنا وهب بن بقية، عن خالد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «افترقت اليهود على إحدى أو

اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

هذا الحديث بهذا السند حسن.

وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن قرأ في كتب الملل والنحل يجد ما يذهله.

ولقد ابتلي المسلمون اليوم بالحزبية التي مسخت كثيرًا من الشباب وفرقت شمل المسلمين، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾، **ويقول**: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾، **ويقول**: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن﴾.

والحزبيون من لم يكن معهم، تنكروا له ونفروا عنه، ولا إله إلّا الله كم من شاب مسخوه بسبب الحزبية يكون حافظًا للقرآن مبرزًا في العلوم الدينية، فإذا التحق بهم شغلوه بالترهات والأباطيل حتى تذهب معلوماته.

● **والناس ينقسمون إلى حزبين**: حزب الرحمن، وحزب الشيطان؛ كما أخبرنا الله في كتابه.

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص: ٣٤١): حدثنا أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى قالا: أخبرنا أبو المغيرة أخبرنا صفوان.

(ح) وأخبرنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقية، حدثني صفوان نحوه قال: حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر الهوزني، عن معاوية بن أبي سفيان، أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب تفرقوا على ثنتين

وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين . ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة » .

زاد ابن يحيى وعمرو في حديثيهما : « وأنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه » ، وقال عمرو : « الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » .

الحديث حسن لغيره .

أزهر بن عبد اللّه الحرازي ما وثقه معتبر بل تكلم فيه ؛ لأنه يسب عليًا .

ولكن الحديث في الشواهد كما ترى .

قال مسلم رحمه اللّه (ج ٤ ص : ٢٢١٥) : حدثنا أبو الربيع العتكي وقتيبة بن سعيد كلاهما عن حماد بن زيد ، واللفظ لقتيبة ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « إن اللّه زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكهم بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا » .

وحدثني زهير بن حرب ، وإسحاق بن إبراهيم ، ومحمد بن المثنى ، وابن بشار قال إسحاق : أخبرنا ، وقال الآخرون : حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان ، أن نبي

اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « إن اللَّه تعالى زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وأعطاني كنزين الأحمر والأبيض » ، ثم ذكر نحو حديث أيوب عن أبي قلابة .

حديث ثوبان رواه أبو داود (ج ١١ ص : ٣٢٣) ، **وزاد فيه :** « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه تعالى » .

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٢٢١٦) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد اللَّه بن نمير .

(ح) وحدثنا ابن نمير ، واللفظ له حدثنا أبي ، حدثنا عثمان بن حكيم ، أخبرني عامر بن سعد ، عن أبيه ، أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية ، دخل فركع فيه ركعتين ، وصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا فقال صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « سألت ربي ثلاثًا ، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة : سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » .

وحدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا عثمان بن حكيم الأنصاري ، أخبرني عامر بن سعد ، عن أبيه أنه أقبل مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في طائفة من أصحابه فمر بمسجد بني معاوية بمثل حديث ابن نمير .

قال أبو داود رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٤٩٧) : حدثنا القعنبي ، أن عبد العزيز ابن أبي حازم ، حدثهم ، عن أبيه ، عن عمارة بن عمرو ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « كيف بكم وبزمان أو يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا » ، وشبك بين أصابعه فقالوا : كيف بنا يا رسول اللَّه ؟ فقال : « تأخذون ما تعرفون ، وتذرون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم » .

قال أبو داود : هكذا روي عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، حدثنا هارون بن عبد اللَّه ، أخبرنا الفضل بن دكين ، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق ، عن هلال بن خباب أبي العلاء ، قال : حدثني عكرمة ، قال : حدثني عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، قال : بينما نحن حول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذ ذكر الفتنة فقال : « إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم ، وخفت أمانتهم ، وكانوا هكذا » ، وشبك بين أصابعه قال : فقمت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلني اللَّه فداك ؟ قال : « الزم بيتك ، وأملك عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ، ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة » .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٢٢٠) : ثنا حسين بن محمد ، ثنا محمد بن مطرف ، عن أبي حازم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « يأتي على الناس زمان يغربلون فيه غربلة ، يبقى منهم حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا ، فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه » . قالوا : يا رسول اللَّه فما المخرج من ذلك ؟ قال : « تأخذون ما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتدعون أمر عامتكم » .

عمرو بن شعيب، مختلف في الاحتجاج به، وهو هنا في المتابعات.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في «مشكل الآثار» (ج ٢ ص: ٦٨): حدثنا بحر بن نصر، ثنا عبد اللَّه بن وهب، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن[١] عن عمرو مولى المطلب، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، قال لعبد اللَّه بن عمرو: «كيف بك يا عبد اللَّه بن عمرو إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت أماناتهم، ومرجت عهودهم، واختلفوا؟»، فقال عبد اللَّه: فكيف تأمرني يا رسول اللَّه؟ قال: «تعمل بما تعرف، وتدع ما تنكر، وتعمل بخاصة نفسك، وتدع عنك عوام الناس».

حدثنا يحيى بن عثمان[٢] ثنا عبد اللَّه بن محمد الفهمي[٣] ثنا سليمان بن بلال، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ثم ذكر مثله سواء.

هذا حديث حسن، وقد رواه ابن حبان كما في «**الموارد**» (ص: ٤٥٧) فقال: أخبرنا الحسن بن سفيان؛ حدثنا أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا روح بن القاسم، عن العلاء، عن أبيه به.

---

(١) في «**الأصل**»: «يعقوب بن عبد الرحمن بن عمرو مولى المطلب»، **والصواب ما أثبتناه** - كما ترجمه يعقوب من «**تهذيب الكمال**».

(٢) **يحيى بن عثمان**: هو يحيى بن عثمان بن صالح المصري، قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه، وكتب عنه أبي وتكلموا فيه.

(٣) **عبد اللَّه بن محمد الفهمي المصري** ويقال له البيطار، قال ابن أبي حاتم: أنا موسى بن سهيل الرملي، فيما كتب إلي قال: سألت أحمد بن صالح، عن عبد اللَّه بن محمد البيطار فقال: هو ثقة.

زيغ القلب

قال اللَّه سبحانه وتعالى حاكيًا عن الراسخين في العلم : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف اللَّه قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فلما زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم واللَّه لا يهدي القوم الفاسقين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن اللَّه يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ .

قال الإمام ابن جرير رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ١١٢) بتحقيق محمود شاكر حدثنا أحمد بن منصور المروزي ، قال : حدثني محمد بن عبد اللَّه بن بكر ، قال : سمعت ابن عيينة يقول في قول اللَّه : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ ، قال يقول : أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي .

قال البخاري رحمه الله (ج ١١ ص: ٥١٣): حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن، أخبرنا عبد الله، أخبرنا موسى بن عقبة، عن سالم، عن عبد الله قال: كثيرًا ما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحلف: «لا ومقلب القلوب».

قال البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص: ٣٧٧): حدثنا سعيد بن سليمان عن ابن المبارك عن موسى بن عقبة عن سالم عن عبد الله قال: أكثر ما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحلف: «لا ومقلب القلوب».

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٠٤٥): حدثني زهير بن حرب وابن نمير كلاهما عن المقرئ قال زهير: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ قال حدثنا حيوة أخبرني أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا على طاعتك».

قال الإمام أبو عبد الله بن ماجه رحمه الله (ج ١ ص: ٧٢): حدثنا هشام ابن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا ابن جابر قال: سمعت بسر بن عبيد الله يقول: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: حدثني النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه».

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك» قال: «والميزان بيد الرحمن يرفع أقوامًا ويخفض آخرين إلى يوم القيامة».

وقال الإمام **أبو بكر بن خزيمة في كتاب «التوحيد»** (ص: ٨٠): حدثنا عبد اللَّه بن محمد الزهري والحسين بن عبد الرحمن الجرجرائي ومحمد بن محمد بن خلاد الباهلي ومحمد بن ميمون ومحمد بن منصور المكيان قالوا ثنا الوليد بن مسلم، قال الزهري عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. وقال محمد بن خلاد ثنا، وقال المكيان ثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وقال حدثني بسر بن عبيد اللَّه الحضرمي قال حدثني ابو إدريس الخولاني قال حدثني النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع اللَّه تعالى، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه. وكان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «يا مقلب القلب ثبت قلبي على دينك، والميزان بيد الرحمن يخفض ويرفع».

هذا حديث الباهلي وقال الآخران: فإذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه. وقال محمد بن ميمون أو قال: يضع ويخفض بالشك، وقال الحسين بن عبد الرحمن قال حدثني عبد الرحمن بن يزيد الأزدي وقال: هو والجرجرائي أيضًا: يا مقلب القلوب.

وقال لنا عبد اللَّه بن محمد الزهري مرة: ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين فإذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه ا.هـ.

وأخرجه **الإمام أحمد في «مسنده»** (ج ٤ ص: ١٨٢) فقال: ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت ابن جابر يقول حدثني بسر بن عبيد اللَّه الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان يقول: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه

أزاغه » . وكان يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه » ا.هـ .

وأخرجه النسائي في « الكبرى » كما في « تحفة الأشراف » ، فأخرجه عن محمد بن حاتم عن حبان عن ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر بن عبيد اللّٰه عن أبي إدريس الخولاني عنه ، أي : عن النواس به .

قال الإمام البخاري في « التاريخ » (ج٤ ص : ٧٠) : حدثنا عبد اللّٰه بن يوسف نا عبد اللّٰه بن سالم نا إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير أخبرني سلمة بن نفيل السكوني قال : دنوت من النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، حتى كادت ركبتاي تمس فخذه فقلت : يا رسول اللّٰه سيئ بالخيل ، وألقى السلاح ، وزعموا أن لا قتال قال : « كذبوا ، الآن جاء القتال لا تزال من أمتي أمة قائمة على الحق ، ظاهرة على الناس ، يزيغ اللّٰه قلوب قوم فيقاتلوهم ؛ لينالوا منهم » قال وهو مول ظهره إلى اليمن : « إني لأجد نفس الرحمن من ههنا ، ولقد أوحي إلي أني مكفوت غير ملبث وتتبعوني أفذاذًا ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها » . هذا حديث صحيح مسلسل بالشاميين .

الحديث أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص : ٥٨٣) **والطبراني** (ج٧ ص : ٦٠) .

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج٤ ص : ١٠٤) : ثنا الحكم بن نافع قال ثنا إسماعيل بن عياش عن إبراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقال : إني سئمت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قلت : لا قتال . فقال له النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « الآن جاء

القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ[1] اللَّه قلوب أقوام، فيقاتلونهم ويرزقهم اللَّه منهم، حتى يأتي أمر اللَّه عز وجل وهم على ذلك ألا إن عقر دار المؤمنين الشام والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» سنده حسن وإسماعيل بن عياش إذا روى عن الشاميين فروايته مقبولة.

قال الإمام النسائي رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٢١٤): أخبرنا أحمد بن عبد الواحد قال حدثنا مروان وهو ابن محمد قال حدثنا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المري قال حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسًا عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال رجل: يا رسول اللَّه أذال[2] الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا: لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها فأقبل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بوجهه وقال: «كذبوا؛ الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ اللَّه لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد اللَّه والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث وأنتم تتبعوني أفنادًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين بالشام».

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات.

وأخرجه الطبراني (ج ٧ ص: ٥٩).

---

(١) في «**الأصل**»: «يرفع»، والصواب ما أثبتناه كما في «**تاريخ البخاري**» و«**الأسماء والصفات**» للبيهقي والطبراني في «**الكبير**» والنسائي كما سيأتي إن شاء اللَّه بعد هذا، وهكذا في «**تفسير ابن كثير**» (ج ٤ ص: ١٧٣) نقلًا عن «**المسند**».

(٢) **قال السيوطي قوله**: «أذال الناس الخيل» الإذالة بذال معجمة أي: أهانوها واستخفوا بها وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها.

سقت بعض طرقه التي وقفت عليها من أجل زيادة من الحديث وهي : « إني لأجد نفس الرحمن من ههنا » فوجدت الحديث يدور على الوليد بن عبد الرحمن الجرشي وقد رواه نصر بن علقمة عن جبير بن نفير شيخ الوليد عزاه الحافظ المزي في « **تحفة الأشراف** » إلى النسائي قال المحقق في « **الكبرى** » وأخرجه أيضًا الطبراني (ج ٧ ص : ٦٠) ، ولكن في « **تهذيب التهذيب** » في ترجمة نصر بن علقمة ، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه نصر بن علقمة عن جبير ابن نفير مرسل .

ويروي الحديث عن الوليد إبراهيم بن سليمان وإسماعيل بن عياش وإبراهيم ابن أبي عبلة ، فأما إبراهيم بن سليمان فزاد هذه الزيادة ، وأما إسماعيل فتارة يزيدها كما عند الطبراني وتارة لا يزيد كما عند أحمد ، وأما إبراهيم بن أبي عبلة فلم يزدها فالظاهر أن الوليد كان يرويه على الوجهين وقد جاء عند الإمام أحمد رحمه اللَّه من طريق أخرى إلى سلمة بن نفيل فرواه عنه ضمرة ابن حبيب فلعل سلمة كان يحدث بها تارة وأخرى لا يحدث بها واللَّه أعلم .

والظاهر أن الإشارة في « ههنا » في الحديث إلى الشام ، وقد جاءت هذه الزيادة من حديث أبي هريرة عند أحمد (ج ٢ ص : ٥٤١) :

فقال رحمه اللَّه : ثنا عصام بن خالد ثنا جرير عن شبيب أبي روح أن أعرابيًّا أتى أبا هريرة فقال : يا أبا هريرة حدثنا عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فذكر الحديث فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » . وقال المغيرة : من قبل المغرب إلا أن الكفر والفسوق وقسوة القلب في الفدادين أصحاب الشعر والوبر . **الحديث** .

ولكن شبيب أبا روح رواه عنه جماعة ولم يوثقه معتبر بل قال ابن القطان لا تعرف عدالته كما في «**تهذيب التهذيب**».

وأما قول أبي داود: شيوخ حريز كلهم ثقات فليس على إطلاقه، فقد راجعت شيوخه عند أن كنت أكتب في «**الشفاعة**» فوجد غالبهم ثقات وفيهم الضعيف والمجهول. والله أعلم.

شرح الصدر للخير من الله

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾.

التأليف بين القلوب من الله

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص : ٤٧) : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد اللَّه بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء اللَّه على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالًا فهداكم اللَّه بي ، وكنتم متفرقين فألفكم اللَّه بي ، وعالة فأغناكم اللَّه بي ، كلما قال شيئًا قالوا : اللَّه ورسوله أمنُّ . قال : ما يمنعكم أن تجيبوا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : كلما قال شيئًا قالوا : اللَّه ورسوله أمنُّ قال : لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٧٦) : حدثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن إسحاق قال وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم : لقي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول اللَّه إن هذا الحيَّ قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء قال : « فأين أنت من ذلك

يا سعد؟» قال: يا رسول اللَّه ما أنا إلَّا رجل من قومي وما أنا. قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة» قال: فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة قال: فجاء رجل من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار قال فأتاهم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فحمد اللَّه وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: «يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالًا فهداكم اللَّه وعالة فأغناكم اللَّه وأعداء فألف بين قلوبكم؟» قالوا: بل اللَّه ورسوله أمن وأفضل. قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار» قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول اللَّه وللَّه ولرسوله المن والفضل قال: «أما واللَّه لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصُدِّقْتُم أتينا مكذبًا فصدقناك ومخذولًا فنصرناك وطريدًا فآويناك وعائلًا فأغنيناك أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة[1] من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول اللَّه قسمًا وحظًّا ثم انصرف رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وتفرقنا.

هذا حديث حسن.

(١) في «**النهاية**» اللعاعة بالضم نبت ناعم في أول ما ينبت يعني: أن الدنيا كالنبات الأخضر وذكر هذا الحديث ا.هـ. **مختصرًا**.

اللَّه هو المزكي للأنفس التي يعلمها أهلًا لذلك

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل اللَّه يزكي من يشاء﴾ .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٢٠٨٨) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم ومحمد بن عبد اللَّه بن نمير واللفظ لابن نمير قال إسحاق أخبرنا وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن عبد اللَّه بن الحارث وعن أبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .

التوفيق من اللَّه

قال اللَّه عز وجل حاكيًا عن شعيب عليه السلام :

﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا باللَّه عليه توكلت وإليه أنيب﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام :

﴿رب اجعل هذا البلد آمنًا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ .

* * *

بـــاب
قول اللَّه عز وجل حاكيًا عن يوسف عليه السلام

قال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾.

وقد استجاب اللَّه ليوسف عليه السلام دعاءه قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾.

المعصوم من عصم اللَّه

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٥٠١): حدثنا عبدان أخبرنا عبد اللَّه أخبرنا يونس عن الزهري قال حدثني أبو سلمة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم اللَّه».

اللَّه هو المقدم وهو المؤخر

قال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ١٩٦) : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الملك بن صباح حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن ابن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء : « رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وجدي وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير » .

وقال عبيد اللَّه بن معاذ : حدثني أبي حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ابن أبي موسى ، عن أبيه عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٨٧) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٣ ص: ٣) : حدثنا علي بن عبد اللَّه قال حدثنا سفيان قال حدثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاوس سمع ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد ، أنت ملك السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ، أو لا إله غيرك » قال سفيان وزاد عبد الكريم أبو أمية : ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

قال سفيان قال سليمان بن أبي مسلم سمعه من طاوس عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

الحديث أخرجه مسلم (ج ٦ ص: ٥٤).

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٥٧) مع النووي: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا يوسف الماجشون حدثني أبي عن عبد الرحمن الأعرج عن عبيد اللَّه بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للَّه رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا. إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت. واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت. لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت. أستغفرك وأتوب إليك». وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت. خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي». وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد». وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك اللَّه أحسن الخالقين». ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت» ا.هـ.

● **قال الإمام النووي رحمه الله قوله :** « والخير كله في يديك والشر ليس إليك » قال الخطابي وغيره : فيه الإرشاد إلى الأدب في الثناء على الله تعالى ومدحه بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها على جهة الأدب .

وأما قوله : « والشر ليس إليك » فمما يجب تأويله لأن مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سواء خيرها وشرها وحينئذ يجب تأويله **وفيه خمسة أقوال : أحدها معناه :** لا يتقرب به إليك قاله الخليل بن أحمد والنضر بن شميل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وأبو بكر بن خزيمة والأزهري وغيرهم . **والثاني** حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني وقاله غيره أيضًا معناه : لا يضاف إليك على انفراده لا يقال يا خالق القردة والخنازير ويا رب الشر ونحو هذا وإن كان خالق كل شيء ورب كل شيء وحينئذ يدخل الشر في العموم . **والثالث معناه :** والشر لا يصعد إليك إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح . **والرابع معناه :** والشر ليس شرًّا بالنسبة إليك فإنك خلقته بحكمة بالغة وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين . **والخامس حكاه الخطابي أنه كقولك :** فلان إلى بني فلان إذا كان عداده فيهم أو ضموه[1] إليهم ا.هـ .

نواصي العباد تحت قدرة الله وهيمنته

قال الله تعالى حاكيًا عن نوح : ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ١ ص : ٤٧١) : حدثني حرملة ابن يحيى التجيبي أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سعيد

(١) في « **الأصل** » : أو صفوه فلعلها أو ضموه **كما أثبتناه** أو معناها أو ألصقوه . والله أعلم .

ابن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى أدركه الكرى عرس وقال لبلال: «اكلأ لنا الليل» فصلى بلال ما قدر له ونام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالًا عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أولهم استيقاظًا ففزع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: «أي بلال» فقال بلال أخذ بنفسي الذي أخذ (بأبي أنت وأمي) يا رسول اللَّه بنفسك قال: «اقتادوا» فاقتادوا رواحلهم شيئًا ثم توضأ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأمر بلالًا فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن اللَّه قال: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾». قال يونس وكان ابن شهاب يقرؤها للذكرى.

لا ملجأ من اللَّه إلّا إليه

قال سبحانه وتعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من اللَّه إلا إليه﴾.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص: ٤٦٢): حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن البراء بن عازب قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري

إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت أجرًا » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٨٢) .

الشافي هو اللَّه

قال إبراهيم الخليل عليه السلام في صفة ربه :

﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ .

وقال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٠ ص: ٢٠٦) : حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز قال : دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت : يا أبا حمزة اشتكيت فقال أنس : ألا أرقيك برقية رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ؟ قال : بلى قال : اللهم رب الناس ومذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقمًا .

حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا سفيان حدثني سليمان عن مسلم عن مسروق عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يعوذ بعض أهله ، يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم رب الناس أذهب البأس واشفه أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا » .

قال سفيان حدثت به منصورًا فحدثني عن إبراهيم عن مسروق عن عائشة .. نحوه .

حدثني أحمد بن أبي رجاء حدثنا النضر عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن عائشة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يرقي يقول :

« امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت » .

حدثنا علي بن عبد اللَّه حدثنا سفيان قال حدثني عبد ربه بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يقول للمريض : « بسم اللَّه تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا » .

● **وإذا علم المسلم أن الشافي هو اللَّه ، لم يتعلق قلبه بالكهان والمنجمين والدجالين والمشعوذين ، ولم يصغ إلى خرافة المرتزقة من سدنة القبور دعاة الشرك والإلحاد الذين يزينون للزائرين دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم ويملئون قلوب الزائرين رعبًا** ؛ فذاك قد نكَّل به الولي ؛ لأنه لم يف له بالنذر وذاك قد جن بسبب أنه اعتدى على حرمة الولي إلى غير ذلك من تكلم الدعايات الباطلة طهر اللَّه بلاد المسلمين منها .

الأمن والخوف من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى : بسم اللَّه الرحمن الرحيم : ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وضرب اللَّه مثلًا قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم اللَّه فأذاقها اللَّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ .

* * *

الموت والقتل بأجل

قال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿ولكل أمةٍ أجلٌ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿قل لا أملك لنفسي ضرًّا ولا نفعًا إلا ما شاء اللَّه لكل أمةٍ أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجلًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وما أهلكنا من قريةٍ إلا ولها كتاب معلوم * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ولو يؤاخذ اللَّه الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونًا آخرين * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾.

وقال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى اللَّه مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين * قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعًا

وخفيةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل اللَّه ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون * قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعضٍ انظر كيف نُصَرِّفُ الآيات لعلهم يفقهون ﴾ .

قال إبراهيم الخليل عليه السلام في صفة ربه : ﴿ والذي يميتني ثم يحيين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا ﴾ .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٤٧٧) : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن عبيد اللَّه بن أبي بكر بن أنس عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « وَكَّلَ اللَّه بالرحم ملكًا فيقول : أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد أن يقضي خلقها قال أي رب ذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٣٨) .

وقال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٤٧٧) : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك حدثنا شعبة أنبأني الأعمش قال سمعت زيد بن وهب عن عبد اللَّه قال حدثنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اللَّه ملكًا فيؤمر بأربع : برزقه وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح . فواللَّه إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه

وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

قال آدم : إلا ذراع .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٣٦) .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج٤ ص : ٢٠٥٠) : حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وأبو كريب واللفظ لأبي بكر قالا حدثنا وكيع عن مسعر عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد اللَّه اليشكري عن المعرور بن سويد عن عبد اللَّه قال : قالت أم حبيبة زوج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : اللهم أمتعني بزوجي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية قال : فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « قد سألت اللَّه لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله ولو كنت سألت اللَّه أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل » .

قال وذكرت عنده القردة . قال مسعر وأراه قال والخنازير من مسخ فقال : « إن اللَّه لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقبًا وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » .

حدثناه أبو كريب حدثنا ابن بشر عن مسعر بهذا الإسناد غير أن في حديثه عن ابن بشر ووكيع جميعًا : من عذاب في النار وعذاب في القبر .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وحجاج بن الشاعر واللفظ لحجاج قال إسحاق أخبرنا وقال حجاج حدثنا عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد اللَّه اليشكري عن معرور بن سويد عن عبد اللَّه بن

مسعود قال : قالت أم حبيبة : اللهم متعني بزوجي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية ، فقال لها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إنك سألت اللَّه لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل منها شيئًا قبل حله ولا يؤخر منها شيئًا بعد حله ولو سألت اللَّه أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لك » .

فقال رجل : يا رسول اللَّه القردة والخنازير هي مما مسخ فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إن اللَّه عز وجل لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلًا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » .

حدثنيه أبو داود سليمان بن معبد حدثنا الحسين بن حفص حدثنا سفيان بهذا الإسناد غير أنه قال : وآثار مبلوغة .

قال ابن معبد : وروى بعضهم قبل حله أي نزوله .

● **ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه - كلام نفيس حول هذا :**

قال رحمه اللَّه وقد سئل عن المقتول هل مات بأجله أم قطع القاتل أجله ؟

فأجاب رحمه اللَّه كما في « مجموع الفتاوى » (ج ٨ ص : ٥١٦) :

المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر فإن أجل الشيء هو نهاية عمره وعمره مدة بقائه فالعمر مدة البقاء والأجل نهاية العمر بالانقضاء .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » وغيره عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « قدر اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . وكان عرشه على الماء » .

وثبت في « **صحيح البخاري** » أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « كان اللَّه ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض - وفي لفظ - ثم خلق السموات والأرض .

وقد قال تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ » .

واللَّه يعلم ما كان قبل أن يكون وقد كتب ذلك فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن أو ذات الجنب أو الهدم أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب وهذا يموت مقتولًا إما بالسم وإما بالسيف وإما بالحجر وإما بغير ذلك من أسباب القتل .

وعلم اللَّه بذلك وكتابته له بل مشيئته لكل شيء وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب بل القائل إن قتل قتيلًا أمر اللَّه به ورسوله كالمجاهد في سبيل اللَّه أثابه اللَّه على ذلك وإن قتل قتيلًا حرمه اللَّه ورسوله كقتل القطاع والمعتدين عاقبه اللَّه على ذلك ، وإن قتل قتيلًا مباحًا - كقتيل المقتص - لم يثب ولم يعاقب إلا أن يكون له نية حسنة أو سيئة في أحدهما .

● **والأجل أجلان** : أجل مطلق يعلمه اللَّه وأجل مقيد وبهذا يتبين معنى قوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه فإن اللَّه أمر الملك أن يكتب له أجلًا وقال : إن وصل رحمه زدته كذا وكذا والملك لا يعلم أيزداد أم لا لكن اللَّه يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر » .

ولو لم يقتل المقتول فقد قال بعض القدرية : إنه كان يعيش وقال بعض نفاة الأسباب إنه يموت وكلاهما خطأ فإن اللَّه علم أنه يموت بالقتل فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرًا لما لا يكون لو كان كيف يكون وهذا قد يعلمه

بعض الناس وقد لا يعلمه، فلو فرضنا أن اللَّه علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهل ا.هـ. المراد منه.

● **وقال أبو محمد بن حزم رحمه اللَّه في «الفصل»** (ج ٣ ص: ٨٤): وقد تحيرت المعتزلة هاهنا حتى قال بعضهم لو لم يقتل زيد لعاش لو لم يقتل لمات، وشغب القائلون بأنه لو لم يقتل لعاش بقول اللَّه عز وجل: ﴿وما يعمر من معمرٍ ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ وبقول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «من سره أن ينسأ في أجله فليصل رحمه».

قال أبو محمد: وكل هذا لا حجة لهم فيه بل هو بظاهره حجة عليهم لأن النقص في اللغة التي بها نزل القرآن إنما هو من باب الإضافة، وبالضرورة علمنا أن من عمر مائة عام وعمر آخر ثمانين سنة فإن الذي عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عامًا، فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها على الحقيقة لا ما يظنه من لا عقل له من أن اللَّه تعالى جار تحت أحكام عباده، إن ضربوا زيدًا أماته وإن لم يضربوه لم يمته، ومن أن علمه غير محقق، فربما أعاش زيدًا مائة سنة وربما أعاشه أقل وهذا هو البداء بعينه ومعاذ اللَّه تعالى من هذا القول، بل الخلق كله مصرف تحت أمر اللَّه عز وجل وعلمه، فلا يقدر أحد على تعدي ما علم اللَّه تعالى أنه يكون ولا يكون البتة إلا ما سبق في علمه أن يكون والقتل نوع من أنواع الموت فمن سأل عن المقتول لو لم يقتل لكان يموت أو يعيش فسؤاله سخيف؛ لأنه إنما يسأل لو لم يمت هذا الميت أكان يموت أو كان لا يموت وهذه حماقة جدًّا لأن القتل علة لموت المقتول كما أن الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الأمراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولا فرق، وأما قول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «من سره أن

ينسأ في أجله فليصل رحمه» فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة، وإنما معناه أن اللَّه عز وجل لم يزل يعلم أن زيدًا سيصل رحمه وأن ذلك سبب إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا وكذا كل حي في الدنيا؛ لأن من علم اللَّه تعالى أن سيعمره كذا وكذا من الدهر فإنه تعالى قد علم وقدر أنه سيتغذى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التي لا بد من استيفائها والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق في علم اللَّه عز وجل كما هو لا يبدل قال تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ ولو كان على غير هذا لوجب البداء ضرورة ولكان غير عليم بما يكون متشككًا فيه يكون أم لا يكون وجاهلًا به جملة وهذه صفة المخلوقين لا صفة الخالق وهذا كفر ممن قال به وهم لا يقولون بهذا.

قال أبو محمد: ونص القرآن يشهد بصحة ما قلنا قال اللَّه تعالى عز وجل: ﴿لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ وقال تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ وقال تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ وقال تعالى منكرًا لقول قوم جرت المعتزلة في ميدانهم: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل اللَّه ذلك حسرة في قلوبهم واللَّه يحيي ويميت﴾ وقال تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجلًا﴾.

قال أبو محمد: وهذه نصوص لا يبعد من ردها بعد أن سمعها عن الكفر نعوذ باللَّه من الخذلان.

قال أبو محمد: وموه بعضهم بأن ذكر قول اللَّه تعالى: ﴿ثم قَضَى أجلًا وأجلٌ مسمى عنده﴾.

قال أبو محمد: وهذه الآية حجة عليهم لأنه تعالى نص على أنه قضى أجلًا ولم يقل لشيء دون شيء لكن على الجملة ثم قال تعالى: ﴿وأجلٌ مُسمًّى عنده﴾ فهذا الأجل المسمى عنده هو الذي قضى بلا شك إذ لو كان غيره لكان أحدهما ليس أجلًا إذا أمكن التقصير عنه أو مجاوزته ولكان الباري تعالى مبطلًا إذ سماه أجلًا وهذا كفر لا يقوله مسلم وأجل الشيء هو ميعاده الذي لا يتعداه وإلا فليس يسمى أجلًا البتة ولم يقل تعالى إن الأجل المسمى عنده هو غير الأجل الذي قضى فأجل كل شيء منقض أمره بالضرورة نعلم ذلك ويبين **ذلك قوله تعالى**: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ **وقال**: ﴿ولن يؤخر اللَّه نفسًا إذا جاء أجلها﴾.

وقد أخبرنا تعالى بذلك أيضًا فقال: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجلًا﴾.

فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذي هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك وباللَّه تعالى التوفيق.

* * *

بـــاب
لا مستكره للَّه

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ١٣٩) : حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل أخبرنا عبد العزيز عن أنس رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له » .

رواه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٦٣) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ١٣٩) : حدثنا عبد اللَّه بن مسلمة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، وارزقني إن شئت ، وليعزم المسألة فإنه لا مستكره له » .

أخرجه أبو داود (ج ٤ ص : ٣٥٦) **والترمذي** (ج ٩ ص : ٤٧٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وأحمد (ج ٢ ص : ٢٤٣ و ٤٦٣ و ٤٨٦ و ٥٠٠ و ٥٣٠) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ٤٤٨) : حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له » .

أخرجه أحمد (ج ٢ ص : ٣١٨) .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٠٦٣) : حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا : حدثنا إسماعيل يعنون ابن جعفر عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : «إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٠٦٣) : حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري، حدثنا أنس بن عياض، حدثنا الحارث وهو ابن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «لا يقول أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم في الدعاء، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له».

الحديث أخرجه ابن مندة في «التوحيد» (ج ١ ص : ٢٦٧).

ولفظة «صانع» تعتبر شاذة، والشذوذ من عطاء بن ميناء فقد خالف همام بن منبه والأعرج وعبد الرحمن والد العلاء، ويجوز أن يكون الشذوذ من بعض رجال السند غير عطاء بن ميناء.

ولم أر دليلًا صحيحًا على جواز صفة الله بأنه «صانع».

طلب الإعانة من الله على الأعمال الخيرية

قال أبو داود رحمه الله (ج ٢ ص : ١٨٠) «طبعة حمص» : حدثنا عبيد الله بن ميسرة، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا حيوة بن شريح قال : سمعت عقبة بن مسلم يقول : حدثني أبو عبد الرحمن الحبلي، عن الصنابحي، عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

أخذ بيده وقال : « يا معاذ واللَّه إني لأحبك ، فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وأوصى بذلك معاذ الصنابحي ، وأوصى به الصنابحي أبا عبد الرحمن .

هذا حديث صحيح .

وأخرجه النسائي (ج ٣ ص : ٥٣) فقال : أخبرنا يونس ابن عبد الأعلى قال : حدثنا ابن وهب قال : سمعت حيوة يحدث عن عقبة ابن مسلم ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن الصنابحي ، عن معاذ بن جبل قال : أخذ بيدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : «إني لأحبك يا معاذ» فقلت : وأنا أحبك يا رسول اللَّه فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « فلا تدع أن تقول في كل صلاة : رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

اللَّه هو الذي يحفظ عباده

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿له معقِّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللَّه﴾ .

أي : بأمر اللَّه .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ١٢٥) : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا عبيد اللَّه بن عمر ، حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخل إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي

فارحمها، وأن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين». تابعه أبو ضمرة وإسماعيل بن زكرياء، عن عبيد اللّٰه وقال يحيى بن سعيد وبشر، عن عبيد اللّٰه، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم. ورواه مالك وابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم.

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٨٤).

قال الإمام الترمذي رحمه اللّٰه (ج ٧ ص: ٢١٩): حدثنا أحمد بن محمد ابن موسى، أخبرنا عبد اللّٰه بن المبارك، أخبرنا الليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج. قال حدثنا عبد اللّٰه بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا ليث بن سعد، حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحد، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس قال: كنت خلف النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يومًا فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ اللّٰه يحفظك، احفظ اللّٰه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللّٰه، وإذا استعنت فاستعن باللّٰه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّٰه لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّٰه عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

هذا حديث حسن صحيح.

● **قال أبو عبد الرحمن:**

قيس بن الحجاج لم أجد فيه توثيقًا معتبرًا إلا قول أبي حاتم، وهذا لا يرفع الحديث إلى الحسن لكنه قد جاء الحديث من طرق عن ابن عباس، كما في «**جامع العلوم والحكم**» لابن رجب رحمه اللّٰه.

الرفع والخفض بيد اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾ .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص : ٣٥٢) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « قال اللَّه عزَّ وجل أنفق أُنفق عليك » ، وقال : « يد اللَّه ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار » ، وقال : « أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع » .

ومعنى : لا تغيضها نفقة : لا تنقصها .

وسحاء : أي دائمة .

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ١ ص : ١٦٢) : حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثني شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال : قام فينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بأربع فقال : « إن اللَّه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه ويرفع إليه عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار » .

قال الإمام أبو داود رحمه اللَّه (ج ٩ ص : ٣١٩) : حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي أن سليمان بن بلال حدثهم قال : حدثني العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رجلًا جاء فقال : يا رسول اللَّه سعّر فقال : « بل

ادعوا »، ثم جاء رجل فقال : يا رسول اللَّه سعّر فقال : « بل اللَّه يخفض، ويرفع، وإني لأرجو أن ألقى اللَّه وليس لأحد عندي مظلمة ».

هذا حديث حسن.

الحديث أخرجه أحمد (ج ٢ ص ٣٣٧ و ص ٣٧٢).

العزة والذل من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة للَّه جميعًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿من كان يريد العزة فللَّه العزة جميعًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ومن يهن اللَّه فما له من مكرم إن اللَّه يفعل ما يشاء﴾.

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ١ ص : ١٩٩) : ثنا وكيع ثنا يونس بن أبي إسحاق عن بريد بن أبي مريم [(١)] السلولي عن أبي الحوراء عن الحسن بن علي قال : علمني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت ».

---

(١) في « **الأصل** » : يزيد بن أبي مريم، **والصواب** ما أثبتناه.

هذا حديث صحيح، وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاها.

التمكين والنصر من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿الذين إن مكنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرًا * إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات اللَّه وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وكفى بربك هاديًا ونصيرًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ .

وليس معناه أننا لا نأخذ بالأسباب ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن

أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن اللَّه أعد للكافرين عذابًا مهينًا﴾ .

● **وإليك شيئًا من السنة في الأخذ بالأسباب :**

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٤٦) باب حفر الخندق : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي اللَّه عنه قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

والنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يجيبهم ويقول : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة » .

حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق سمعت البراء رضي اللَّه عنه يقول : كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ينقل ويقول : « لولا أنت ما اهتدينا » . حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء رضي اللَّه عنه قال : رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب - وقد وارى التراب بياض بطنه - وهو يقول : « لولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزل السكينة علينا ، وثبت الأقدام إن لاقينا ، إن الألى قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبينا » .

وقال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٨١) باب الحراسة في الغزو في سبيل اللَّه : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا علي بن مسهر ، أخبرنا يحيى بن سعيد ، أخبرنا عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة قال : سمعت عائشة رضي اللَّه عنها

تقول : كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سهر ، فلما قدم المدينة قال : « ليت رجلًا من أصحابي صالحًا يحرسني الليلة » إذ سمعنا صوت سلاح فقال : « من هذا ؟ » فقال : أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك فنام النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

حدثنا يحيى بن يوسف ، أخبرنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي ، وإن لم يعط لم يرض » . لم يرفعه إسرائيل ومحمد بن جحادة عن أبي حصين ، وزادنا عمرو قال : أخبرنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن دينار ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل اللَّه ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » . قال أبو عبد اللَّه : لم يرفعه إسرائيل ومحمد بن جحادة ، عن أبي حصين وقال : تعسًا فكأنه يقول : فأتعسهم اللَّه ، طوبى : فعلى من كل شيء طيب وهي ياء حوّلت إلى الواو وهي من يطيب .

وقال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٩٥) باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي اللَّه عنه قال : كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أحسن الناس وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت ، فاستقبلهم النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة

عرى وفي عنقه السيف ، وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا» ثم قال: «وجدناه بحرًا» . أو قال: إنه لبحر .

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٦ ص: ٩٦) باب لبس البيضة: حدثنا عبد اللّٰه ابن مسلمة ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه ، عن سهل رضي اللّٰه عنه ، أنه سئل عن جرح النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يوم أحد فقال: جرح وجه النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة عليها السلام تغسل الدم ، وعلي يمسك ، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة ، أخذت حصيرًا فأحرقته حتى صار رمادًا ثم ألزقته فاستمسك الدم .

وقال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٦ ص: ٩٩) باب ما قيل في درع النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم والقميص في الحرب: وقال النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «أما خالد فقد احتبس أدراعه في سبيل اللّٰه» . حدثنا محمد ابن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: قال النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم وهو في قبة: «اللهم إني أنشدك عهدك ، ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول اللّٰه فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ .

وقال وهيب: حدثنا خالد يوم بدر . حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت: توفي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير ، وقال يعلى: حدثنا الأعمش: درع من حديد .

وقال معلى: حدثنا عبد الواحد ، عن الأعمش وقال: رهنه درعًا من حديد .

التثبيت من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل اللَّه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً * وإذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجدُ لك علينا نصيرًا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل اللَّه وما ضعفوا وما استكانوا واللَّه يحب الصابرين * وما كان قولهم إلاَّ أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم اللَّه ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة واللَّه يحب المحسنين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللَّه ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

وقال البخاري رحمه اللَّه : حدثنا حفص بن عمر ، ثنا شعبة عن أبي إسحاق ، عن البراء رضي اللَّه عنه قال : رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول :

لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

اللَّه هو الذي يبطل كيد الأعداء ويدافع عن دينه

وقال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿وليزيدن كثيرًا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها اللَّه﴾.

وليس معنى هذا: أن المسلمين لا يقومون بما أوجب عليهم من الجهاد في سبيل اللَّه، وإعداد العدة لأعداء الإسلام، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وينصحون للَّه ولرسوله وللمؤمنين، **ولكن معناه**: أن المسلمين يقومون بما أوجب عليهم بحسب الاستطاعة والقدرة، ثم يفوضون الأمر إلى اللَّه فنعم المولى ونعم المصير.

إن اللَّه هو المسعر

قال الإمام أبو داود رحمه اللَّه (ج ٩ ص: ٣١٩): حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي أن سليمان بن بلال حدثهم قال: حدثني العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رجلًا جاء فقال: يا رسول اللَّه سعّر فقال: «بل ادعوا» ثم جاء رجل فقال: يا رسول اللَّه سعّر فقال: «بل اللَّه يخفض ويرفع، وإني لأرجو أن ألقى اللَّه وليس لأحد عندي مظلمة».

هذا حديث حسن.

الحديث أخرجه أحمد (ج ٢ ص ٣٣٧ ، ص ٣٧٢) .

قال الإمام أبو داود رحمه اللَّه (ج ٩ ص : ٣٢٠) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، أخبرنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك . وقتادة[١] وحميد ، عن أنس بن مالك قال : قال الناس : يا رسول اللَّه غلا السعر فسعر لنا قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إن اللَّه هو المسعر ، القابض ، الباسط ، الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى اللَّه وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال » .

هذا حديث صحيح .

الحديث أخرجه الترمذي (ج ٤ ص : ٥٤٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قال الإمام أبو عبد اللَّه بن ماجه رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٧٤٢) : حدثنا محمد ابن زياد ، ثنا عبد الواحد ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : غلا السعر على عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقالوا : لو قوّمت يا رسول اللَّه قال : « إني لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبني أحد منكم بمظلمة » .

هذا حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٨٥) : ثنا علي بن عاصم ، أنا الجريري ، عن أبي نضرة به .

● **في « مجموع الفتاوى »** (ج ٨ ص : ٥١٩) :

سئل شيخ الإسلام عن الغلاء والرخص هل هما من اللَّه تعالى أم لا ؟

---

(١) قتادة وحميد معطوفان على ثابت .

فأجاب :

جميع ما سوى اللَّه من الأعيان وصفاتها وأحوالها مخلوقة للَّه مملوكة للَّه ، هو ربها ، وخالقها ، ومليكها ، ومدبرها لا رب لها غيره ، ولا إله سواه ، له الخلق والأمر . لا شريك له في شيء من ذلك ، ولا معين ، بل هو **كما قال سبحانه :** ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون اللَّه لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ . أخبر سبحانه أن ما يدعي من دونه ليس له مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا شرك في ملك ولا إعانة على شيء ، وهذه الوجوه الثلاثة هي التي ثبت بها حق الغير ، فإنه إما أن يكون مالكًا للشيء مستقلًا بملكه ، أو يكون مشاركًا له فيه نظير ، أو لا ذا ولا ذاك فيكون معينًا لصاحبه ، كالوزير والمشير والمعلم والمنجد والناصر ، فبين سبحانه أنه ليس لغيره ملك لمثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا لغيره شرك في ذلك ، لا قليل ولا كثير ، فلا يملكون شيئًا ، ولا لهم شرك في شيء ولا له سبحانه ظهير ، وهو المظاهر المعاون ، فليس له وزير ولا مشير ولا ظهير . **وهذا كما قال سبحانه :** ﴿وقل الحمد للَّه الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا﴾ فإن المخلوق يوالي المخلوق لذله ، فإذا كان له من يواليه عز بوليه ، والرب تعالى لا يوالي أحدًا لذلته تعالى بل هو العزيز بنفسه : ﴿من كان يريد العزة فللَّه العزة جميعًا﴾ وإنما يوالي عباده المؤمنين لرحمته ونعمته وحكمته وإحسانه وجوده وفضله وإنعامه .

وحينئذ فالغلاء بارتفاع الأسعار ، والرخص بانخفاضها هما من جملة الحوادث التي لا خالق لها إلا اللَّه وحده ، ولا يكون شيء منها إلا بمشيئته وقدرته ، لكن هو سبحانه قد جعل بعض أفعال العباد سببًا في بعض

الحوادث، كما جعل قتل القاتل سببًا في موت المقتول، وجعل ارتفاع الأسعار قد يكون بسبب ظلم العباد، وانخفاضها قد يكون بسبب إحسان بعض الناس، ولهذا أضاف من أضاف من القدرية المعتزلة وغيرهم الغلاء والرخص إلى بعض الناس **وبنوا على ذلك أصولًا فاسدة**:

أحدها: أن أفعال العباد ليست مخلوقة للَّه تعالى.

والثاني: إنما يكون فعل العبد سببًا له يكون العبد هو الذي أحدثه.

والثالث: أن الغلاء والرخص إنما يكون بهذا السبب.

وهذه الأصول باطلة؛ فإنه قد ثبت أن اللَّه خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، ودلت على ذلك الدلائل الكثيرة السمعية والعقلية، وهذا متفق عليه بين الأمة وأئمتها، وهم مع ذلك يقولون: إن العباد لهم قدرة ومشيئة وإنهم فاعلون لأفعالهم ويثبتون ما خلقه اللَّه من الأسباب وما خلق اللَّه من الحكم.

ومسألة القدر مسألة عظيمة ضل فيها طائفتان من الناس؛ طائفة أنكرت أن يكون اللَّه خالقًا لكل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما أنكرت ذلك المعتزلة، وطائفة أنكرت أن يكون العبد فاعلًا لأفعاله، وأن تكون لهم قدرة لها تأثير في مقدورها، أو أن يكون في المخلوقات ما هو سبب لغيره، وأن يكون اللَّه خلق شيئًا لحكمه كما أنكر ذلك الجهم بن صفوان ومن اتبعه من المجبرة الذي نسب كثير منهم إلى السنة، والكلام على هذه المسألة مبسوط في مواضع أخر.

الأصل الثاني: وهو إن ما كان فعل العبد أحد أسبابه، كالشبع الذي يكون بسبب الأكل، وزهوق النفس الذي يكون بالقتل، فهذا قد جعله أكثر المعتزلة فعلًا للعبد، والجبرية لم يجعلوا الفعل للعبد فيه تأثيرًا بل ما تيقنوا أنه سبب،

قالوا : إنه عنده لا به ، وأما السلف والأئمة فلا يجعلون العبد فاعلًا لذلك كفعله لما قام به من الحركات ، فلا يمنعون أن يكون مشاركًا في أسبابه ، وأن يكون اللَّه جعل فعل العبد مع غيره أسبابًا في حصول مثل ذلك .

وقد ذكر اللَّه في كتابه النوعين بقوله : ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل اللَّه ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلًا إلا كتب لهم به عمل صالح إن اللَّه لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديًا إلا كتب لهم ليجزيهم اللَّه أحسن ما كانوا يعملون﴾ .

والإنفاق والسير هو نفس أعمالهم القائمة بهم فقال فيها : ﴿إلا كتب لهم﴾ ولم يقل إلا كتب لهم به عمل صالح ، فإنها نفسها عمل ، فنفس كتابتها يحصل به المقصود بخلاف الظمأ والنصب والجوع الحاصل بغير الجهاد ، بخلاف غيظ الكفار بما نيل منهم ، فإن هذه ليست نفس أفعالهم ، وإنما هي حادثة عن أسباب منها : أفعالهم **فلهذا قال تعالى :** ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ .

فتبين : أن ما يحدث من الآثار عن أفعال العباد لهم بها عمل ؛ لأن أفعالهم كانت سببًا فيها ، كما قال صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » .

والأصل الثالث : أن الغلاء والرخص لا تنحصر أسبابه في ظلم بعض ، بل قد يكون سببه قلة ما يخلق ، أو يجلب من ذلك المال المطلوب ، فإذا كثرت الرغبات في الشيء ، وقل المرغوب فيه ارتفع سعره ، فإذا كثر وقلت وقد

تكون بسبب لا ظلم فيه، وقد تكون بسبب فيه ظلم، واللَّه تعالى يجعل الرغبات في القلوب، فهو سبحانه كما جاء في الأثر: قد تغلو الأسعار والأهواء غرار، وقد ترخص الأسعار والأهواء فقار ا.هـ.

السراء والضراء من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد للَّه رب العالمين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ما يفتح اللَّه للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى اللَّه واللَّه هو الغني الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على اللَّه بعزيز﴾

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون * ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كان يكسبون﴾.

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند اللَّه ولكن أكثرهم لا يعلمون * وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون * فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وما بكم من نعمة فمن اللَّه ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ .

الضر والخير من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وإن يمسسك اللَّه بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء اللَّه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء اللَّه لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تدع من دون اللَّه ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين * وإن يمسسك اللَّه بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون اللَّه إن أرادني اللَّه بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي اللَّه عليه يتوكل المتوكلون ﴾ .

قال البخاري رحمه الله (ج٨ ص: ٥٠١) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حين أنزل اللَّه : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال : « يا معشر قريش » - أو كلمة نحوها - « اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من اللَّه شيئًا ، ويا صفية عمة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لا أغني عنك من اللَّه شيئًا ، يا فاطمة بنت محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من اللَّه شيئًا » .

تابعه أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب .

الصلاح الزراعي من الله

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرًا نخرج منه حبًّا متراكبًا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهًا وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفًا أكله والزيتون والرمان متشابهًا وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطامًا فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ .

الآفات الزراعية من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا للَّه وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعًا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا وفجرنا خلالهما نهرًا * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلًا * لكنا هو اللَّه ربي ولا أشرك بربي أحدًا * ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه إن ترن أنا أقل منك مالًا وولدًا * فعسى ربي أن يؤتين خيرًا من جنتك ويرسل عليها حسبانًا من السماء فتصبح صعيدًا زلقًا * أو يصبح ماؤها غورًا فلن تستطيع له طلبًا * وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون اللَّه وما كان منتصرًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وضرب اللَّه مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم اللَّه فأذاقها اللَّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم * فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون * بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل

بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرًا منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ .

● **إذا علمت أن الآفات الزراعية من اللَّه فليس معناه أنك تترك الأسباب المشروعة من مكافحة الأمراض التي تكون في الزرع وغيره من الأشجار المثمرة، ومن تحين وقت البذر، وقطع فروع العنب ليثمر .**

ولكن معناه : أنك تعمل السبب المشروع فإذا حصلت الآفة علمت أنها من عند اللَّه .

الدليل على عمل السبب المشروع

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ١٨٣٥) : حدثنا قتيبة بن سعيد الثقفي، وأبو كامل الجحدري، وتقاربا في اللفظ، وهذا حديث قتيبة قالا : حدثنا أبو عوانة، عن سماك، عن موسى بن طلحة، عن أبيه قال : مررت مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بقوم على رءوس النخل فقال : « ما يصنع هؤلاء؟ » فقالوا : يلقّحونه، يجعلون الذكر في الأنثى، فيتلقح فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ما أظن يغني ذلك شيئًا » قال :

فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن اللَّه شيئًا فخذوا به، فإني لن أكذب على اللَّه عز وجل».

حدثنا عبد اللَّه بن الرومي اليمامي، وعباس بن عبد العظيم العنبري، وأحمد بن جعفر المقرئ قالوا: حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة (وهو ابن عمار)، حدثنا أبو النجاشي، حدثني رافع بن خديج قال: قدم نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم المدينة وهم يأبرون النخل، يقولون يلقحون النخل فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنا نصنعه قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا» فتركوه، فنفضت أو فنقصت قال: فذكروا ذلك له فقال: «إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي، فإنما أنا بشر». قال عكرمة: أو نحو هذا، قال المقرئ فنفضت ولم يشك.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، كلاهما عن الأسود بن عامر قال أبو بكر: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة وعن ثابت، عن أنس، أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم مر بقوم يلقحون فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال فخرج شيصًا، فمر بهم فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

اللَّه هو المعطي وهو المانع

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٥١٢): حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا عبدة بن أبي لبابة، عن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال: كتب

معاوية إلى المغيرة : اكتب إليّ ما سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول خلف الصلاة ، فأملى علي المغيرة ، قال : سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول خلف الصلاة : « لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

وقال ابن جريج : أخبرني عبدة أن ورادًا أخبره بهذا . ثم وفدت بعد إلى معاوية فسمعته يأمر الناس بذلك القول .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٩٥) : ثنا ابن نمير ويعلى قالا : ثنا عثمان بن حكيم ، وأبو بدر ، عن عثمان بن حكيم ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن معاوية قال يعلى في حديثه : سمعت معاوية قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول على هذه الأعواد : « اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه مالك في « الموطأ » (ج ٣ ص : ٩٤) **وقد رواه البخاري ، ومسلم** من حديث المغيرة بن شعبة ، وأنه كتب إلى معاوية بذلك ؛ **هذا بالنسبة للشطر الأول من الحديث وأما قوله :** « من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين » **فمتفق عليه من حديثه أيضًا .**

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١ ص : ١٦٤) : حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثنا ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : قال حميد بن عبد الرحمن : سمعت معاوية خطيبًا يقول : سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم واللَّه يعطي ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر اللَّه لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه » .

أخرجه مسلم (ج ٢ ص : ٧١٩) **وانتهى عنده :** وإنما أنا قاسم ويعطي اللَّه .

قال مسلم رحمه اللَّه تعالى (ج١ / ص: ٣٤٧):

حدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا مروان بن محمد الدمشقي حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن عطية بن قيس، عن قزعة، عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: «ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد. أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

إعطاء الولد والمنع من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿للَّه ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء واتقوا اللَّه الذي تساءلون به والأرحام إن اللَّه كان عليكم رقيبًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿واللَّه جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة اللَّه هم يكفرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى حاكيًا عن نوح عليه السلام:

﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا * يرسل السماء عليكم مدرارًا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيًا * قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك ربي شقيًا * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًا * يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميًا * قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرًا وقد بلغت من الكبر عتيًا * قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكن نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿فلينظر الإنسان مما خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك اللَّه أحسن الخالقين﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلًا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن اللَّه هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا * فاتخذت من دونهم حجابًا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا * قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا * فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا * فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًّا * وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا * فكلي واشربي وقري عينًا فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا * فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريًّا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًّا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا * قال إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا * وجعلني مباركًا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًّا * وبرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًّا * والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت

ويوم أبعث حيًا * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلًا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخًا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلًا مسمى ولعلكم تعقلون﴾.

وقوله تعالى:

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلامًا قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليهم نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت يا ويلتي ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم﴾.

● **إذا علمت أن إعطاء الولد من الله، فليس معناه: أنك تترك الأسباب المشروعة، فلا تترك الزواج وتقول: إعطاء الولد من الله، فإنك إن فعلت ذلك فقد تركت سنة من سنن الأنبياء عليهم السلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية﴾.**

وقال سبحانه وتعالى:

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما

تغشاها حملت حملًا خفيفًا فمرت به فلما أثقلت دعوا اللَّه ربهما لئن آتيتنا صالحًا لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى اللَّه عما يشركون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

وقال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ٩ ص : ١٠٤) : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، أخبرنا حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس ابن مالك رضي اللَّه عنه يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا ، فجاء رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما واللَّه إني لأخشاكم للَّه وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وقال البخاري رحمه اللَّه (ج ٩ ص : ١٠٦) : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش قال : حدثني إبراهيم ، عن علقمة قال : كنت مع عبد اللَّه فلقيه عثمان بمنى فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لي إليك حاجة ، فخليا فقال عثمان : هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكرًا تذكرك ما كنت تعهد ، فلما رأى عبد اللَّه أن ليس له حاجة إلى هذا أشار إليّ فقال : يا علقمة فانتهيت إليه وهو يقول : أما لئن قلت ذلك لقد قال لنا النبي صلى

اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» .

وقال البخاري رحمه اللَّه (ج ٩ ص : ١١٧) : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرنا ابن شهاب ، سمع سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : رد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا.

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب أنه سمع سعد بن أبي وقاص يقول : لقد رد ذلك - يعني النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم- على عثمان بن مظعون، ولو أجاز له التبتل لاختصينا .

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير ، عن إسماعيل : عن قيس قال : قال عبداللَّه : كنا نغزو مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وليس لنا شيء، فقلنا ألا نستخصي ، فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب ثم قرأ علينا : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل اللَّه لكم ولا تعتدوا إن اللَّه لا يحب المعتدين﴾ .

فأنت عليك أن تعمل الأسباب المشروعة من زواج ، وعلاج مشروع ، فإذا لم ترزق أولادًا فوضت أمرك إلى اللَّه ، وإياك إياك أن تذهب إلى المنجمين ، والدجالين ، والمشعوذين الذين يختلسون أموال المسلمين، ويشككونهم في عقيدتهم في اللَّه ، وأنصحك بتفويض أمرك إلى اللَّه ﴿فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل اللَّه فيه خيرًا كثيرًا﴾ .

* * *

الرزق من اللَّه

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿قل أرأيتم ما أنزل اللَّه لكم من رزق فجعلتم منه حرامًا وحلالًا قل آللَّه أذن لكم أم على اللَّه تفترون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وما من دابة في الأرض إلا على اللَّه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها اللَّه يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿هل من خالق غير اللَّه يرزقكم من السماء والأرض﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا * ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئًا كبيرًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

وقال تعالى : ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ .

ومعنى قوله : ﴿خير الرازقين﴾ أن الشخص يرزق أهله ولكن من رزق الله .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إن اللَّه هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم اللَّه من فضله واللَّه واسع عليم﴾ .

قال الحاكم رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٣) : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا الربيع بن سليمان ، ثنا عبد اللَّه بن وهب ، أنبأنا سليمان بن بلال ، حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن سعيد بن سويد ، عن أبي حميد الساعدي أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : «أجملوا في طلب الدنيا فإن كلًّا ميسر لما كتب له منها» .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

● **قال أبو عبد الرحمن :**

هذا حديث حسن على شرط مسلم ، فعبد الملك بن سعيد بن سويد الأنصاري ليس من رجال البخاري ، **وهو حسن الحديث** .

قال الحاكم رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٤) : أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أنبأنا عبد اللَّه بن الليث المروزي ، ثنا أحمد بن عيسى ، ثنا عبد اللَّه بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللَّه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : «لا تستبطئوا الرزق ، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له ، فأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام» .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وشاهده عن أبي الزبير، عن جابر صحيح على شرط مسلم أخبرناه أحمد ابن جعفر القطيعي، ثنا عبد اللَّه بن أحمد، حدثني أبي، ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه، فلا تستبطئوا الرزق، واتقوا اللَّه أيها الناس وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم».

الحديث بطريقيه إلى جابر صحيح، وعبد اللَّه بن الليث ترجمه الخطيب (ج ١٠ ص: ٤٦) ولم يذكر فيه توثيقًا، فهو مستور الحال، وهناك عبد اللَّه بن ليث آخر أرفع منه في «**الجرح والتعديل**»، وثقه علي بن المديني.

قال الإمام ابن أبي عاصم رحمه اللَّه (ج ١ ص: ١١٧): ثنا شيبان بن فروخ، ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي قيس عبد الرحمن بن ثروان، عن هذيل ابن شرحبيل، عن ابن عمر قال: كنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فرأى تمرة عائدة فأعطاها سائلًا، وقال: «لو لم تأتها لأتتك».

هذا حديث حسن، رجاله رجال الصحيح.

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ٢٠٥٠): حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وأبو كريب واللفظ لأبي بكر قالا، حدثنا وكيع، عن مسعر، عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد اللَّه اليشكري، عن المعرور بن سويد، عن عبد اللَّه قال: قالت أم حبيبة زوج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: اللهم أمتعني بزوجي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال: فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «قد سألت اللَّه لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله، أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت اللَّه أن يعيذك من

عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرًا وأفضل». قال: وذكرت عنده القردة. قال مسعر وأراه قال: والخنازير من مسخ فقال: «إن الله لم يجعل المسخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك».

حدثناه أبو كريب، حدثنا ابن بشر، عن مسعر بهذا الإسناد غير أن في حديثه عن ابن بشر ووكيع جميعًا من عذاب في النار وعذاب في القبر.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وحجاج بن الشاعر، واللفظ لحجاج قال إسحاق: أخبرنا وقال حجاج: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد الله اليشكري، عن معرور بن سويد، عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنك سألت الله لآجال مضروبة، وآثار موطوءة، وأرزاق مقسومة لا يعجل منها شيئًا قبل حله، ولا يؤخر منها شيئًا بعد حله، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لك». فقال رجل: يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ؟ فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الله عز وجل لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا، فيجعل لهم نسلًا، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك». حدثنيه أبو داود سليمان بن معبد، حدثنا الحسين بن حفص، حدثنا سفيان بهذا الإسناد، غير أنه قال: وآثار مبلوغة. قال ابن معبد: وروى بعضهم قبل حله أي: نزوله.

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٤ ص: ١٩٩٤): حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، حدثنا مروان يعني: ابن محمد، حدثنا سعيد ابن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن

أبي ذر عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فيما روى عن اللَّه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص من ملكي شيئًا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

قال سعيد: كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه. **حدثنيه** أبو بكر بن إسحاق، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بهذا الإسناد غير أن مروان أتمهما حديثًا.

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص: ٨٣): ثنا يزيد، أنا القاسم بن الفضل الحداني، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي اللَّه، تنزع مني رزقًا ساقه اللَّه إليّ، فقال: يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد

صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأخبره فأمر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: «أخبرهم» فأخبرهم، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «صدق، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما حدث[1] أهله بعده».

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

وقد أخرجه ابن حبان كما في «الموارد» (ص: ٥١٩) **قال رحمه اللَّه**: أنبأنا أبو يعلى، حدثنا هدبة بن خالد القيسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، حدثنا الجريري، حدثنا أبو نضرة به.

فزاد فيه الجريري: فلعله سمعه من الجريري، وهو سعيد بن إياس أبو مسعود، ومن أبي نضرة فقد رواه العقيلي في «**الضعفاء**» (ج ٣ ص: ٥٧٨) عن الفضل عن أبي نضرة به.

ثم روى عن مسلم: وهو ابن إبراهيم قال: كنت عند القاسم بن الفضل الحداني، فأتاه شعبة فسأله عن حديث أبي نضرة، يعني هذا الحديث قال: فقال شعبة: لعلك سمعته من شهر بن حوشب قال: بلى[2] حدثنا أبو نضرة فما سكت حتى سكت شعبة.

---

(١) كذا في «المسند» بما حدث أهله. وفي «**تهذيب التهذيب**» و«**الضعفاء**» للعقيلي في ترجمة القاسم بن الفضل، بما أحدث أهله، وفي «**موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**» (ص: ٥١٩) بحدث أهله، وما في هذه المصادر أقرب.

(٢) وفي «**تهذيب التهذيب**» نقلًا عن العقيلي قال: لا، وهو الأقرب.

وتأكد شعبة من القاسم بن الفضل الحداني ، **لأن الحديث** قد جاء من حديث شهر ، عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج٣ ص: ٨٨) : ثنا أبو اليمان ، أنا شعيب حدثني عبد اللَّه بن أبي حسين ، حدثني شهر أن أبا سعيد الخدري حدثه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، قال : « بينا أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له ، عدا عليه الذئب ، فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فاستنقذها منه ، وهجهجه فعانده الذئب ، يمشي ثم أقعى مستذفرًا بذنبه يخاطبه ، فقال : أخذت رزقًا رزقنيه اللَّه ، فقال : واعجبًا من ذئب مقع مستذفر بذنبه يخاطبني ، فقال : واللَّه إنك لتترك أعجب من ذلك قال : وما أعجب من ذلك ؟ فقال : رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بين النخلتين وبين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق ، وما يكون بعد ذلك » قال : فنعق الأعرابي بغنمه ، حتى ألجأها إلى بعض المدينة ، ثم مشى إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، حتى ضرب عليه بابه فلما صلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « أين الأعرابي صاحب الغنم ؟ » ، فقام الأعرابي فقال له النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « حدث الناس بما سمعت وما رأيت » ، فحدث الأعرابي الناس بما رأى من الذئب وسمع منه فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عند ذلك : « صدق ، آيات تكون قبل الساعة ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده » .

شهر بن حوشب : مختلف فيه ، والراجح ضعفه ، وقد جعل أوله من قول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وهو من حديث أبي نضرة من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه .

● **وفي « مجموع الفتاوى » (ج ٨ ص : ٥٤٠)، سئل شيخ الإسلام، عن الرزق هل يزيد أو ينقص؟ وهل هو ما أكل أو ملكه العبد؟.**

فأجاب :

الرزق نوعان :

أحدهما : ما علمه اللَّه أنه يرزقه فهذا لا يتغير .

والثاني : ما كتبه وأعلم به ملائكته ، فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب ، فإن العبد يأمر اللَّه الملائكة أن تكتب له رزقًا ، وإن وصل رحمه زاده اللَّه على ذلك ، كما ثبت في « الصحيح » عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « من سره أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه » ، وكذلك عمر داود زاد ستين سنة فجعله اللَّه مائة بعد أن كان أربعين . ومن هذا الباب قول عمر : اللهم إن كنت كتبتني شقيًا فامحني واكتبني سعيدًا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت .

ومن هذا الباب قوله تعالى عن نوح : ﴿أن اعبدوا اللَّه واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ . **وشواهده كثيرة .**

والأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره اللَّه وكتبه ؛ فإن كان قد تقدم بأنه يرزق العبد بسعيه واكتسابه ألهمه السعي والاكتساب ، وذلك الذي قدره لا بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب ، وما قدره له بغير اكتساب كموت موروثه يأتيه به بغير اكتساب .

والسعي سعيان :

سعي فيما نصب للرزق كالصناعة والزراعة والتجارة .

وسعي بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك فإن اللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

فصل

والرزق يراد به شيئان :

أحدهما : ما ينتفع به العبد .

والثاني : ما يملكه العبد فهذا الثاني هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وقوله تعالى : ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ وهذا هو الحلال الذي ملكه اللَّه إياه .

وأما الأول فهو المذكور في قوله تعالى : ﴿وما من دابة في الأرض إلا على اللَّه رزقها﴾ وقوله : « إن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها » ونحو ذلك .

والعبد قد يأكل الحلال والحرام ، فهو رزق بهذا الاعتبار لا بالاعتبار الثاني وما اكتسبه ولم ينتفع به هو رزق بالاعتبار الثاني دون الأول فإن هذا في الحقيقة مال وارثه لا ماله . **واللَّه أعلم .**

الإنكار على من احتج بالقدر على ترك الأعمال الصالحة

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ١٠) : حدثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، قال : أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي ، أخبره أن علي بن أبي طالب ، أخبره أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم طرقه وفاطمة بنت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ليلة فقال : « ألا تصليان؟ » ، فقلت : يا رسول اللَّه أنفسنا بيد اللَّه فإذا شاء أن

يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئًا ، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول : ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا﴾ .

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص : ٥٣٧) .

لا يجوز للعاصي أن يحتج بالقدر على المعصية

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء اللَّه ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فللَّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء اللَّه ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا واللَّه أمرنا بها قل إن اللَّه لا يأمر بالفحشاء أتقولون على اللَّه ما لا تعلمون﴾ .

فأنت تجد أن اللَّه أنكر عليهم في آخر كل آية من هؤلاء الآيات الثلاث ، وقد أنكر اللَّه على الشيطان حيث قال : ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ **قال اللَّه سبحانه وتعالى منكرًا عليه :** ﴿قال اخرج منها مذءومًا مدحورًا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا باللَّه ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على اللَّه ما لا تعلمون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إن تكفروا فإن اللَّه غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا ولكن اللَّه يزكي من يشاء واللَّه سميع عليم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون﴾ .

الإيمان بالقدر لا ينافي العمل

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٢٠٥٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وابن نمير قالا : حدثنا عبد اللَّه بن إدريس ، عن ربيعة بن عثمان ، عن محمد ابن يحيى بن حبان ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن

الضعيف وفي كل خير . احصر على ما ينفعك واستعن باللَّه ولا تعجز . وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر اللَّه وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

الأمر بالعمل مع الإيمان بالقدر

قال اللَّه سبحانه وتعالى :

﴿وقل اعملوا فسيرى اللَّه عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص : ٧٠٩) : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، قال : سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي رضي اللَّه عنه قال : كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في جنازة فأخذ شيئًا فجعل ينكت به الأرض فقال : « ما منكم من أحد إلَّا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة » ، قالوا : يا رسول اللَّه أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؛ أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ : ﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى﴾ . الآية .

ولئن كنا قد ذكرنا من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية وأقوال السلف التي ستأتي إن شاء اللَّه . ما فيه كفاية ، **فليس معناه** : أنه لا يحمد مطيع ولا يذم عاصٍ ، ولا معناه أنه لا يثاب مطيع ولا يعاقب عاصٍ .

وقد ذكر الإمام محمد ابن الحسين أبو بكر الآجري جملة من الآيات القرآنية التي تدل على إسناد الأفعال إلى أصحابها والثناء على فاعلي الخير ، والذم

لفاعلي الشر، بل الجنة لفاعلي الخير، والنار لمن أعرض عن أوامر اللَّه وارتكب نواهيه، قال رحمه اللَّه في «الشريعة» (ص: ١٢٢):

قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾.

وقال عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

وقال تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿فأما الذين كفروا فيعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين * وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم واللَّه لا يحب الظالمين﴾.

وقال عز وجل في سورة النساء: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلًّا ظليلًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا وعد اللَّه حقًّا ومن أصدق من اللَّه قيلًا﴾.

وقال جل وعلا: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا للَّه ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾.

وقال تبارك وتعالى في سورة المائدة: ﴿وعد اللَّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.

وقال عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

وقال عز وجل في سورة الأعراف: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسًا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد للَّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

وقال عز وجل في سورة براءة: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل اللَّه بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند اللَّه وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدًا إن اللَّه عنده أجر عظيم﴾.

وقال عز وجل في سورة براءة أيضًا: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾.

● **قال محمد بن الحسين رحمه اللَّه تعالى:** اعتبروا رحمكم اللَّه بما تسمعون، لم يعطهم مولاهم الكريم هذا الخير كله بالإيمان وحده حتى ذكر عز وجل هجرتهم وجهادهم بأموالهم وأنفسهم، وقد علمتم أن اللَّه عز وجل لما ذكر قومًا آمنوا بمكة، ولم يهاجروا مع رسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ماذا قال فيهم **وهو قوله تعالى:** ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾، ثم ذكر قومًا آمنوا بمكة وأمكنتهم الهجرة إليه، فلم يهاجروا فقال فيهم قولًا هو أعظم من هذا **وهو قوله عز وجل:** ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في

الأرض قالوا ألم تكن أرض اللَّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا﴾.

ثم عذر – جل ذكره – من لم يستطع الهجرة ولا النهوض بعد إيمانه **فقال عز وجل**: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا * فأولئك عسى اللَّه أن يعفو عنهم﴾.

● **قال محمد بن الحسين رحمه اللَّه تعالى**: كل هذا يدل على أن الإيمان: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح ولا يجوز على هذا ردًّا على المرجئة الذين لعب بهم الشيطان ميزوا هذا تفقهوا إن شاء اللَّه تعالى.

وقال عز وجل في سورة يونس: ﴿إليه مرجعكم جميعًا وعد اللَّه حقًّا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾.

وقال عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾.

وقال عز وجل في سورة يونس: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات اللَّه ذلك هو الفوز العظيم﴾.

وقال عز وجل في سورة الرعد: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللَّه ألا بذكر اللَّه تطمئن القلوب * الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾.

وقال عز وجل في سورة إبراهيم: ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾.

وقال عز وجل في سورة الإسراء: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيرًا﴾.

وقال عز وجل في **سورة الكهف**: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا * قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا * ماكثين فيه أبدًا﴾.

وقال عز وجل في **سورة الكهف**: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا * أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقًا﴾.

وقال عز وجل في **سورة الكهف**: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلًا * خالدين فيها لا يبغون عنها حولًا﴾.

وقال عز وجل في **سورة مريم**: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا * إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا﴾.

وقال في **سورة مريم أيضًا**: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا﴾.

وقال عز وجل في **سورة طه**: ﴿ومن يأته مؤمنًا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا * جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾.

وقال عز وجل: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾.

وقال عز وجل في **سورة الحج**: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد﴾.

وقال عز وجل: ﴿إن اللَّه يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير﴾.

وقال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾.

وقال عز وجل: ﴿الملك يومئذ للَّه يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾.

وقال عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾.

وقال عز وجل: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفًا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

وقال عز وجل في سورة الروم: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾.

وقال عز وجل في سورة لقمان: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم * خالدين فيها وعد اللَّه حقًّا وهو العزيز الحكيم﴾.

وقال عز وجل في سورة السجدة: ﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون * أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلًا بما كانوا يعملون﴾.

وقال عز وجل في سورة سبأ: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾.

وقال عز وجل : ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحًا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ .

وقال عز وجل في سورة فاطر : ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ .

وقال عز وجل في سورة الزمر : ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا﴾ **إلى قوله :** ﴿العاملين﴾ .

وقال عز وجل في سورة الشورى : ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ذلك الذي يبشر اللَّه عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ .

وقال في حم الزخرف : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾ **إلى قوله :** ﴿أنتم وأزواجكم﴾ **إلى قوله :** ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ .

وقال عز وجل في سورة الجاثية : ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ **إلى قوله :** ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين﴾ .

وقال عز وجل في سورة الأحقاف : ﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا﴾ **إلى قوله :** ﴿أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ .

وقال عز وجل في سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه أضل أعمالهم * والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ إن اللَّه يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ **إلى قوله :** ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ .

وقال عز وجل في سورة التغابن : ﴿ ومن يؤمن باللَّه ويعمل صالحًا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم ﴾ .

وقال عز وجل في سورة الطلاق : ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ .

وقال عز وجل في سورة إذا السماء انشقت : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ **إلى آخر السورة .**

وقال عز وجل في سورة البروج : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ﴾ .

وقال عز وجل في سورة التين والزيتون : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ .

وقال عز وجل في سورة لم يكن : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

• **قال محمد بن الحسن رحمه الله: ميزوا رحمكم الله قول مولاكم الكريم: هل ذكر الإيمان في موضع واحد من القرآن إلا وقد قرن إليه العمل الصالح؟**

وقال عز وجل: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.

فأخبر جل ثناؤه: بأن الكلم الطيب حقيقته أن يرفع إلى اللّه عز وجل بالعمل الصالح، فإن لم يكن عمل بطل الكلام من قائله ورد عليه، ولا كلام أطيب وأجل من التوحيد، ولا عمل من عمل الصالحات أجل من أداء الفرائض.

حدثنا أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: حدثنا أبو عبيدة التاجي، أنه سمع الحسن(١) يقول: قال قوم على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: إنا لنحب ربنا عز وجل فأنزل اللّه عز وجل بذلك قرآنًا **فقال جل ثناؤه:** ﴿قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه ويغفر لكم ذنوبكم﴾.

فجعل اتباع نبيه محمدًا صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم. علمًا لحبه وكذب من خالفه ثم جعل كلّ قول دليلًا من عمل يصدقه ومن عمل يكذبه، فإذا قال قولًا حسنًا وعمل عملًا حسنًا رفع اللّه قوله بعمله، وإذا قال قولًا حسنًا وعمل عملًا سيئًا رد اللّه القول على العمل وذلك في كتاب اللّه عز وجل: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.

---

(١) **مرسل**، والمرسل من قسم الضعيف، لا سيما وهو من مراسيل الحسن وهي شديدة الضعف، بل قال بعضهم مراسيل الحسن **كالريح**.

حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال : حدثنا يزيد بن عبد الصمد، قال : حدثنا آدم يعني : ابن أبي إياس، قال : حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية في قول اللَّه عز وجل : ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ يقول تكلموا بكلام الإيمان وحققوه بالعمل.

قال الربيع بن أنس : وكان الحسن يقول : الإيمان كلام وحقيقته العمل فإن لم يحقق القول بالعمل لم ينفعه القول.

قال محمد بن الحسين رحمه اللَّه : وكذلك ذكر اللَّه عز وجل المتقين في كتابه في غير موضع منه ودخولهم الجنة فقال : ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾، وهذا في القرآن كثير يطول به الكتاب لو جمعته مثل قوله في حم الزخرف : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ إلى قوله : ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

ومثل قوله في سورة ق، وفي الذاريات، والطور : مثل قوله : ﴿إن المتقين في جنات ونعيم * فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم * كلوا واشربوا هنيئًا بما[1] كنتم تعملون﴾.

وقال عز وجل في سورة المرسلات : ﴿إن المتقين في ظلال وعيون﴾ **إلى قوله** : ﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون﴾ **أ.هـ. كلامه رحمه اللَّه**.

وقال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١ ص : ٦٤) : حدثنا أبو اليمان، قال : أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال : أخبرني أبو إدريس عائذ اللَّه بن عبد اللَّه، أن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال وحوله عصابة من

(١) **ولا تعارض بين الآية وحديث لن يدخل الجنة أحد بعمله**، فالباء في الآية باء السببية، والباء في الحديث باء العوض واللَّه أعلم.

أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا باللَّه شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفى منكم فأجره على اللّه، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره اللَّه فهو إلى اللَّه إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»، **فبايعناه على ذلك**.

● **وقد ورد سؤال عن القدر نظمًا أورده بعض الذميين أو أورده بعض القدرية على لسان بعض الذميين.**

قال السائل كما في «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (ج ٨ ص: ٢٤٥):

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضه مني فما وجه حيلتي؟
دعاني وسد الباب عني فهل إلى ... دخول سبيل بينوا لي قضيتي
قضى بضلالي ثم قال: ارضى بالقضا ... فما أنا راض بالذي فيه شقوتي
فإن كنت بالمقضي يا قوم راضيًا ... فربي لا يرضى بشؤم بليتي
فهل لي رضًا ما ليس يرضاه سيدي ... فقد حرت دلوني على كشف حيرتي
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة ... فهل أنا عاص في اتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه ... فباللَّه فاشفوا بالبراهين غلتي

فأجاب شيخ الإسلام الإمام العلامة أحمد بن تيمية مرتجلًا:

الحمد للَّه رب العالمين:

سؤالك يا هذا سؤال معاند ... مخاصم رب العرش باري البرية
فهذا سؤال خاصم الملأ العلا ... قديما به إبليس أصل البلية

ومن يك خصما للمهيمن يرجعن على أم رأس هاويًا في الحفيرة
ويدعى خصوم اللّٰه يوم معادهم إلى النار طرًّا معشر القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به اللّٰه أو ماروا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة
إن هموا لم يفهموا حكمة له فصاروا على نوع من الجاهلية
فإن جميع الكون أوجب فعله مشيئة رب الخلق باري الخليقة
وذات إله الخلق واجبة بما لها من صفات واجبات قديمة
مشيئته مع علمه ثم قدرة لوازم ذات اللّٰه قاضي القضية
وإبداعه ما شاء من مبدعاته بها حكمة وأنواع رحمة
ولسنا إذا قلنا جرت بمشيئة من المنكري آياته المستقيمة
بل الحق أن الحكم للّٰه وحده له الخلق والأمر الذي في الشريعة
هو الملك المحمود في كل حالة له الملك من غير انتقاص بشركة
فما شاء مولانا الإله فإنه يكون وما لا لا يكون بحيلة
وقدرته لا نقص فيها وحكمه يعم فلا تخصيص في ذي القضية
أريد بذا أن الحوادث كلها بقدرته كانت ومحض المشيئة
ومالكنا في كل ما قد أراده له الحمد حمدا يعتلي كل مدحة
فإن له في الخلق رحمته سرت ومن حكم فوق العقول الحكيمة
أمورًا يحار العقل فيها إذا رأى من الحكم العليا وكل عجيبة
فنؤمن أن اللّٰه عز بقدرة وخلق وإبرام لحكم المشيئة
فنثبت هذا كله لإلهنا ونثبت ما في ذاك من كل حكمة
وهذا مقام طالما عجز الأولى نفوه وكروا راجعين بحيرة
وتحقيق ما فيه بتبيين غوره وتحرير حق الحق في ذي الحقيقة
هو المطلب الأقصى لوارد بحره وذا عسر في نظم هذي القصيدة
لحاجته إلى بيان محقق لأوصاف مولانا الإله الكريمة

وأسمائه الحسنى وأحكام دينه ... وأفعاله في كل هذي الخليقة
وهذا بحمد اللَّه قد بان ظاهرا ... وإلهامه للخلق أفضل نعمة
وقد قيل في هذا وخط كتابه ... بيان شفاء للنفوس السقيمة
فقولك لم قد شاء مثل سؤال من ... يقول فلم قد كان في الأزلية
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه ... وتحريمه قد جاء في كل شرعة
وفي الكون تخصيص كثير يدل من ... له نوع عقل أنه بإرادة
وإصداره عن واحد بعد واحد ... أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولا ريب في تعليق كل مسبب ... بما قبله من علة موجبية
بل الشأن في الأسباب أسباب ما ترى ... وإصدارها عن حكم محض المشيئة
وقولك لم شاء الإله هو الذي ... أزل عقول الخلق في قعر حفرة
فإن المجوس القائلين بخالق ... لنفع ورب مبدع للمضرة
سؤالهم عن علة السر أوقعت ... أوائلهم في شبهة الثنوية
وإن ملاحيد الفلاسفة الأولى ... يقولون بالفعل القديم لعلة
بغوا علة للكون بعد انعدامه ... فلم يجدوا ذاكم فضلوا بضلة
وإن مبادي الشر في كل أمة ... ذوي ملة ميمونة نبوية
بخوضهمو في ذاكم صار شركهم ... وجاء دروس البينات بفترة
ويكفيك نقضًا أن ما قد سألته ... من العذر مردود لدى كل فطرة
فأنت تعيب الطاعنين جميعهم ... عليك وترميهم بكل مذمة
وتنحل من والاك صفو مودة ... وتبغض من ناواك من كل فرقة
وحالهم في كل قول وفعلة ... كحالك يا هذا بأرجح حجة
وهبك كففت اللوم عن كل كافر ... وكل غوي خارج عن محجة
فيلزمك الإعراض عن كل ظالم ... على الناس في نفس ومال وحرمة
ولا تغضبن يومًا على سافك دما ... ولا سارق مالًا لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضًا مصونًا وإن علا ... ولا ناكح فرجًا على وجه غية

ولا قاطع للناس نهج سبيلهم … ولا مفسد في الأرض في كل وجهة
ولا شاهد بالزور إفكًا وفرية … ولا قاذف للمحصنات بزنية
ولا مهلك للحرث والنسل عامدا … ولا حاكم للعالمين برشوة
وكف لسان اللوم عن كل مفسد … ولا تأخذن ذا جرمة بعقوبة
وسهل سبيل الكاذبين تعمدا … على ربهم من كل جاء بفرية
وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم … يروم فساد النوع ثم الرياسة
وجادل عن الملعون فرعون إذ طغى … فأغرق في اليم انتقامًا بغضبة
وكل كفور مشرك بإلهه … وآخر طاغ كافر بنبوة
كعاد ونمروذ وقوم لصالح … وقوم لنوح ثم أصحاب الأيكة
وخاصم لموسى ثم سائر من أتى … من الأنبياء محييًا للشريعة
على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا … ونالوا من المعاصي بليغ العقوبة
وإلا فكل الخلق في كل لفظة … ولحظة عين أو تحرك شعرة
وبطشة كف أو تخطي قديمة … وكل حراك بل وكل سكينة
همو تحت أقدار الإله وحكمه … كما أنت فيما قد أتيت بحجة
وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل … فعال ردى طردًا لهذي المقيسة
فهل يمكن رفع الملام جميعه … عن الناس طرًّا عند كل قبيحة
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا … وترك الورى الإنصاف بين الرعية
فلا تضمنن نفس ومال بمثله … ولا يعقبن عاد بمثل الجريمة
وهل في عقول الناس أو في طباعهم … قبول لقول النذل ما وجه حيلتي
ويكفيك نقضًا ما بجسم ابن آدم … صبي ومجنون وكل بهيمة
من الألم المقضي في غير حيلة … وفيما يشاء الله أكمل حكمة
إذا كان في هذا له حكمة فما … يظن بخلق الفعل ثم العقوبة
وكيف ومن هذا عذاب مولد … عن الفعل فعل العبد عند الطبيعة

كآكل سم أوجب الموت أكله ... وكل بتقدير لرب البرية
فكفرك يا هذا كسم أكلته ... وتعذيب نار مثل جرعة غصة
ألست ترى في هذه الدار من جني ... يعاقب إما بالقضا أو بشرعة
ولا عذر للجاني بتقدير خالق ... كذلك في الأخرى بلا مثنوية
وتقدير رب الخلق للذنب موجب ... لتقدير عقبى الذنب إلا بتوبة
وما كان من جنس المتاب لرفعه ... عواقب أفعال العباد الخبيثة
كخير به تمحى الذنوب ودعوة ... تجاب من الجاني ورب شفاعة
وقول حليف الشر أني مقدر ... علي كقول الذئب هذي طبيعتي
وتقديره للفعل يجلب نقمة ... كتقديره الأشياء طرًّا بعلة
فهل ينفعن عذر الملوم بأنه ... كذا طبعه أم هل يقال لعثرة
أم الذم والتعذيب أوكد للذي ... طبيعته فعل الشرور الشنيعة
فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى ... ينجيك من نار الإله العظيمة
فدونك رب الخلق فاقصده ضارعا ... مريدًا لأن يهديك نحو الحقيقة
وذلل قياد النفس للحق واسمعن ... ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة
وما بان من حق فلا تتركنه ... ولا تعص من يدعو الأقوم شرعة
ودع دين ذا العادات لا تتبعنه ... وعج عن سبيل الأمة الغضبية
ومن ضل عن حق فلا تقفونه ... وزن ما عليه الناس بالمعدلية
هنالك تبدو طالعات من الهدى ... تبشر من قد جاء بالحنيفية
بملة إبراهيم ذاك إمامنا ... ودين رسول اللّٰه خير البرية
فلا يقبل الرحمن دينًا سوى الذي ... به جاءت الرسل الكرام السجية
وقد جاء هذا الحاشر الخاتم الذي ... حوى كل خير في عموم الرسالة
وأخبر عن رب العباد بأن من ... غدا عنه في الأخرى بأقبح خيبة
فهذي دلالات العباد لحائر ... وأما هداه فهو فعل الربوبة

وفقد الهدى عند الورى لا يفيد من غدا عنه بل يجزي بلا وجه حجة
وحجة محتج بتقدير ربه تزيد عذابًا كاحتجاج مريضة
وأما رضانا بالقضاء فإنما أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
كسقم وفقر ثم ذل وغربة وما كان من مؤذ بدون جريمة
فأما الأفاعيل التي كرهت لنا فلا ترتضى مسخوطة لمشيئة
وقد قال قوم من أولي العلم لا رضا بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
وقال فريق نرتضي بقضائه ولا نرتضي المقضي أقبح خصلة
وقال فريق نرتضي بإضافة إليه وما فينا فنلقى بسخطة
كما أنها للرب خلق وأنها لمخلوقة ليست كفعل الغريزة
فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ونسخط من وجه اكتساب الخطيئة
ومعصية العبد المكلف تركه لما أمر المولى وإن بمشيئة
فإن إله الخلق حق مقاله بأن العباد في جحيم وجنة
كما أنهم في هذه الدار هكذا بل البهم في الآلام أيضًا ونعمة
وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من الـ ـفروق بعلم ثم أيد ورحمة
يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي يقدره نحو العذاب بعزة
ويهدي أولي التنعيم نحو نعيمهم بأعمال صدق في رجاء وخشية
وأمر إله الخلق بين ما به يسوق أولي التنعيم نحو السعادة
فمن كان من أهل السعادة أثرت أوامره فيه بتيسير صنعة
ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة
ولا مخرج للعبد عما به قضى ولكنه مختار حسن وسوأة
فليس بمجبور عديم الإرادة ولكنه شاء بخلق الإرادة
ومن أعجب الأشياء خلق مشيئة بها صار مختار الهدى بالضلالة
فقولك هل اختار تركًا لحكمة كقولك هل أختار ترك المشيئة

واختار أن لا أختار فعل ضلالة ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة
وذا ممكن لكنه متوقف على ما يشاء اللّه من ذي المشيئة
فدونك فافهم ما به قد أجبت من معان إذا انحلت بفهم غريزة
أشارت إلى أصل يشير إلى الهدى وللّه رب الخلق أكمل مدحة
وصلى إله الخلق جل جلاله على المصطفى المختار خير البرية

* * *

فصل في الاستطاعة [1]

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ولِلَّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ومن كفر فإن اللَّه غني عن العالمين﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللَّه وعدوكم﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وسيحلفون باللَّه لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم واللَّه يعلم إنهم لكاذبون﴾.

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن الخضر إذ يقول لموسى عليهما السلام: ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرًا﴾، ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا﴾، ﴿ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها﴾.

---

(١) **اعلم أننا أردنا بهذا الفصل الرد على الجبرية، وعلى القدرية؛** فالأدلة التي تثبت الاستطاعة ترد على الجبرية، والأدلة التي تنفيها ترد على القدرية، والجمع بين الأدلة: أن للعبد استطاعة ولكنها خاضعة لقدرة اللَّه وإرادته؛ ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿لا يكلف اللَّه نفسًا إلا ما أتاها﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ٢٥١) : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « دعوني ما تركتكم ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٥٨٧) : حدثنا عبدان ، عن عبد اللَّه ، عن إبراهيم بن طهمان ، قال : حدثني الحسين المكتب ، عن ابن بريدة ، عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنه قال : كانت بي بواسير فسألت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن الصلاة ، فقال : « صل قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلى جنب » .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص : ٤٠٠) : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي قال : حدثني الأعمش ، قال : حدثني خيثمة ، عن عدي بن حاتم قال : قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه اللَّه يوم القيامة ، وليس بينه وبينه ترجمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئًا قدامه ، ثم

ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة » .

قال البخاري رحمه الله (ج ١ ص: ١٢٩) : حدثنا علي بن الجعد قال : أخبرنا شعبة عن أبي جمرة قال : كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره فقال : أقم عندي حتى أجعل لك سهمًا من مالي ، فأقمت معه شهرين ، ثم قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قال : « من القوم - أو من الوفد - ؟ » ، قالوا : ربيعة ، قال : « مرحبًا بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ، ولا ندامى » ، فقالوا : يا رسول اللّه إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان باللّه وحده ، قال : « أتدرون ما الإيمان باللّه وحده ؟ » قالوا : اللّه ورسوله أعلم ، قال : « شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس » ، ونهاهم عن أربع : عن الحنتم ، والدباء ، والنقير ، والمزفت - وربما قال : المقير - وقال : « احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم » .

قال البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص: ١٩٣) : حدثنا عبد اللّه بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن عبد اللّه بن دينار ، عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعتم » .

حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثنا عبد اللّه بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك ، قال : كتب : إني أقر

بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، على سنة الله وسنة رسوله، ما استطعت، وأن بني قد أقروا بمثل ذلك.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا سيار، عن الشعبي، عن جرير بن عبد الله قال: بايعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على السمع، والطاعة، فلقنني: فيما استطعت والنصح لكل مسلم.

حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، عن سفيان قال: حدثني عبد الله بن دينار قال: لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر: إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك، أمير المؤمنين، على سنة الله وسنة رسوله، فيما استطعت، وأن بني قد أقروا بذلك.

قال البخاري رحمه الله (ج ٢ ص: ٣٣): حدثنا الحميدي قال: حدثنا مروان بن معاوية قال: حدثنا إسماعيل، عن قيس، عن جرير قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنظر إلى القمر ليلة - يعني: البدر - فقال: «إنكم سترون ربكم(١) كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، فافعلوا. ثم قرأ: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾. قال إسماعيل: افعلوا لا تفوتنكم.

قال البخاري رحمه الله (ج ٤ ص: ١١٩): حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: بينا أنا أمشي مع عبد الله رضي الله عنه فقال: كنا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «من

---

(١) من الأدلة على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة.

استطاع الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء » .

قال البخاري رحمه الله (ج ٤ ص: ١٦٣) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي اللَّه عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذ جاءه رجل فقال : يا رسول اللَّه هلكت ، قال : « ما لك ؟ » قال : وقعت على امرأتي ، وأنا صائم ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « هل تجد رقبة تعتقها ؟ » قال : لا ، قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال : لا ، قال : « فهل تجد إطعام ستين مسكينًا ؟ » قال : لا ، قال : فمكث النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فبينا نحن على ذلك أتى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بعرق فيها تمر - والعرق : المكتل - قال : « أين السائل ؟ » ، فقال : أنا ، قال : « خذ هذا فتصدق به » . فقال الرجل : على أفقر مني يا رسول اللَّه ؟ فواللَّه ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي . فضحك النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حتى بدت أنيابه ، ثم قال : « أطعمه أهلك » .

قال البخاري رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٢٠) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد اللَّه بن عمرو قال : أخبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إني أقول : واللَّه لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ، ما عشت فقلت له : قد قلته بأبي أنت وأمي قال : « فإنك لا تستطيع ذلك ؛ فصم ، وأفطر ، وقم ، ونم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر » ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فصم يومًا ، وأفطر

يومين » . قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فصم يومًا ، وأفطر يومًا فذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أفضل الصيام » فقلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لا أفضل من ذلك » .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٢٢٩٣) : حدثنا يحيى بن أيوب ، وقتيبة بن سعيد ، وعلي بن حجر السعدي ، قالوا : حدثنا إسماعيل (يعنون ابن جعفر) ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع » .

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ١ ص : ٣٦٢) : حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمر بين يديه ، وليدرأه ما استطاع ، فإن أبى فليقاتله ، فإنما هو شيطان » .

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ١ ص : ٦٩) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع ، عن سفيان (ح) ، وحدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، كلاهما عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، وهذا حديث أبي بكر قال : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ؟ فقال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ؛ سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

● **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى»** (ج ٨ ص : ٣٧١) :

فصل : قد تكلم الناس من أصحابنا وغيرهم في استطاعة العبد : هل هي مع فعله ؟ أم قبله ؟ وجعلوها قولين متناقضين : فقوم جعلوا الاستطاعة مع الفعل فقط ، وهذا هو الغالب على مثبتة القدر المتكلمين من أصحاب الأشعري ، ومن وافقهم من أصحابنا وغيرهم . وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل ، وهو الغالب على النفاة من المعتزلة ، والشيعة ، وجعل الأولون القدرة لا تصلح إلا لفعل واحد ، إذ هي مقارنة له لا تنفك عنه ، وجعل الآخرون الاستطاعة لا تكون إلا صالحة للضدين ، ولا تقارن الفعل أبدًا ، والقدرية أكثر انحرافًا ؛ فإنهم يمنعون أن يكون مع الفعل قدرة بحال ؛ فإن عندهم أن المؤثر لا بد أن يتقدم على الأثر لا يقارنه بحال ، سواء في ذلك القدرة ، والإرادة ، والأمر .

والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة : أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضًا وتقارنه أيضًا استطاعة أخرى لا تصلح لغيره .

فالاستطاعة نوعان : متقدمة صالحة للضدين ، مقارنة لا تكون إلا مع الفعل ، فتلك هي المصلحة للفعل المجوزة له ، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له .

قال الله تعالى في الأولى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ﴾ ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج ، ولما عصى أحد بترك الحج ، ولا كان الحج واجبًا على أحد قبل الإحرام به ، بل قبل فراغه ، **وقال تعالى** : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة ، ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط ، إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة ، وقال تعالى :

﴿لا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها﴾ **والوسع الموسوع**، وهو الذي تسعه، وتطيقه، فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلا الفعل الذي أتى به فقط، دون ما تركه من الواجبات، **وقال تعالى**: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين﴾ ﴿فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا﴾ **والمراد به الاستطاعة المتقدمة**، **وإلا كان المعنى**: فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين، فيجوز حينئذ الإطعام، لكل من لم يصم، ولا يكون الصوم واجبًا على أحد حتى يفعله، وقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، **ولو أريد به المقارنة فقط لكان المعنى**: فأتوا منه ما فعلتم، فلا يكونون مأمورين إلا بما فعلوه، وكذلك قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لعمران بن حصين: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فعلى جنب» ولو أريد المقارنة لكان المعنى: فإن لم تفعل فتكون مخيرًا، ونظائر هذا متعددة؛ فإن كل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة، وعدمه بعدمها، لم يرد به المقارنة وإلا لما كان اللَّه قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها، وقد أسقطها عمن لم يفعلها، فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور.

وأما الاستطاعة المقارنة الموجبة فمثل قوله تعالى: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ وقوله: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعًا﴾ فهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة؛ إذ الأخرى لا بد منها في التكليف.

فالأولى: هي الشرعية التي هي مناط الأمر، والنهي، والثواب، والعقاب، وعليها يتكلم الفقهاء، وهي الغالبة في عرف الناس.

والثانية: هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل.

فالأولى : للكلمات الأمريات الشرعيات ، **والثانية** : للكلمات الخلقيات الكونيات كما قال : ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾ .

● **وقد اختلف الناس في قدرة العبد على خلاف معلوم الحق ، أو مراده ؟**

والتحقيق : أنه قد يكون قادرًا بالقدرة الأولى الشرعية المقدمة على الفعل ؛ فإن اللَّه قادر أيضًا على خلاف المعلوم والمراد ، وإلا لم يكن قادرًا إلا على ما فعله ، وليس العبد قادرًا على ذلك بالقدرة المقارنة للفعل ؛ فإنه لا يكون إلا ما علم اللَّه كونه وأراد كونه ؛ فإنه ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن ، وكذلك قول الحواريين : ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ إنما استفهموا عن هذه القدرة ، وكذلك ظن يونس ﴿أن لن نقدر عليه﴾ أي :فسر بالقدرة كما يقال للرجل هل تقدر أن تفعل كذا ؟ أي : هل تفعله ، وهو مشهور في كلام الناس .

ولما اعتقدت القدرية أن الأولى كافية في حصول الفعل ، وأن العبد يحدث مشيئته ، جعلته مستغنيًا عن اللَّه من حيث الفعل ، كما أن الجبرية لما اعتقدت أن الثانية موجبة للفعل ، وهي من غيره ، رأوه مجبورًا على الفعل ، وكلاهما خطأ قبيح ؛ فإن العبد له مشيئة ، وهي تابعة لمشيئة اللَّه ، كما ذكر اللَّه ذلك في عدة مواضع من كتابه ﴿فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء اللَّه﴾ ، ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا * وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه﴾ ، ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه رب العالمين﴾ .

فإذا كان اللَّه قد جعل العبد مريدًا مختارًا شائيًا امتنع أن يقال : هو مجبور مقهور ؛ مع كونه قد جعل مريدًا ، وامتنع أن يكون هو الذي ابتدع لنفسه المشيئة ، فإذا قيل هو مجبور على أن يختار ، مضطر إلى أن يشاء ، فهذا

لا نظير له، وليس هو المفهوم من الجبر بالاضطرار، ولا يقدر على ذلك إلا اللَّه؛ ولهذا افترق القدرية والجبرية على طرفي نقيض، وكلاهما مصيب فيما أثبته، دون ما نفاه:

فأبو الحسين البصري، ومن وافقه من القدرية يزعمون: أن العلم بأن العبد يحدث أفعاله وتصرفاته علم ضروري، وأن جحد ذلك سفسطة، وابن الخطيب ونحوه من الجبرية يزعمون أن العلم بافتقار رجحان فعل العبد على تركه إلى مرجح من غير العبد ضروري؛ لأن الممكن المتساوي الطرفين لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح، وكلا القولين صحيح لكن دعوى استلزام أحدهما نفي الآخر ليس بصحيح؛ فإن العبد محدث لأفعاله، كاسب لها، وهذا الإحداث مفتقر إلى محدث، فالعبد فاعل، صانع، محدث، وكونه فاعلًا، صانعًا، محدثًا، بعد أن لم يكن، لا بد له من فاعل كما قال: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ فإذا شاء الاستقامة صار مستقيمًا ثم قال: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه رب العالمين﴾.

فما علم بالاضطرار، وما دلت عليه الأدلة السمعية والعقلية كله حق؛ ولهذا كان لا حول ولا قوة إلا باللَّه والعبد فقير إلى اللَّه فقرًا ذاتيًا له، في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ مع أن له ذاتًا وصفات وأفعالًا، فنفى أفعاله كنفي صفاته وذاته، وهو جحد للحق، شبيه بغلو غالية الصوفية الذين يجعلونه هو الحق، أو جعل شيء منه مستغنيًا عن اللَّه، أو كائنًا بدونه: جحد للحق، شبيه بغلو الذي قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقال إنه خلق نفسه وإنما الحق ما عليه أهل السنة والجماعة.

وإنما الغلط: في اعتقاد تناقضه بطريق التلازم، وأن ثبوت أحدهما مستلزم لنفي الآخر، فهذا ليس بحق وسببه كون العقل يزيد على المعلوم المدلول عليه

ماليس كذلك، وتلك الزيادة تناقض ما علم ودل عليه ا.هـ.

واعلم أني ذكرت الإنكار على من احتج بالقدر على ترك الأعمال الصالحة، ولا يجوز للعاصي أن يحتج بالقدر على المعصية، والإيمان بالقدر لا ينافي العمل، وذكرت فصلًا في الاستطاعة لبيان مذهب أهل السنة رحمهم اللَّه أنه وسط بين نفاة القدر وبين الجبرية؛ فأهل السنة يثبتون للعبد فعلًا، ومشيئة، وقدرة، وإرادة، وعملًا، وتركًا وأنه يمدح على الطاعة، ويذم على المعصية، ولكن فعل العبد، ومشيئته، وقدرته، وإرادته، وعمله، وتركه، خاضع لقدرة اللَّه ﴿وما تشاءون إلَّا أن يشاء اللَّه﴾ ﴿لا حول ولا قوة إلا باللَّه﴾ وهذا أمر يحس به كل عاقل؛ فأحدنا يعزم على الأمر في الحين أو في الغد فيصرفه اللَّه إلى عمل غيره، هذا أمر لا ينكر، فسبحان من يسير الأمور. والعاصي يهم بالمعصية، فيصرفه اللَّه، إن كان اللَّه يريد به الخير يصرفه بمرض، أو خوف من الناس، وربما خوف من اللَّه إلى غير ذلك من الصرف الذي يحس به العقلاء وما أكثر التخطيطات التي نخططها لديننا أو دنيانا فيصرفنا إلى غير ما نخططه إما عن اقتناع منا وإما بالقهر، والغلبة، فخاب، وخسر من يظن أنه يغالب اللَّه، أو يتصرف في الكون من غير إرادة اللَّه، ومشيئته.

والحمد للَّه الذي هدانا للإيمان بالقدر وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه فهو المتفضل علينا بالهداية فله الفضل وحده. والحمد للَّه.

* * *

مطابقة الواقع للقدر

إن مما يدخل في القدر : ما أخبر اللَّه به قبل أن يقع ، أو أخبر به رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قبل أن يقع ، ثم وقع موافقًا للقدر ، ويدخل في هذا ما أخبر رسول اللَّه عن أمور مستقبلة ، ومنها أن يخبر صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أن فلانًا من أهل الجنة ، ثم لم ينقل عنه أنه غيّر أو بدّل ، أو أخبر أن فلانًا من أهل النار ، ثم تحققت له سوء الخاتمة والعياذ باللَّه ، وهذا يدخل في دلائل النبوة أيضًا ، وقد كنت كتبت جلّه هنالك ، ولا يمنع أن يستدل بالدليل الواحد على أمور شتى ؛ فهذا من الفقه في الدين ، والحمد للَّه رب العالمين .

فمنها : قصة أبي لهب وامرأته

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارًا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد ﴾ .

مات أبو لهب وامرأته على كفرهما كما أخبر اللَّه سبحانه وتعالى ، ومن مات كافرًا فهو إلى النار .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٢٥٩) : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثني عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال أبو لهب عليه لعنة اللَّه ، للنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : تبًّا لك سائر اليوم ، فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب[1] .

(١) **الشاهد فيه** : حيث وقع ما أخبر اللَّه به في كتابه من عدم إسلام أبي لهب وامرأته ؛ وهذا يعد من إعجاز القرآن .

ومنها : الإخبار بأن المسلمين سيقتلون أمية بن خلف

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص : ٢٨٢) : حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح بن مسلمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق قال : حدثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه حدّث : عن سعد بن معاذ أنه قال : كان صديقًا لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم المدينة انطلق سعد معتمرًا ، فنزل على أمية بمكة فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت . فخرج به قريبًا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان من هذا معك ؟ قال : هذا سعد . فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنًا ، وقد أويتم الصباة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم ، وتعينونهم . أما واللَّه لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا فقال له سعد - ورفع صوته عليه - : أما واللَّه لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي . فقال سعد : دعنا عنك يا أمية فواللَّه لقد سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إنهم قاتلوك » . قال : بمكة ؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا ، فلما رجع أمية إلى أهله قال : يا أم صفوان ألم تري ما قال لي سعد ؟ قالت : وما قال لك . قال : زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتلي . فقالت له : بمكة ؟ قال : لا أدري فقال أمية : واللَّه لا أخرج من مكة . فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال : أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت ، وأنت سيد أهل الوادي ، تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى

قال : أما إذا غلبتني فواللّٰه لأشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزيني ، فقالت له : يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي قال : لا ما أريد أن أجوز معه إلا قريبًا ، فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلًا إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك حتى قتله اللّٰه عز وجل ببدر .

ومنها : ما رأى صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أنه سيتزوج عائشة

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٧ ص : ٢٢٣) : حدثنا معلى ، حدثنا وهيب ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال لها : «أريتك في المنام مرتين : أرى أنك في سرقة من حرير ويقول : هذه امرأتك فاكشف ، فإذا هي أنت ، فأقول : إن يك هذا من عند اللّٰه يمضه» .

ومنها : الإخبار بأن الكفار في يوم بدر سينهزمون

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٦ ص : ٩٩) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم وهو في قبة : «اللهم إني أنشدك عهدك ، ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم» ، فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا رسول اللّٰه ؛ فقد ألححت على ربك ، وهو في الدرع ، فخرج ، وهو يقول : «سيهزم الجمع ، ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمر» .

وقال وهيب : حدثنا خالد (يوم بدر) .

ومنها : الإخبار عن المواقع التي سيقتل فيها بعض الكفار الذين شهدوا بدرًا

قال مسلم رحمه الله (ج ١٧ ص : ٢٠٥ مع «شرح النووي») : حدثني إسحاق ابن عمر بن سليط الهذلي ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : كنت مع عمر (ح) وحدثنا شيبان بن فروخ ، واللفظ له ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فرأينا الهلال ، وكنت رجلًا حديد البصر ، فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيري ، قال : فجعلت أقول لعمر : ما تراه ، فجعل لا يراه ، قال : يقول عمر : سأراه وأنا مستلق على فراشي ، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول : هذا مصرع فلان غدًا إن شاء اللّٰه ، قال : فقال عمر : فوالذي بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حد رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، قال : فجعلوا في بئر بعضهم على بعض ، فانطلق رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم حتى انتهى إليهم فقال : «يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم اللّٰه ورسوله حقًّا فإني قد وجدت ما وعدني اللّٰه حقًّا ؟» . قال عمر : يا رسول اللّٰه كيف تكلم أجسادًا ، لا أرواح فيها ؟ قال : «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئًا» .

ومنها : الإخبار بفتح خيبر

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص : ١٢٦) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع رضي اللّٰه

عنه قال : كان علي رضي اللّه عنه تخلف عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم في خيبر وكان به رمد قال : أنا أتخلف عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى أله وسلم ، فخرج علي ، فلحق بالنبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « لأعطين الراية » أو قال : « ليأخذن غدًا رجل يحبه اللّه ورسوله » أو قال : « يحب اللّه ورسوله يفتح اللّه عليه » فإذا نحن بعلي وما نرجوه ، فقالوا : هذا علي : فأعطاه رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، ففتح اللّه عليه .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ١٨٧٢) .

قال الإمام البخاري رحمه اللّه (ج ٦ ص : ١١١) : حدثنا عبد اللّه بن مسلمة القعنبي ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه : سمع النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم يقول يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلًا يفتح اللّه على يديه » فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى ، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى ، فقال : « أين علي ؟ » فقيل : يشتكي عينيه ، فأمر فدعي له ، فبصق في عينيه ، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء فقال : نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال : « على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فواللّه لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم » .

قال مسلم رحمه اللّه (ج ٤ ص : ١٨٧١) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب ، يعني ابن عبد الرحمن القاري ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلًا يحب اللّه ورسوله ، يفتح اللّه على يديه » ، قال عمر بن الخطاب :

ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال : فتساورت لها ، رجاء أن أدعى لها ، قال : فدعا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم علي بن أبي طالب ، فأعطاه إياها وقال : « امش ، ولا تلتفت ، حتى يفتح اللَّه عليك » قال : فسار علي شيئًا ، ثم وقف ، ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسول اللَّه ! على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم ، وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على اللَّه » .

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص : ٦٣٣) : حدثنا علي بن عبد اللَّه ، حدثنا سفيان ، حدثنا أيوب ، عن محمد سمعت أنس بن مالك رضي اللَّه عنه يقول : صبح رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خيبر بكرة وقد خرجوا بالمساحي ، فلما رأوه قالوا : محمد والخميس ، فأجالوا إلى الحصن يسعون ، فرفع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يديه وقال : « اللَّه أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا أنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص : ١٤٢٦) .

ومنها : الإخبار بأن الله والمؤمنين لا يرضون خليفة للمسلمين إلا أبا بكر

قال البخاري رحمه الله (ج ١٠ ص : ١٢٣) : حدثنا يحيى بن يحيى أبو زكرياء ، أخبرنا سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم بن محمد قال : قالت عائشة : وا رأساه ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك » ، فقالت عائشة : وا ثكلياه ، واللَّه إني لأظنك تحب موتي ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى

آله وسلم : « بل أنا وا رأساه لقد هممت ، أو أردت ، أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت : يأبى اللَّه ، ويدفع المؤمنون . أو يدفع اللَّه ويأبى المؤمنون » .

ومنها : إخباره بأن من رُدّ من المسلمين إلى الكفار سيجعل اللَّه له فرجًا ومخرجًا

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ١٤١١) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس أن قريشًا صالحوا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فيهم سهيل بن عمرو ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لعلي : « اكتب بسم اللَّه الرحمن الرحيم » قال سهيل : أما بسم اللَّه فما ندري ما بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب ما نعرف : باسمك اللهم ، فقال : « اكتب من محمد رسول اللَّه » قالوا : لو علمنا أنك رسول اللَّه لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « اكتب من محمد بن عبد اللَّه » فاشترطوا على النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أن من جاء منكم لم نرده عليكم ، ومن جاءكم منا رددتموه علينا ، فقالوا : يا رسول اللَّه أنكتب هذا؟ قال : « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده اللَّه ، ومن جاءنا منهم سيجعل اللَّه له فرجًا ومخرجًا » .

وقد وقع ما أخبر به النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ؛ فعندما تجمع الهاربون من مكة على سيف البحر ، وقطعوا الطريق على قريش ، طلب كفار قريش من النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أن يقبلهم .

ومنها : الإخبار بهبوب ريح شديدة في غزوة تبوك

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ١٧٨٥) : حدثنا عبد اللَّه بن مسلمة بن قعنب ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن عمرو بن يحيى ، عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدي ، عن أبي حميد قال : خرجنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم غزوة تبوك ، فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « اخرصوها » فخرصناها ، وخرصها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عشرة أوسق ، وقال : « أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء اللَّه » وانطلقنا ، حتى قدمنا تبوك فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ستهب عليكم الليلة ريح شديدة ، فلا يقم فيها أحد منكم ، فمن كان له بعير فليشد عقاله » فهبت ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئ ، وجار رسول ابن العلماء ، صاحب أيلة ، إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بكتاب ، وأهدى له بغلة بيضاء ، فكتب إليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وأهدى له بردًا ، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى ، فسأل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم المرأة عن حديقتها : « كم بلغ ثمرها ؟ » فقالت : عشرة أوسق ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إني مسرع ، فمن شاء منكم فليسرع معي ، ومن شاء فليمكث » فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : « هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ، ونحبه » ثم قال : « إن خير دور الأنصار دار بني النجار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني عبد الحارث بن الخزرج ، ثم دار بني ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير » فلحقنا سعد بن عبادة فقال أبو أسيد : ألم تر أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه

وعلى آله وسلم خير دور الأنصار فجعلنا آخرًا، فأدرك سعد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول اللَّه! خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخر، فقال: «أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار».

حدثناه أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان (ح)، وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا المغيرة بن سلمة المخزومي قالا: حدثنا وهيب، حدثنا عمرو ابن يحيى، بهذا الإسناد إلى قوله: «وفي كل دور الأنصار خير» ولم يذكر ما بعده من قصة سعد بن عبادة، وزاد في حديث وهيب: فكتب له رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ببحرهم، ولم يذكر في حديث وهيب: فكتب إليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

ومنها: الإخبار بأن فاطمة أول أهله لحاقًا به

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٦٢٧): حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكرياء، عن فراس، عن عامر الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «مرحبًا يا ابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم أسر إليها حديثًا، فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحكت فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، حتى قبض النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فسألتها.

فقالت: أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا

بي ، فبكيت ، فقال : « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة - أو نساء المؤمنين - » فضحكت لذلك .

حدثنا يحيى بن قزعة ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : دعا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها ، فسارها بشيء ، فبكت ، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت ، قالت : فسألتها عن ذلك .

فقالت : سارني النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه ، فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه ، فضحكت .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ١٩٠٥) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٦٢٨) : حدثنا يحيى بن قزعة حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: دعا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فاطمة بنته في شكواه التي قبض فيها ، فسارها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارها فضحكت ، قالت : فسألتها عن ذلك ، فقالت : سارني النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت ا.هـ .

توفيت فاطمة رضي اللَّه عنها بعد موت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، بستة أشهر كما في « صحيح البخاري » .

* * *

ومنها: الإخبار بقتل عمر رضي اللَّه عنه

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ١١٠): حدثنا علي بن عبد اللَّه حدثنا سفيان حدثنا جامع عن أبي وائل عن حذيفة قال: قال عمر رضي اللَّه عنه: من يحفظ حديثًا عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في الفتنة؟ قال حذيفة: أنا سمعته يقول: «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة» قال: ليس أسأل عن ذه، إنما أسأل عن التي تموج كما يموج البحر! قال: وإن دون ذلك بابًا مغلقًا. قال: فيفتح أو يكسر؟ قال: يكسر، قال: ذاك أجدر ألا يغلق إلى يوم القيامة، فقلنا لمسروق: سله أكان عمر يعلم من الباب، فسأله فقال: نعم، كما يعلم أن دون غد الليلة.

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٢١٨).

ومنها: الإخبار بأن عمر وعثمان سيستشهدان

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٧ ص: ٤٢): حدثنا مسدد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة. وقال لي خليفة: حدثنا محمد بن سواء، وكهمس بن المنهال قالا: حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، قال: صعد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله وقال: «اثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان».

وقال رحمه اللَّه (ص: ٥٣): حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن سعيد عن قتادة أن أنسًا رضي اللَّه عنه حدثهم قال: صعد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال: «اسكن أحد» - أظنه ضربه برجله - «فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان».

ومنها : الإخبار بقتل عثمان رضي اللّه عنه مظلومًا

وقال الإمام أحمد رحمه اللّه : - أيضًا - ثنا محمد بن بكر يعني البساني ، أنا وهيب بن خالد ، ثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث قال : قامت خطباء بإيلياء في إمارة معاوية رضي اللّه عنه فتكلموا ، وكان آخر من تكلم مرة بن كعب فقال : لولا حديث سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم يذكر فتنة تقربها ، فمر رجل مقنع فقال : هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى ، فقلت : هذا يا رسول اللّه ، وأقبلت بوجهه إليه فقال : هذا فإذا هو عثمان رضي اللّه عنه .

حديث حسن . وأبو الأشعث هو شراحيل بن آدة ، روى عنه جماعة وهو من رجال مسلم ، لكنه لم يوثقه معتبر فهو مستور الحال يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات **ويكون حسنًا لغيره** . واللّه أعلم .

قال الترمذي رحمه اللّه (ج ١٠ ص : ٢٠٣) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، أخبرنا شاذان الأسود بن عامر عن سنان بن هارون ، عن كليب بن وائل ، عن ابن عمر قال : ذكر رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فتنة فقال : « يقتل هذا فيها مظلومًا » . لعثمان(١) بن عفان رضي اللّه عنه . هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد رحمه اللّه (ج ٤ ص : ٢٣٦) : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا معاوية عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير قال : كنا معسكرين مع معاوية بعد قتل عثمان رضي اللّه عنه ، فقام كعب بن مرة البهزي فقال : لولا شيء سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، ما قمت هذا المقام ،

---

(١) قتل رضي اللّه عنه سنة خمس وثلاثين كما في « **البداية والنهاية** » (ج ٧ ص : ١٧٧) .

فلما سمع بذكر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أجلس الناس فقال : بينما نحن عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، إذ مر عثمان بن عفان عليه مرجلًا قال : فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لتخرجن فتنة من بين قدمي أو من تحت رجلي هذا . هذا يومئذ ومن اتبعه على الهدى » . قال : فقام ابن حوالة الأزدي من عند المنبر فقال : إنك لصاحب هذا ، قال : نعم واللَّه إني لحاضر ذلك المجلس لو علمت أن في الجيش مصدقًا كنت أول من تكلم به .

هذا حديث حسن على شرط مسلم .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ١٠٩) : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا الجريري عن عبد اللَّه بن شقيق ، عن ابن حوالة قال : أتيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو جالس في ظل دومة ، وعنده كاتب له يملي عليه فقال : « ألا أكتبك يا ابن حوالة ؟ » ، قلت : لا أدري ما خار اللَّه لي ورسوله فأعرض عني . وقال إسماعيل مرة في الأولى « نكتبك يا ابن حوالة ؟ » قلت : لا أدري فيم يا رسول اللَّه ، فأعرض عني فأكب على كاتبه يملي عليه ، ثم قال : « أنكتبك يا ابن حوالة ؟ » قلت : لا أدري ما خار اللَّه لي ورسوله فأعرض عني فأكب على كاتبه يملي عليه قال : فنظرت فإذا في الكتاب عمر فقلت : إن عمر لا يكتب إلا في خير ، ثم قال : « أنكتبك يا ابن حوالة ؟ » قلت : نعم . قال : « يا ابن حوالة كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف الأرض كأنها صياصي بقر » قلت : لا أدري ما خار اللَّه لي ورسوله قال : « وكيف تفعل في أخرى تخرج بعدها كأن الأولى فيها انتفاجة أرنب » قلت : لا أدري ما خار اللَّه لي ورسوله . قال : « اتبعوا هذا ورجل مقفى حينئذ » قال : فانطلقت فسعيت وأخذت بمنكبيه فأقبلت بوجهه إلى

رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فقلت : هذا ؟ قال : « نعم » قال : وإذا هو عثمان بن عفان رضي اللَّه تعالى عنه .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٨٦) : ثنا أبو المغيرة قال : ثنا الوليد ابن سليمان قال : حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد اللَّه بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة قالت : أرسل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلى عثمان بن عفان ، فأقبل عليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فلما رأينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أقبلت إحدانا على الأخرى ، فكان من آخر كلام كلمه أن ضرب منكبه وقال : « يا عثمان إن اللَّه عز وجل عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ، يا عثمان إن اللَّه عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني » ثلاثًا . فقلت لها : يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيته واللَّه فما ذكرته .

قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته ، حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إليَّ به فكتبت إليه به كتابًا .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

* * *

ومنها : الإخبار بأن المسلمين بعد غزوة الخندق سيغزون أهل مكة ولا يغزوهم أهل مكة

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص : ٤٠٥) : حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد قال : قال النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يوم الأحزاب : « نغزوهم ولا يغزونا » .

حدثني عبد اللّٰه بن محمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا إسرائيل سمعت أبا إسحاق يقول : سمعت سليمان بن صرد يقول : سمعت النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول حين أجلى الأحزاب عنه : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم »[1] .

ومنها : إخباره صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ميمونة أنها لا تموت بمكة

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّٰه في « البداية والنهاية » (ج ٦ ص : ٢٥٦) :
قال البخاري في « التاريخ » : أنا موسى بن إسماعيل ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا عبد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن الأصم ، ثنا يزيد بن الأصم ، قال : ثقلت ميمونة بمكة وليس عندها من بني أختها أحد فقالت : أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها ، إن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أخبرني أني لا أموت بمكة فحملوها حتى أتوا بها إلى سرف الشجرة التي بنى بها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم تحتها في موضع القبة فماتت رضي اللّٰه عنها .

---

(١) **قال الحافظ في « الفتح »** : وفيه علم من أعلام النبوة فإنه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الأمر كما قال صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم .

● **قال أبو عبد الرحمن :**

وهذا سند صحيح على شرط مسلم .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في « البداية والنهاية » : وكان موتها سنة إحدى وخمسين على الصحيح .

ومنها : الإخبار بأن عائشة ستنبحها كلاب الحوأب فخرجت يوم الجمل ونبحتها

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٩٧) : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة قالت : لما أتت علي الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظنني إلا راجعة ؛ إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال لنا : « أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب » . فقال لها الزبير : ترجعين[١] عسى اللَّه عز وجل أن يصلح بك بين الناس[٢] .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

* * *

---

(١) أي : لا ترجعي .

(٢) **ومما ينبغي أن يعلم :** أن أم المؤمنين رضي اللَّه عنها قصدت الخير والإصلاح بين المسلمين وأخطأت وخطؤها مغمور فيما لها من المكانة الكبيرة عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم. ورحم اللَّه عمار بن ياسر إذ يقول : واللَّه إنها لزوجة رسول اللَّه في الدنيا والآخرة ، ولكن اللَّه ابتلاكم بها أتطيعونه أم تطيعونها ، أو بهذا المعنى . فهذا هو الإنصاف لا ما تلفقه الرافضة من الأقاصيص المكذبة ، ولقد ابتلى اللَّه الأمة الإسلامية بترهات الرافضة وأباطيلها ، التي هي عار على أمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . **ولكن جزى اللَّه علماءنا خيرًا فقد وقفوا لها بالمرصاد .**

ومنها: إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن رجل ممن قاتل معه أنه من أهل النار

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ٨٩): حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أما إنه من أهل النار» فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال فجرح الرجل جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة».

وأخرجه مسلم (ج ١ ص: ١٠٥).

وقال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ١٧٩): حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري (ح) وحدثني محمود بن غيلان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار» فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالًا شديدًا، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله الذي قلت أنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالًا شديدًا وقد مات، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إلى النار» قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحًا شديدًا، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه. فأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك فقال: «الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله» ثم أمر بلالًا فنادى في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

وأخرجه مسلم (ج ١ ص: ١٠٦).

ومنها: الإخبار بإخراج اليهود من خيبر

قال البخاري رحمه الله (ج ٥ ص: ٣٢٧): حدثنا أبو أحمد[1] حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان الكناني، أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما فدع أهل خيبر[2] عبد الله بن عمر، قام عمر خطيبًا فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: نقركم ما أقركم الله وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فَعُدِيَ عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو

(١) أبو أحمد هو: مرار بن حموية وليس له ولشيخه في الصحيح غير هذا الحديث قاله الحافظ.
(٢) الفدع زوال المفصل.

غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم. فلما أجمع عمر على ذلك، أتاه أحد بني الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا، فقال عمر: ظننت أني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة». فقال: كان ذلك هزيلة من أبي القاسم. فقال: كذبت يا عدو الله. فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالًا وإبلًا وعروضًا من أقتاب وحبال وغير ذلك.

رواه حماد بن سلمة عن عبيد الله أحسبه عن نافع عن ابن عمر عن عمر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، **اختصره**.

ومنها: الإخبار بأن بعض أمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيركبون البحر غزاة في سبيل الله

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ١٠): حدثنا عبد الله بن يوسف عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة - أو مثل الملوك على الأسرة شك إسحاق -» قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم

وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول اللَّه؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل اللَّه كما قال في الأول»، قالت: فقلت: يا رسول اللَّه ادع اللَّه أن يجعلني منهم قال: «أنت من الأولين»، فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

أخرجه مسلم (ج٣ ص: ١٥٨١).

قال البخاري رحمه اللَّه (ج٦ ص: ١٠٢): حدثنا إسحاق بن يزيد الدمشقي حدثنا يحيى بن حمزة قال: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان، أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص، وهو بناء له ومعه أم حرام، قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا» قالت أم حرام: قلت: يا رسول اللَّه أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم» ثم قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». فقلت: أنا فيهم يا رسول اللَّه؟ قال: «لا».

إخباره صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بأن زينب أول زوجاته لحاقًا به

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ١٩٠٧): حدثنا محمود بن غيلان أبو أحمد حدثنا الفضل بن موسى السيناني أخبرنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا». قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا. قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.

هذا الحديث أخرجه البخاري (ج٣ ص: ٢٨٦) ولكن عنده أن سودة أسرعهن لحوقًا. وقد قال الحافظ: وهم فيه أبو عوانة، والصحيح زينب.

ومنها: إخباره صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم جابر بن عبد اللَّه أنها ستكون لهم أنماط

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٦٢٩): حدثنا عمرو بن عباس حدثنا ابن مهدي حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي اللَّه عنه، قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «هل لكم من أنماط؟» قلت: وأنى يكون لنا الأنماط؟ قال: «أما وإنها ستكون لكم الأنماط». فأنا أقول لها: - يعني: امرأته - أخري عنا أنماطك، فتقول: ألم يقل النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إنها ستكون لكم الأنماط، فأدعها» ا.هـ.

قال الحافظ في «الفتح»: الأنماط جمع نمط بفتحات، مثل خبر وأخبار، والنمط بساط له خمل رقيق **ا.هـ المراد منه**.

ومنها: الإخبار بأن بعض أهل المدينة سيخرجون منها رغبة في الدنيا

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ٩٠): حدثنا عبد اللَّه بن يوسف، أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد اللَّه بن الزبير عن سفيان بن أبي زهير رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم

ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وأخرجه مسلم (ج ٢ ص: ١٠٠٨ و ١٠٠٩).

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص: ١٠٠٥) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعني: الدراوردي عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف فيها خيرًا منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد».

قال الإمام يعقوب الفسوي عقب هذا الحديث (ج ١ ص: ٣٤٩): **وهذا إسناد جيد ثم ذكر أن عبد العزيز وعبد الرحمن وأباه ثقات.**

ومنها: الإخبار بقدوم أويس القرني إلى المدينة

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ١٩٦٨): حدثني زهير بن حرب، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثني سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أسير بن جابر، أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد قال: «إن رجلًا يأتيكم من اليمن يقال له أويس. لا يدع باليمن غير أم له. قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم».

حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى. قالا : حدثنا عفان بن مسلم . حدثنا حماد (وهو ابن سلمة) عن سعيد الجريري بهذا الإسناد عن عمر بن الخطاب قال : إني سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض . فمروه فليستغفر لكم » .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار (قال إسحاق : أخبرنا وقال الآخران حدثنا) - واللفظ لابن المثنى - حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أسير بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس ابن عامر ؟ حتى أتى على أويس : فقال أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم . قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال لك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم . له والدة هو بها بر ، لو أقسم على اللّٰه لأبره . فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » فاستغفر لي . فاستغفر له .

فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون في غبراء الناس أحب إلي .

فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر . فسأله عن أويس ، قال : تركته رث البيت قليل المتاع قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ، من مراد ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه ، إلا موضع درهم ، له

والدة هو بها بر. لو أقسم على اللَّه لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فأتى أويسًا فقال: استغفر لي قال: أنت أحدث عهدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ. فاستغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له ففطن له الناس. فانطلق على وجهه: قال أسير: وكسوته بردة. فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة؟

قال الحاكم رحمه اللَّه (ج ٣ ص: ٤٠٤) حدثنا علي بن حمشاذ العدل ثنا الحسين بن الفضل البجلي، ومحمد بن غالب الضبي، قالا: ثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة، عن أسير بن جابر قال: لما أقبل أهل اليمن جعل عمر رضي اللَّه عنه يستقري الرفاق، فيقول هل فيكم أحد من قرن، حتى أتى عليه قرن. فقال من أنتم؟ قالوا: قرن، فرفع عمر بزمام أو زمام أويس، فناوله عمر، فعرفه بالنعت. فقال له عمر: ما اسمك؟ قال: أنا أويس. قال: هل كان لك والدة؟ قال: نعم. قال: هل بك من البياض؟ قال: نعم. دعوت اللَّه تعالى، فأذهبه عني إلا موضع الدرهم من سرتي؛ لأذكر به ربي، فقال له عمر: استغفر لي. قال: أنت أحق أن تستغفر لي. أنت صاحب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم. فقال عمر: إني سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس القرني. وله والدة وكان به بياض فدعا ربه فأذهبه عنه إلا موضع الدرهم في سرته». قال: فاستغفر له. قال: ثم دخل في أغمار الناس فلم يدر أين وقع. قال: ثم قدم الكوفة فكنا نجتمع في حلقة فنذكر اللَّه وكان يجلس معنا فكان إذ ذكرهم وقع حديثه من قلوبنا موقعًا لا يقع حديث غيره. ففقدته يومًا فقلت لجليس لنا: ما فعل الرجل الذي كان يقعد إلينا، لعله اشتكى، فقال: رجل من هو؟ فقلت من هو؟ قال: ذاك

أويس القرني . فدللت على منزله فأتيته ، فقلت : يرحمك اللَّه أين كنت ؟ ولم تركتنا ؟ فقال : لم يكن لي رداء . فهو الذي منعني من إتيانكم . قال : فألقيت إليه ردائي . فقذفه إلي . قال : فتخاليته ساعة ثم قال : لو أني أخذت رداءك هذا فلبسته فرآه علي قومي ، قالوا : انظروا إلى هذا المرائي ، لم يزل في الرجل حتى خدعه وأخذ رداءه ، فلم أزل به حتى أخذه . فقلت : انطلق ؛ حتى أسمع ما يقولون فلبسه ، فخرجنا فمر بمجلس قومه فقالوا : انظروا إلى هذا المرائي لم يزل بالرجل حتى خدعه وأخذ رداءه . فأقبلت عليهم فقلت : ألا تستحيون ؛ لم تؤذونه واللَّه لقد عرضته عليه فأبى أن يقبله . قال : فوفدت وفود من قبائل العرب إلى عمر ، فوفد فيهم سيد قومه ، فقال لهم عمر بن الخطاب : أفيكم أحد من قرن ؟ فقال له سيدهم : نعم . أنا . فقال له : هل تعرف رجلًا من أهل قرن يقال له أويس من أمره كذا ومن أمره كذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما تذكر من شأن ذاك ، ومن ذاك ؟ فقال له عمر : ثكلتك أمك أدركه مرتين أو ثلاثًا ثم قال : إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال لنا : إن رجلًا يقال له أويس من قرن من أمره كذا ومن أمره كذا ، فلما قدم الرجل لم يبدأ بأحد قبله فدخل عليه ، فقال استغفر لي ، فقال : ما بدا لك ؟ قال : إن عمر قال لي كذا وكذا . قال : ما أنا بمستغفر لك حتى تجعل لي ثلاثًا . قال : وما هن ؟ قال : لا تؤذيني فيما بقي ، ولا تخبر بما قال لك عمر أحدًا . من الناس ، ونسي الثالثة .

لم يحكم الحاكم رحمه اللَّه عليه بشيء ، فأشار الحافظ الذهبي في « التلخيص » إلى أنه على شرط مسلم . وهو كما يقول رحمه اللَّه ، فإن مسلمًا قد أخرج صدره .

ومنها : الإخبار بفتنة عظيمة تكون بالمدينة [1]

قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله (ج ١١ ص : ٣٥١) : عن معمر عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت، وهو ابن أخي أبي ذر، عن أبي ذر قال : كنت رديفًا خلف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يومًا على حمار، فلما جاوزنا بيوت المدينة قال : « كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة جوع، تقوم على فراشك لا تبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع ؟ » . قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « تعفف يا أبا ذر » قال : « كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد ؟ » يعني : أنه يباع القبر بالعبد قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « تصبر » قال : « كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء حجارة الزيت ؟ » . قال : قلت الله ورسوله أعلم . قال : « تأتي من أنت منه » . قال : قلت وألبس السلاح قال : « شاركت القوم إذًا » . قلت : وكيف أصنع يا رسول الله، قال : « إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء بإثمك وإثمه » .

قال ابن حبان رحمه الله كما في « الموارد » (ص : ٤٦٠) : أخبرنا عبد الله ابن محمد الأزدي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا مرحوم بن عبد العزيز، حدثنا أبو عمران الجوني، حدثنا عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حمارًا أردفني خلفه، ثم قال : « يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « تعفف » . قال : « يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس موت شديد حتى يكون البيت بالعبد كيف

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله (ج ٦ ص : ٢٣٨) أنها وقعة الحرة .

تصنع؟». قال: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «اصبر يا أبا ذر. أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة الزيت في الدماء كيف تصنع؟» قال: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك» قال: أريت إن لم أترك. قال: «ائت من أنت منه فكن فيهم» قال: فآخذ سلاحي. قال: «إذًا تشاركهم ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه».

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد اللَّه أنبأنا حماد ابن سلمة عن أبي عمران الجوني فذكر نحوه.

هذا حديث صحيح.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج٦ ص: ٦١١): حدثنا أبو نعيم، حدثنا ابن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة رضي اللَّه عنه قال: أشرف النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على أطم من الآطام فقال: «هل ترون ما أرى؟ إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر».

أخرجه مسلم (ج٤ ص: ٢٢١١) ا.هـ.

قد وقعت فتن بالمدينة: منها قتل عمر رضي اللَّه عنه، **ثم** قتل عثمان رضي اللَّه عنه، **ثم** وقعة الحرة، **وفتنة بين العلويين والعباسيين** بزعامة محمد بن عبد اللَّه بن الحسن الملقب بالنفس الزكية رحمه اللَّه، **ومنها** فتنة سكنى النخاولة المدينة، وهم من الإسماعيلية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى، **وفي هذا الزمن فتنة التبرج، والسفور، وآلات اللهو والطرب، والتصوير. ومنها فتنة التظاهر الإيراني الجاهلي في تلك البقاع الطاهرة فنعوذ باللَّه من الفتن.**

ومنها : الإخبار عن القتال بين الحسن ومعاوية رضي اللَّه عنهما ثم الصلح

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٥ ص: ٣٠٦) : حدثنا عبد اللَّه بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن موسى قال : سمعت الحسن يقول : استقبل واللَّه الحسن ابن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص : إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية - وكان واللَّه خير الرجلين - أي : عمرو ، إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس ، من لي بنسائهم من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة وعبد اللَّه بن عامر بن كريز - فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه . فأتياه ، فدخلا عليه ، فتكلما وقالا له وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها . قالا : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك . قال : فمن لي بهذا ؟ قال : نحن لك به فما سألهما شيئًا إلا قالا : نحن لك به . فصالحه . فقال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه - وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى . ويقول : إن ابني هذا سيد ، ولعل اللَّه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين قال أبو عبد اللَّه : قال لي علي بن عبد اللَّه : إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث ا.هـ .

كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية سنة إحدى وأربعين كما في « **البداية والنهاية** » (ج ٨ ص: ١٨) .

ومنها: الإخبار بأن الصحابة سيقاتلون الترك

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ٦٠٤): حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان. قال: قال إسماعيل: أخبرني قيس قال: أتينا أبا هريرة رضي الله عنه فقال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاث سنين لم أكن في سني أحرص على أن أعي الحديث مني فيهن، سمعته يقول وقال هكذا بيده «بين يدي الساعة تقاتلون قومًا نعالهم الشعر وهذا هو البارز» وقال سفيان: «وهم أهل البازر»[1].

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٢٣٤).

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ١٠٤): حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان. قال الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا كأن وجوههم المجان المطرقة».

قال سفيان: وزاد فيه أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رواية: «صغار الأعين، ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٢٣٣).

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ١٠٤): حدثني سعيد بن محمد، حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن صالح، عن الأعرج قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر».

---

(١) وكان أول غزو المسلمين الترك سنة ثنتين وعشرين كما في «**البداية والنهاية**» (ج ٧ ص: ١٢٦).

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٢٣٣).

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ١٠٣): حدثنا أبو النعمان، حدثنا جرير ابن حازم قال: سمعت الحسن يقول: حدثنا عمرو بن تغلب قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نعال الشعر، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة».

قال الإمام ابن ماجه رحمه الله (ج ٢ ص: ١٣٧٢): حدثنا الحسن بن عرفة، ثنا عمار بن محمد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغار الأعين، عراض الوجه كأن أعينهم حدق الجراد، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، ويتخذون الدرق، يربطون خيلهم بالنخل».

قال المعلق في «الزوائد»: إسناده حسن وعمار بن محمد مختلف فيه، والحديث رواه ابن حبان في «صحيحه» من طريق الأعمش ا.هـ.

ومنها: الإخبار بأن الأمة المسلمة ستقاتل خوز أو كرمان

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ٦٠٤): حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر». تابعه غيره عن عبد الرزاق ا.هـ.

قال الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية» (ج ٦ ص: ٢٢٩): وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه قال: **أخطأ عبد الرزاق في قوله**: خوزًا بالخاء وإنما هو بالجيم جوزًا وكرمان، هما بلدان معروفان بالشرق فالله أعلم ا.هـ. وذكر الحافظ في «**الفتح**» (ج ٦ ص: ٦٠٧) نحو ذلك.

قال الحافظ: وتقدم في الرواية التي قبلها «تقاتلون الترك»، واستشكل لأن خوزًا وكرمان ليسا من بلاد الترك، فأما خوز فمن بلاد الأهواز، وهي من عراق العجم، وقيل: الخوز صنف من الأعاجم، وأما كرمان فبلدة مشهورة من بلاد العجم أيضًا بين خراسان وبحر الهند، **إلى أن قال الحافظ**: ويمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك، ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين ا.هـ **المراد من** «**الفتح**».

إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن أمته سيضرب بعضها رقاب بعض

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص: ٤٧٧): ثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن كرز بن علقمة الخزاعي قال: قال رجل: يا رسول الله هل للإسلام من منتهى؟ قال: «أيما أهل بيت» وقال في موضع آخر قال: «نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام» قال ثم مه؟ قال: «ثم تقع الفتن كأنها الظلل». قال: كلا والله إن شاء الله قال: بلى والذي نفسي بيده ثم تعودون فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض. وقرأ على سفيان قال الزهري أساود صباء. قال سفيان الحية السوداء تنصب أي: ترتفع.

ثنا عبد الرزاق قال، أنا معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن كرز ابن علقمة الخزاعي قال: قال أعرابي: يا رسول الله هل للإسلام من منتهى؟ قال: قال: «نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله عز وجل بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام» قال: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «ثم تقع فتن كأنها الظلل». فقال الأعرابي: كلا يا رسول الله قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «بلى والذي نفسي بيده لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض».

حديث صحيح وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاها.

قال الدارمي رحمه الله (ج ١ ص: ٢٩): حدثنا محمد بن المبارك، ثنا معاوية بن يحيى، ثنا أرطأة بن المنذر، عن ضمرة بن حبيب قال: سمعت مسلمة السكوني وقال غير محمد سلمة السكوني[1] قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ قال قائل: يا رسول الله هل أتيت بطعام من السماء؟. قال: «نعم أتيت بطعام». قال: يا نبي الله هل كان فيه من فضل؟ قال: «نعم». قال: فما فعل به؟ قال: «رفع إلى السماء وقد أوحي إلي أني غير لابث فيكم إلا قليلًا، ثم تلبثون حتى تقولوا متى متى، ثم تأتون أفنادًا يفني بعضكم بعضًا بين يدي الساعة موتان شديد وبعده سنوات الزلازل».

حديث حسن.

* * *

(١) هو سلمة بن نفيل السكوني كما في «**الإصابة**» و«**مسند أحمد**» (ج ٤ ص: ١٠٤) و«**تاريخ البخاري**» (ج ٤ ص: ٧٠).

ومنها : الإخبار عن فتن عامة

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ٦١٢): حدثنا عبد العزيز الأويسي، حدثنا إبراهيم، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به».

وعن ابن شهاب، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود، عن نوفل بن معاوية مثل حديث أبي هريرة هذا، إلا أن أبا بكر يزيد «من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله».

أخرجهما مسلم (ج ٤ ص: ٢٢١٢) من حديث أبي هريرة.

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص: ١٤٧٢): حدثنا زهير بن حرب وإسحاق ابن إبراهيم قال إسحاق: أخبرنا، وقال زهير: حدثنا جرير عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد اللَّه بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في سفر فنزلنا منزلًا فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في

أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها وتجيء فتنة ويرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتن فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتْ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» فدنوت منه فقلت له: أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي. فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل. ونقتل أنفسنا، والله يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾. قال فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله.

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير وأبو سعيد الأشج قالوا: حدثنا وكيع (ح) حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، كلاهما عن الأعمش بهذا الإسناد نحوه.

وحدثني محمد بن رافع، حدثنا أبو المنذر إسماعيل بن عمر، حدثنا يونس ابن أبي إسحاق الهمداني، حدثنا عبد الله بن أبي السفر، عن عامر، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة الصائدي قال: رأيت جماعة عند الكعبة، فذكر نحو حديث الأعمش.

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص: ١٠٦): ثنا أبو المغيرة قال: سمعت الأوزاعي قال: حدثني ربيعة بن يزيد قال: سمعت واثلة بن الأسقع يقول:

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « أتزعمون أني من آخركم وفاة ألا إني من أولكم وفاة وتتبعوني أفنادًا يهلك بعضكم بعضًا » .

الحديث رجاله رجال الصحيح .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١١ ص: ٣٣٣): حدثنا مسدد، أخبرنا عبد الوارث بن سعيد، عن محمد بن جحادة، عن عبد الرحمن بن ثروان، عن هزيل، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل يعني على أحد منكم فليكن كخيري بني آدم » .

هذا حديث حسن .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١١ ص: ٣٣٨): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، أخبرنا وكيع، عن عثمان الشحام قال: حدثني مسلم بن أبي بكرة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيرًا من الجالس، والجالس خيرًا من القائم، والقائم خيرًا من الماشي، والماشي خيرًا من الساعي » قال: يا رسول الله ما تأمرني ؟ قال: « من كانت له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » . قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ . قال: « فليعمد إلى سيفه فليضرب بحده على حره، ثم لينج ما استطاع النجاء » .

مسلم بن أبي بكرة روى عنه جماعة، ووثقه ابن حبان والعجلي وهما متساهلان في التوثيق، فهو مستور الحال يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات .

قال البخاري رحمه الله (ج ١ ص : ٦٩) : حدثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٢٦) : ثنا عبد الصمد ، ثنا زياد بن مسلم أبو عمر ، ثنا أبو الأشعث الصنعاني قال : بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير فلما قدمت المدينة دخلت على فلان سمي زياد واسمه فقال : إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى ؟ فقال : أوصاني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن أدركت شيئًا من هذه الفتن فاعمد إلى أحد فاكسر به حد سيفك ثم اقعد في بيتك » قال : « فإن دخل عليك أحد إلى البيت فقم إلى المخدع فإن دخل عليك أحد المخدع فاجث على ركبتيك وقل : بؤ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » . فقد كسرت حد سيفي وقعدت في بيتي .

حديث حسن ، وأبو الأشعث الصنعاني هو شراحيل بن آدة .

ومنها : الإخبار بأنه سيكون بعده صلى الله عليه وعلى آله وسلم شرور وفساد

قال النسائي رحمه الله (ج ٧ ص : ٨٤) : أخبرني أحمد بن يحيى الصوفي قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا يزيد بن مردانبة ، عن زياد بن علاقة ، عن عرفجة ابن شريح الأشجعي قال : رأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب الناس فقال : « إنه سيكون بعدي هنات[١] وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة

(١) أي : شرور وفساد .

أو يريد يفرق أمر أمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كائنًا من كان فاقتلوه، فإن يد اللَّه على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض».

الحديث رجاله ثقات، وقد رواه النسائي بسند رجاله رجال الشيخين فقال: أخبرنا عمرو بن علي قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا زياد ابن علاقة، عن عرفجة قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «ستكون بعدي هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر أمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهم جميع فاضربوه بالسيف».

وقد أخرجه مسلم (ج ٣ ص: ١٤٧٩) من حديث شعبة عن زياد به ومن حديث أبي عوانة وشيبان بن عبد الرحمن وإسرائيل وعبد اللَّه بن المختار كلهم، عن زياد بن علاقة به.

ومنها: إخباره صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أن سيكون بعده اثنا عشر خليفة

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٢ ص: ٢١١): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «يكون اثنا عشر أميرًا» فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قريش»[1].

أخرجه مسلم (ج ٣ ص: ١٤٥٢).

---

(١) وقد تعسفت الرافضة في التحجر على هؤلاء الأئمة، وجعلوا آخرهم خرافتهم صاحب السرداب الذي لا وجود له ولقد أحسن بعض أهل السنة إذ يقول ساخرًا منهم ومن خرافتهم:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلفتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

نؤمن بأن اللَّه سيخرج المهدي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا كما جاء في كتب السنة ولكن ليس هو خرافة الرافضة.

ومنها : الإخبار بانتهاء خلافة النبوة

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص : ٣٩٧) : حدثنا سوار بن عبد الله قال : أخبرنا عبد الوارث بن سعيد، عن سعيد بن جهمان، عن سفينة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي اللَّه الملك أو ملكه من يشاء».

قال سعيد قال لي سفينة : أمسك عليك أبا بكر سنتين وعمر عشرًا وعثمان اثنتي عشرة وعلي كذا. قال سعيد : قلت لسفينة إن هؤلاء يزعمون أن عليًّا لم يكن بخليفة، قال : كذبت أستاه بني الزرقاء يعني بني مروان. (ح) وأخبرنا عمرو بن عون، أخبرنا هشيم عن العوام بن حوشب المعنى جميعًا عن سعيد بن جهمان، عن سفينة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي اللَّه الملك من يشاء أو ملكه من يشاء».

هذا حديث حسن، وسعيد بن جهمان فيه كلام لا ينزل حديثه عن الحسن.

ومنها : الإخبار عن ظلم قريش لأمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٢٣٦) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا شعبة عن أبي التياح قال : سمعت أبا زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : «يهلك أمتي هذا الحي[1] من

---

(١) إذا قرأت في تاريخ المسلمين وجدت أكثر الفتن صارت عن الخلفاء القرشيين من عهد بني أمية، ثم عهد بني العباس. وفي عصرنا هذا قام إمام الضلالة الخميني أراح اللَّه المسلمين من شره، ولست أعني أن الخلفاء القرشيين كلهم الذين يثيرون الفتن بين المسلمين.

قريش». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «لو أن الناس اعتزلوهم»، وحدثنا أحمد ابن إبراهيم الدورقي، وأحمد بن عثمان النوفلي قالا: حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة بهذا الإسناد في معناه.

وقال الإمام البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ٦١٢): حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أبو أسامة، حدثنا شعبة عن أبي التياح، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «يهلك الناس هذا الحي من قريش» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «لو أن الناس اعتزلوهم». قال محمود: حدثنا أبو داود أخبرنا شعبة عن أبي التياح سمعت أبا زرعة.

قال البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص: ٩): حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: كنت جالسًا مع أبي هريرة في مسجد النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم بالمدينة معنا مروان قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: «هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش». فقال مروان: لعنة اللّٰه عليهم غلمة. فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان بني فلان لفعلت فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلمانًا أحداثًا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم. قلنا: أنت أعلم.

ومنها: الإخبار بالردة

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ٤٧٨): حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم:

« تحشرون حفاة عراة غرلا » . ثم قرأ : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ فأول من يكسى إبراهيم . ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال . فأقول أصحابي فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم : ﴿ وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

قال محمد بن يوسف الفربري : ذكر عند أبي عبد اللّٰه عن قبيصة قال : هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر ، فقاتلهم أبو بكر رضي اللّٰه عنه .

قال الإمام البخاري رحمه اللّٰه (ج ١٣ ص : ٣) : حدثنا علي بن عبد اللّٰه ، حدثنا بشر بن السري ، حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة قال : قالت أسماء عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، قال : « أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ فيؤخذ بناس من دوني ، فأقول أمتي فيقال : لا تدري مشوا على القهقرى » . **قال ابن أبي مليكة** : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن أبي وائل قال : قال عبد اللّٰه : قال النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي رب أصحابي فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول : « أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا ، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم » .

قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش ، وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذا سمعت سهلًا ؟ قلت : نعم . قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال : « إنهم مني » فيقال : إنك لا تدري ما بدلوا بعدك فأقول : « سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي » .

قال مسلم رحمه الله (ج ١ ص : ٢١٨) : حدثنا يحيى بن أيوب ، وسريج بن يونس ، وقتيبة بن سعيد ، وعلي بن حجر جميعًا عن إسماعيل بن جعفر ، قال ابن أيوب : حدثنا إسماعيل ، أخبرني العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا » ، قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول اللَّه قال : « أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول اللَّه فقال : « أرأيت لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا تعرف خيله » ، قالوا : بلى يا رسول اللَّه قال : « فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا » .

وقد وقعت الردة بعد موت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، ارتد أهل اليمامة وكثير من اليمنيين وكثير من بقية قبائل العرب فتصدى لقتالهم أبو بكر ونصره اللَّه عليهم ورجعوا إلى الإسلام .

قال الإمام أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتابه « السنة » (ج ١ ص : ٩٣) : ثنا محمد بن عوف ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان بن عمرو (وعن راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد السكوني[1] ، عن معاذ بن

(١) في الأصل الكوفي والصواب ما أثبتناه كما في « تهذيب التهذيب » و « التقريب » وهو حمصي .

جبل ؛ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لما بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه ثم التفت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلى المدينة فقال : « إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك إن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا اللهم إني لا أحل لهم فساد ما أصلحت وايم اللَّه لتكفأن أمتي عن دينها كما تكفأن[1] الإناء في البطحاء » .

هذا حديث صحيح ، وفيه ثلاثة من التابعين صفوان بن عمر ، وراشد بن سعد ، وعاصم بن حميد وكلهم حمصيون .

ومنها : الإخبار بسوء عاقبة الأسود العنسي ومسيلمة

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ١٢ ص : ٤٢٣) : حدثني إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « نحن الآخرون السابقون » ، وقال صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « بينا أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا عليَّ ، وأهماني فأوحى إليّ أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة » ا.هـ .

وقد وقع ما أخبر به النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فخرجا في آخر حياته مدعين النبوة وقتل الأسود العنسي ، وقتل الأسود في آخر حياة النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كما في « الفتح » (ج ١٢ ص : ٤٢٤) . وأما مسيلمة فقتل في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه والحمد للَّه .

(١) كفأت الإناء قلبته كما في « **الصحاح** » **والمعنى** : أن الأمة ستنصرف عن دينها وترجع عنه .

ومن عجب أن يأتي بعض من جمع بين الجهل والإلحاد من اليمنيين فينكر ردة الأسود العنسي فخالف الحديث الصحيح وكتب السير وكتب التواريخ وإجماع المسلمين وصدق الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذ يقول: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

ونحن نتوقع من الملاحدة ما هو أعظم من هذا فليس بعد الكفر ذنب واللَّه المستعان.

ومنها: الإخبار بالخصومة بين الصحابة والإخبار بالنعيم

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ١ ص: ١٦٤) ثنا سفيان، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن ابن الزبير، عن الزبير رضي اللَّه عنه، قال: لما نزلت ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير: أي رسول اللَّه مع خصومتنا في الدنيا، قال: «نعم»، ولما نزلت ثم ﴿لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾. قال الزبير: أي رسول اللَّه أي نعيم نسأل عنه وإنما يعني هم الأسودان التمر والماء. «أما إن ذلك سيكون».

هذا حديث حسن ومحمد بن عمرو وهو ابن علقمة.

ومنها: الإخبار بقتل عمار - رضي اللَّه عنه

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١ ص: ٥٤١): حدثنا مسدد، قال: حدثنا عبدالعزيز بن مختار، قال: حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى اللَّه

عليه وعلى آله وسلم فينفض التراب عنه ويقول : «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» . قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٢٣٥) ، وبين فيه أن أبا سعيد لم يسمع من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تقتل عمارًا إلخ ، وإنما سمعه من أبي قتادة . وليس عند مسلم يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار .

قال الحافظ في « الفتح » : **(فائدة)** روى حديث تقتل عمارًا الفئة الباغية جماعة من الصحابة منهم قتادة بن النعمان كما تقدم وأم سلمة عند مسلم ، وأبو هريرة عند الترمذي ، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي ، وعثمان بن عفان وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع ، وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو اليسر وعمار نفسه وكلها عند الطبراني وغيره وغالب طرقها صحيحة أو حسنة ، وفيها عن جماعة آخرين يطول عددهم وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار ورد على النواصب الزاعمين أن عليًا لم يكن مصيبًا في حروبه .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٢٣٦) : وحدثني محمد بن عمرو بن جبلة ، حدثنا محمد بن جعفر .

(ح) وحدثنا عقبة بن مكرم العمي ، وأبو بكر بن نافع ، قال عقبة : حدثنا ، وقال أبو بكر : أخبرنا غندر ، حدثنا شعبة ، قال : سمعت خالدًا يحدث عن سعيد بن أبي الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

وحدثني إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا شعبة ، حدثنا خالد الحذاء ، عن سعيد بن أبي الحسن والحسن ، عن أمهما ، عن أم سلمة ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمثله .

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عون، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة قالت: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «تقتل عمارًا الفئة الباغية».

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٤ ص: ١٩٩): ثنا عبد الرزاق، قال: ثنا معمر، عن طاوس، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال: لما قتل عمار بن ياسر، دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص، فقال: قتل عمار، وقد قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع[1] حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار، قال معاوية: قد قتل عمار فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «تقتله الفئة الباغية». فقال له معاوية: دحضت في بولك أو نحن قتلناه إنما قتله علي[2] وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا أو قال بين سيوفنا.

حديث صحيح رجاله ثقات.

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٢ ص: ٢٠٦): ثنا أسود بن عامر، ثنا يزيد ابن هارون، أنا العوام، حدثني أسود بن مسعود، عن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته فقال عبد اللَّه: ليطب به أحدكم نفسًا

---

(١) **أي يقول**: إنا للَّه وإنا إليه راجعون.

(٢) هذا غير مقبول من معاوية رضي اللَّه عنه، ولكن ليس معناه أن معاوية رضي اللَّه عنه قد كفر كما تدعي الرافضة، ولكنه رضي اللَّه عنه كان مجتهدًا فأخطأ، وبغيه لا يخرجه عن الإيمان. قال سبحانه وتعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر اللَّه﴾. فسماهم اللَّه مؤمنين.

لصاحبه فإني سمعت – يعني : رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم – كذا قال أبي : يعني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « تقتله الفئة الباغية » . فقال معاوية : ألا تغني عنا بجنونك يا عمرو ، فما بالك معنا قال : إن أبي شكاني إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « أطع أباك ما دام حيًّا ولا تعصه » فأنا معكم ولست أقاتل .

أسود بن مسعود ، وحنظلة بن خويلد وثقهما ابن معين كما في « التاريخ » من رواية عثمان بن سعيد الدارمي .

قال الحاكم رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٣٨٩) : أخبرنا أبو الوليد الفقيه ، وأبو بكر ابن قريش قالا : ثنا الحسن بن سفيان ، ثنا حرملة بن يحيى ، ثنا عبد اللَّه بن وهب ، أخبرني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده سمعت عمار بن ياسر بصفين في اليوم الذي قتل فيه وهو ينادي : أزلفت الجنة وزوجت الحور العين اليوم نلقي حبيبنا محمدًا صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عهد إلي أن آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن[1] .

صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . كذا قال الحاكم رحمه اللَّه .

وحرملة بن يحيى من رجال مسلم ولم يخرج له البخاري فهو على شرط مسلم .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ١٩٨) : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ابن سلمة قال : أنا أبو حفص وكلثوم بن جبر ، عن أبي غادية قال : قتل عمار ابن ياسر فأخبر عمرو بن العاص قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه

---

(١) **الضياح والضيح بالفتح** : اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط ا.هـ. من « **النهاية** » .

وعلى آله وسلم يقول : « إن قاتله وسالبه في النار » ، فقيل لعمرو فإنك هو ذا تقاتله قال : إنما قال قاتله وسالبه .

حديث حسن .

وأبو حفص الظاهر : أنه عبد الله بن حفص والله أعلم .

● **فـائـــدة :**

أبو غادية صحابي ، وهو قاتل عمار بن ياسر ، وقد روى الحديث هذا ثم صار بعد يستأذن على معاوية ويقول : « قاتل عمار » ، والرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « قاتل عمار في النار » . نسأل الله السلامة .

ومنها : الإخبار بأن عبد الله بن بسر سيعيش قرنًا

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص : ١٨٩) : ثنا عصام بن خالد ، قال : ثنا أبو عبد الله الحسن بن أيوب الحضرمي ، قال : أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت أصبعي عليها فقال : وضع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصبعه عليها ثم قال : لتبلغن قرنًا .

قال أبو عبد الله : وكان ذا جمة .

حديث حسن . وقد تابع عصام بن خالد يحيى بن صالح الوحاظي كما في « **تاريخ ابن جرير** » (ج ٢ ص : ١٧١) .

وقد عاش عبد الله مائة سنة فاستفيد منه أن القرن مائة سنة .

* * *

ومنها : الإخبار أنه لا يبقى أحد ممن هو على ظهر الأرض وقت كلام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال البخاري رحمه الله (ج ١ ص : ٢١١) : حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثني الليث ، قال : حدثني عبد الرحمن بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سالم وأبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن عبد الله بن عمر ، قال : صلى بنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال : « أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد » .

وأخرجه البخاري (ج ٢ ص : ٧٤) : ولفظه « أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » .

وقد أخذ العلماء من هذا الحديث أن من ادعى الصحبة بعد مائة سنة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن دعواه لا تقبل .

والحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ١٩٦٥) .

ومنها : الإخبار بالمختار بن[1] أبي عبيد الثقفي والحجاج بن يوسف

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ١٩٧١) : حدثنا عقبة بن مكرم العمي ، قال : حدثنا يعقوب يعني : ابن إسحاق الحضرمي ، أخبرنا الأسود بن شيبان ،

(١) أما المختار بن أبي عبيد الثقفي فتظاهر بالتشيع لأهل البيت وفي آخر أمره ادعى النبوة فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

وأما الحجاج بن يوسف فظالم قتل من خيار أمة محمد نحو مائة ألف نفس . راجع « تهذيب التهذيب » .

عن أبي نوفل، رأيت عبد اللَّه بن الزبير على عقبة المدينة قال: فجعلت قريش تمر عليه، والناس حتى مر عليه عبد اللَّه بن عمر، فوقف عليه فقال السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما واللَّه لقد كنت أنهاك عن هذا، أما واللَّه لقد كنت أنهاك عن هذا، أما واللَّه إن كنت ما علمت صوامًا قوامًا وصولًا للرحم.

أما واللَّه لأمة أنت شرها لأمة خير، ثم نفذ عبد اللَّه بن عمر فبلغ الحجاج موقف عبد اللَّه وقوله، فأرسل إليه فأنزل عن جذعه، فألقي في قبور اليهود ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول لتأتين أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك قال: فأبت وقالت واللَّه لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني، قال: فقال: أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو اللَّه؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له يا ابن ذات النطاقين، أنا واللَّه ذات النطاقين.

أما أحدهما: فكنت أرفع به طعام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم؛ وطعام أبي بكر من الدواب.

وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها.

ومنها: الإخبار بفتح بيت المقدس

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٢٧٧): حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد ابن مسلم، حدثنا عبد اللَّه بن العلاء بن زبر، قال: سمعت بسر بن

عبيد اللَّه ، أنه سمع أبا إدريس ، قال : سمعت عوف بن مالك ، قال : أتيت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم ، فقال « اعدد ستًّا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا » .

ومنها : الإخبار بفتح فارس

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص : ٦٤١) : حدثنا عبد العزيز بن عبد اللَّه ، قال : حدثني سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، قال : كنا جلوسًا عند النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قال : قلت : من هم يا رسول اللَّه ؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا وفينا سلمان ، وضع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يده على سلمان ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء » .

حدثنا عبد اللَّه بن عبد الوهاب ، حدثنا عبد العزيز ، أخبرني ثور ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لناله رجل من هؤلاء »[1] .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ١٩٧٢) .

---

(١) فارس خرج منهم العلماء الأفاضل الحفاظ ، ولا يزال فيهم إلى الآن من حملة الشريعة أما الرافضة فإنهم وإن انتسبوا إلى فارس فهم أعداء السنة وأعداء المسلمين .
راجع « وجاء دور المجوس » .

قال الحاكم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٣٩٥) : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عثمان بن يحيى البزار ببغداد[1] ، ثنا العباس بن محمد الدوري ، ثنا هاشم بن القاسم ، ثنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن دينار[2] ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر رضي اللَّه عنه ، قال : قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « رأيت غنمًا كثيرة سوداء دخلت فيها غنم كثيرة بيض » ، قالوا : فما أولته يا رسول اللَّه ؟ قال : « العجم يشركونكم في دينكم وأنسابكم » ، قالوا : العجم يا رسول اللَّه ؟! قال : « لو كان الإيمان معلقًا بالثريا لناله رجال من العجم وأسعدهم به الناس » .

هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

قال الحاكم رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٤٥٨) : أخبرنا جعفر بن محمد الخلدي ، حدثنا محمد بن علي بن زيد الصائغ ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا عبد العزيز ابن محمد ، ثنا العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، قال : لما نزلت ﴿ وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ﴾ قالوا : يا رسول اللَّه من هؤلاء الذين إذا تولينا استبدلوا بنا ؟ وسلمان إلى جنبه فقال : « هم الفرس هذا وقومه » .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

قال أبو عبد الرحمن : هو كما قال وشيخ الحاكم قال الخطيب : كان ثقة صادقًا دينًا فاضلًا وشيخ شيخه ، وهو محمد بن علي الصائغ ، وصفه الحافظ الذهبي في « العبر » وفي « **تذكرة الحفاظ** » بأنه محدث مكة ، وقد جاء الحديث من طريق أخرى كما في « **تفسير الحافظ ابن كثير** » (ج ٤ ص : ١٨٢)

---

(١) ترجمته في « **تاريخ بغداد** » ، وفيه البزار ونقل الخطيب عن البرقاني أنه قال : ثقة .

(٢) في « **الأصل** » : عبد الرحمن بن عبد اللَّه والصواب ما أثبتناه .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير فقالا : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني مسلم بن خالد ، عن العلاء به ثم قال : تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ، ورواه عنه غير واحد ، وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم ا.هـ .

قال أبو عبد الرحمن : قوله تفرد به مسلم بن خالد متعقب فقد تابعه عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردي كما ترى .

ومسلم بن خالد تكلموا فيه من قبل حفظه وهو صالح في الشواهد والمتابعات فصح الحديث والحمد لله .

ومنها : الإخبار بفتح فارس والروم

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص : ٢٢٢٥) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة ، عن نافع بن عتبة ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في غزوة . قال : فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قوم من قبل المغرب ، عليهم ثياب الصوف ، فوافقوه عند أكمةٍ فإنهم لَقِيامٌ ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قاعد . قال : فقالت لي نفسي : ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه . قال : ثم قلت : لعله نجي معهم . فأتيتهم فقمت بينهم وبينه قال : فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي . قال : « تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله . ثم فارس ، فيفتحها الله . ثم تغزون الروم ، فيفتحها الله . ثم تغزون الدجال فيفتحه الله » .

قال : فقال نافع : يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم .

● فائـــدة:

هذا الحديث معروف لدى المحدثين من حديث نافع بن عتبة، وقد وهم بعضهم فرواه عن عبد الملك بن عمير، عن جابر، عن هاشم بن عتبة، وقد عد ابن عساكر من رواه عن عبد الملك بن عمير، عن جابر، عن نافع بن عتبة سبعة أنفس كما في «**الإصابة**».

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٢٧٤): حدثنا عمرو بن سواد العامري، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سودة حدثه، أن يزيد بن رباح هو: أبو فراس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، حدثه عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «إذا فتحت عليكم فارس، والروم أي قوم أنتم؟» قال عبد الرحمن ابن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أو غير ذلك، تتنافسون ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون - أو نحو ذلك -، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض».

قال الإمام أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ج ٢ ص: ١٩٦): حدثنا عبد الله ابن محمد بن جعفر، قال: ثنا موسى بن هارون، قال: ثنا كثير بن عبيد الحذاء[١] قال: ثنا بقية، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن عوف بن مالك، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «الفقر تخافون، أو تهمكم الدنيا فإن الله فاتح لكم أرض فارس والروم وتصب عليكم الدنيا صبًّا حتى لا يزيغكم بعدي إن زغتم إلا هي».

هذا حديث حسن، وبقية قد صرح بالتحديث.

---

(١) قال أبو حاتم: ثقة، كما في «تهذيب التهذيب».

ومنها : الإخبار بفتح مصر

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ١٩٧٠) : حدثني أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني حرملة .

(ح) وحدثني هارون بن سعيد الأيلي ، حدثنا ابن وهب ، حدثني حرملة ، وهو ابن عمران التجيبي ، عن عبد الرحمن بن شماسة المهري ، قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا ، فإن لهم ذمة ورحمًا ، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها » . قال فمر بربيعة ، وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها .

حدثني زهير بن حرب ، وعبيد اللَّه بن سعيد ، قالا : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي سمعت حرملة المصري ، يحدث عن عبد الرحمن بن شماسة ، عن أبي بصرة ، عن أبي ذر قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحمًا ، - أو قال : ذمة وصهرًا - فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فاخرج منها » . قال : فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها .

قال الإمام الطحاوي رحمه اللَّه في « مشكل الآثار » (ج ٣ ص : ١٢٤) وجدنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي ، قد حدثنا قال : حدثنا محمد ابن الصباح ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن

عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «إن فتحتم مصرًا فاستوصوا بالقبط فإن لهم ذمة ورحمًا».

ثم قال الطحاوي رحمه اللَّه: ووجدنا إسحاق أيضًا قد حدثنا قال -حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد، قال: حدثني الوليد بن مسلم ثم ذكر بإسناده مثله. ووجدنا إسحاق قد أخبرنا، قال: حدثنا محمد بن مسلم بن وارة، قال: حدثني محمد بن موسى بن أعين، قال: ثنا أبي، عن إسحاق بن راشد، عن عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم نحوه وزاد فيه أن أم إسماعيل منهم.

الحديث أخرجه الحاكم (ج ٢ ص: ٥٥٣): فقال أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أنبأ الحسن بن علي بن زياد، ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام بن يوسف، عن معمر، عن الزهري، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا».

قال الزهري: فالرحم أن أم إسماعيل منهم.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ومنها: الإخبار بفتح الحيرة

قال الإمام ابن حبان رحمه اللَّه كما في «الموارد» (ص: ٤١٩) حدثنا ابن أسلم، حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «مثلت لي الحيرة كأنياب

الكلاب، وإنكم ستفتحونها»، فقام رجل فقال هب لي يا رسول اللَّه ابنة بقيلة. فقال: «هي لك فأعطوها إياه»، فجاء أبوها فقال أتبيعنيها؟. فقال: نعم. قال: بكم. قال: احتكم ما شئت. قال: بألف درهم. قال: قد أخذتها فقيل: لو قلت ثلاثين ألفًا. قال: وهل عدد أكثر من ألف.

قال الحافظ الهيثمي: قلت هكذا وقع في هذه الرواية أن الذي اشتراها أبوها وأن المشهور أن الذي اشتراها عبد المسيح أخوها واللَّه أعلم.

هذا حديث صحيح.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٦١٠): حدثنا محمد بن الحكم، أخبرنا النضر، أخبرنا إسرائيل، أخبرنا سعد الطائي، أخبرنا مُحل بن خليفة، عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر، فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدًا إلا اللَّه» قلت: فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد؟ - «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى». قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقين اللَّه أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالًا، وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه، فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم» قال عدي: سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق

تمرة فبكلمة طيبة » ، قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا اللَّه ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ؛ ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « يخرج ملء كفه » .

حدثني عبد اللَّه ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا سعدان بن بشر ، حدثنا أبو مجاهد ، حدثنا محل بن خليفة سمعت عديًّا : كنت عند النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

ومنها : الإخبار عن إسلام أهل الشام

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٣٨٤) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، هن لهن ، ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ ، حتى أهل مكة من مكة(١) . أخرجه مسلم (ج ٢ ص : ٨٣٩) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٣٨٧) : حدثنا عبد اللَّه بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « يهل أهل المدينة من ذي الحليفة ، وأهل الشام من الجحفة ، وأهل نجد من قرن » . قال عبد اللَّه : وبلغني أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « ويهل أهل اليمن من يلملم » .

أخرجه مسلم (ج ٢ ص : ٨٣٩) .

---

(١) وجه الدلالة من هذا الحديث ، وما بعده ، أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أخبر أن أهل هذه البلاد سيسلمون ، ويحجون ، وبعض تلك البلاد لم يكن فتح بعد .

قال الإمام أبو داود (ج ٧ ص : ٢٦٠) : حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي ، أخبرنا بقية ، حدثني بحير ، عن خالد ، يعني : ابن معدان ، عن أبي قتيلة ، عن ابن حوالة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة : جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق » قال ابن حوالة خر لي يا رسول اللَّه إن أدركت ذلك ؟ فقال : « عليك بالشام ، فإنها خيرة اللَّه من أرضه ، يجتبي إليها خيرته من عباده . فأما إن أبيتم ، فعليكم بيمنكم ، واسقوا من عندكم ؛ فإن اللَّه توكل لي بالشام وأهله » .

حديث حسن، وأبو قتيلة هو : مرثد بن وداعة ، مختلف في صحبته ، فإن ثبتت صحبته ، وإلا فهو تابعي مستور الحال ، على أنه قد توبع كما ذكره الحافظ في « **الإصابة** » في ترجمة عبد اللَّه بن حوالة .

ومنها : الإخبار بأناس يقولون من خلق اللَّه ؟!!

وقال مسلم رحمه اللَّه (ج ١ ص : ١٢١) : وحدثني عبد اللَّه بن الرومي ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة ، وهو ابن عمار ، حدثنا يحيى ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا : هذا اللَّه فمن خلق اللَّه ؟ » قال : فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب ، فقالوا : يا أبا هريرة هذا اللَّه فمن خلق - اللَّه - ؟ قال : فأخذ حصى بكفه فرماهم ثم قال : قوموا ، قوموا ، صدق خليلي .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٣٣٦) : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث قال : حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير ، قال أبو هريرة رضي اللَّه عنه : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم :

« يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟[1] من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته ».

أخرجه مسلم (ج ١ ص: ١١٩) وفيه من حديث هشام، عن أبيه: « فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله ».

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ٣ ص: ٢٦٥): حدثنا الحسن بن صباح، حدثنا شبابة، حدثنا ورقاء عن عبد الله بن عبد الرحمن، سمعت أنس بن مالك، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله ».

أخرجه مسلم (ج ١ ص: ١٢١).

وقد وقعت، فالشيوعيين عليهم لعائن الله يشككون العامة وقد تقدم العلاج النبوي أنه يقول: آمنت بالله ثم لينته. والحمد لله.

ومنها: الإخبار عن الأمراء المنحرفين

قال مسلم (ج ٣ ص: ١٤٨٠): حدثنا هداب بن خالد الأزدي، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أم سلمة، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: « ستكون أمراء تعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع » قالوا: يا رسول الله أفلا نقاتلهم قال: « لا، ما صلوا ».

(١) **قال الحافظ في « الفتح »** (ج ٦ ص: ٣٤١): وفيه علم من أعلام النبوة؛ لإخباره بوقوع ما سيقع فوقع ا.هـ. **قال أبو عبد الرحمن**: وفيه رد على أهل علم الكلام حيث قال: فليستعذ بالله ولينته وهم يقولون: إنه يلزم التسلسل (فالجواب) النبوي أسلم.

وحدثني أبو غسان المسمعي، ومحمد بن بشار جميعًا، عن معاذ واللفظ لأبي غسان، حدثنا معاذ وهو ابن هشام الدستوائي، حدثني أبي عن قتادة، حدثنا الحسن، عن ضبة بن محصن العنزي، عن أم سلمة زوج النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم، أنه قال: «يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع». قالوا: يا رسول اللّٰه ألا نقاتلهم؟ قال: «لا. ما صلوا» (أي: من كره بقلبه وأنكر بقلبه)[1].

وحدثني أبو الربيع العتكي، حدثنا حماد يعني ابن زيد، حدثنا المعلى بن زياد، وهشام، عن الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أم سلمة قالت: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم بنحو ذلك غير أنه قال: «فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم»، وحدثنا حسن بن الربيع البجلي، حدثنا ابن المبارك، عن هشام[2]، عن الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أم سلمة قالت: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فذكر مثله إلا قوله: «ولكن من رضي وتابع»، لم يذكره.

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ٥ ص: ١١١): ثنا روح[3] ثنا أبو يونس[4] القشيري عن سماك بن حرب، عن عبد اللّٰه بن خباب بن الأرت، حدثني أبي خباب بن الأرت. قال: إنا لقعود على باب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه

---

(١) **هذا إذا لم يستطع باليد واللسان**، وأما الخروج فلا، إلا أن ترى كفرًا بواحًا عندك فيه من اللّٰه برهان.

(٢) **هشام هو**: ابن حسان، وفي روايته عن الحسن ضعف، ولا يضر هنا لأنه في المتابعات.

(٣) هو ابن عبادة.

(٤) هو حاتم بن أبي صغيرة.

وعلى آله وسلم ننتظر أن يخرج لصلاة الظهر إذ خرج علينا فقال: «اسمعوا». فقلنا: سمعنا. ثم قال: «اسمعوا»، فقلنا: سمعنا. فقال: «إنه سيكون عليكم أمراء فلا تعينوهم على ظلمهم فمن صدقهم بكذبهم فلن يرد علي الحوض».

وأخرجه الإمام أحمد (ج ٦ ص: ٣٩٥) بهذا السند.

وهو حديث حسن.

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٤٣): ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، حدثني أبو حصين، عن الشعبي، عن عاصم العدوي، عن كعب بن عجرة. قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو دخل، ونحن تسعة وبيننا وسادة من أدم. فقال: «إنها ستكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ويعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض» **حديث حسن.**

وأبو حصين هو عثمان بن عاصم.

قال النسائي رحمه الله (ج ٧ ص: ١٤٣): أخبرنا عمرو بن علي. قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، عن أبي حصين، عن الشعبي، عن عاصم العدوي، عن كعب بن عجرة. قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونحن تسعة فقال: «إنه ستكون بعدي أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وهو وارد علي الحوض».

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عاصمًا العدوي، وقد وثقه النسائي كما في «الخلاصة».

ثم قال النسائي رحمه الله: أخبرنا هارون بن إسحاق. قال: حدثنا محمد يعني: ابن عبد الوهاب. قال: حدثنا مسعر، عن أبي حصين، عن الشعبي، عن عاصم العدوي، عن كعب بن عجرة قال: خرج إلينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ونحن تسعة خمسة وأربعة أحد العددين من العرب، والآخر من العجم. فقال: «اسمعوا هل سمعتم أن ستكون بعدي أمراء من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يرد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض».

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص: ٣٢١): ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن ابن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط[1]، عن جابر بن عبد اللَّه أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال لكعب بن عجرة: «أعاذك اللَّه من إمارة السفهاء» قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردوا على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردوا عليّ حوضي، يا كعب بن عجرة الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان. أو قال: برهان، يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به. يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها».

---

(١) في «المسند» ثابت، والصواب ما أثبتناه لما في «المسند» (ج ٣ ص: ٣٩٩)، وفي «مسند الدارمي» (ج ٢ ص: ٣١٨)، والحديث معروف من رواية عبد الرحمن بن سابط.

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ص: ٣٩٩): حدثنا عفان، حدثنا وهيب[١]، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله قال: حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء» قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «أمراء سيكونون من بعدي، من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم، ولم يردوا عليّ الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وأولئك يردون عليّ الحوض يا كعب بن عجرة الصلاة قربان، والصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار. يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار أولى به، يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد بائع نفسه، وموبق رقبته، وغاد مبتاع نفسه ومعتق رقبته».

هذا حديث حسن وقد كنت تركته من أجل قول ابن معين أن عبد الله بن سابط لم يسمع من جابر وأنه مرسل، ثم وجدت في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم إثبات الاتصال والحديث شاهد لما قبله.

ومنها: الإخبار عن بعض الأمراء أنهم سيؤخرون الصلاة عن وقتها

قال مسلم رحمه الله (ج ١ ص: ٤٤٨): حدثنا خلف بن هشام، حدثنا حماد بن زيد (ح) قال: وحدثني أبو الربيع الزهراني وأبو كامل الجحدري قالا: حدثنا حماد عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن

(١) في «**الأصل**»: بين وهيب وعبد الله بن عثمان عبدالله بن وهيب والصواب ما أثبتناه.

أبي ذر قال : قال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « كيف أنت إذا كان عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها ؟ » قال : قلت : فما تأمرني ؟ قال : « صل الصلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة » . ولم يذكر خلف عن وقتها .

حدثنا **يحيى بن يحيى** ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد اللَّه بن الصامت ، عن أبي ذر قال : قال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « يا أبا ذر إنه سيكون بعدي أمراء يميتون الصلاة ، فصل الصلاة لوقتها ، فإن صليت لوقتها كانت لك نافلة ، وإلا كنت قد أحرزت صلاتك » .

وحدثنا **أبو بكر بن أبي شيبة** ، حدثنا عبد اللَّه بن إدريس عن شعبة ، عن ابن عمران ، عن عبد اللَّه بن الصامت ، عن أبي ذر قال : إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا مجدع الأطراف ، وأن أصلي الصلاة لوقتها ، فإن أدركت القوم وقد صلوا كنت قد أحرزت صلاتك ، وإلا كانت لك نافلة .

وحدثني **يحيى بن حبيب الحارثي** ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا شعبة عن بديل قال : سمعت أبا العالية يحدث عن عبد اللَّه بن الصامت ، عن أبي ذر قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وضرب فخذي : « كيف أنت إذا أبقيت في قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها » قال : قال : ما تأمر ؟ قال : « صل الصلاة لوقتها ثم اذهب لحاجتك ، فإن أقيمت الصلاة وأنت في المسجد فصل » .

وحدثني **زهير بن حرب** ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن أبي العالية البراء قال : أخر ابن زياد الصلاة ، فجاءني عبد اللَّه بن الصامت ، فألقيت له كرسيًّا ، فجلس عليه فذكرت له صنيع ابن زياد فعض على شفته وضرب فخذي وقال : إني سألت أبا ذر كما سألتني فضرب فخذي كما

ضربت فخذك وقال : إني سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كما سألتني فضرب فخذي كما ضربت فخذك وقال : « صل الصلاة لوقتها فإن أدركتك الصلاة معهم فصل ، ولا تقل : قد صليت فلا أصلي » .

وحدثنا عاصم بن النضر التيمي ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا شعبة عن أبي نعامة ، عن عبد اللَّه بن الصامت ، عن أبي ذر قال : قال : كيف أنتم أو قال : كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها ؟ ، فصل الصلاة لوقتها ، ثم إن أقيمت الصلاة فصل معهم ، فإنها زيادة خير » .

وحدثني أبو غسان المسمعي ، حدثنا معاذ وهو ابن هشام ، حدثني أبي عن مطر ، عن أبي العالية البراء قال : قلت لعبد اللَّه بن الصامت : نصلي يوم الجمعة خلف أمراء ، فيؤخرون الصلاة . قال : فضرب فخذي ضربة أوجعتني ، وقال : سألت أبا ذر عن ذلك فضرب فخذي وقال : سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن ذلك فقال : « صلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة » . قال : وقال عبد اللَّه : ذكر لي أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ضرب فخذ أبي ذر .

قال أبو داود رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٩٩) : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي ، أخبرنا الوليد ، أخبرنا الأوزاعي ، حدثني حسان يعني : ابن عطية ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون الأودي . قال : قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلينا قال : فسمعت تكبيره مع الفجر ، رجل أجش الصوت قال : فألقيت عليه محبتي فما فارقته حتى دفنته بالشام ميتًا ، ثم نظرت إلى أفقه الناس بعده فأتيت ابن مسعود فلزمته حتى مات فقال : قال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « كيف بكم إذا أتت عليكم أمراء يصلون الصلاة لغير

ميقاتها ؟ » قلت : فما تأمرني إذًا إن أدركني ذلك يا رسول اللَّه ؟ قال : « صل الصلاة لميقاتها ، واجعل صلواتك معهم سبحة » .

حديث صحيح على شرط مسلم .

قال الإمام ابن ماجه رحمه اللَّه (ج ١ ص : ٣٩٨) : حدثنا محمد بن الصباح ، أنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لعلكم ستدركون أقوامًا يصلون الصلاة لغير وقتها ، فإن أدركتموهم فصلوا في بيوتكم للوقت الذي تعرفون ، ثم صلوا معهم واجعلوها سبحة » .

هذا حديث حسن .

ومنها : الإخبار بأنها ستوجد أثرة من الأمراء

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص : ٥) : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا الأعمش ، حدثنا زيد بن وهب قال : سمعت عبد اللَّه قال : قال لنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها » ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول اللَّه ؟ . قال : « أدوا إليهم حقهم ، وسلوا اللَّه حقكم » .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص : ١٤٧٢) .

وقد وقعت الأثرة ، فالحكام يتصرفون في أموال المسلمين كيفما يشاءون ، دع عنك ، الأثرة في بيت مال المسلمين ، وتفضيل الأقارب ، وتقليدهم المناصب التي ليسوا لها أهلًا ، ولن يرفع اللَّه عن المسلمين العذاب الذي يعانونه من حكامهم إلَّا إذا رجعوا إلى اللَّه وإلا فرب العزة يقول : ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون ﴾ .

ومنها : الإخبار بكثرة الملوك والرؤساء

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص : ٤٩٥) : حدثني محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن فرات القزاز قال : سمعت أبا حازم قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم[1] الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون » قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : « فوا ببيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم فإن اللّٰه سائلهم عما استرعاهم » .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص : ١٤٧١) .

ومنها : الإخبار بتوسيد الأمر إلى غير أهله

قال البخاري رحمه الله (ج ١ ص : ١٤١) : حدثنا محمد بن سنان قال : حدثنا فليح (ح) وحدثني إبراهيم بن المنذر قال : حدثنا محمد بن فليح قال : حدثني أبي قال : حدثني هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : بينما النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال : متى الساعة ؟ . فمضى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم :

---

(١) **في هذا أن السياسة من سنن الأنبياء ، والذين يحاولون فصل الدين عن السياسة لهم مقاصد سيئة ، فهم يريدون التخلص من الدين** ، فشقوا وأصبحوا في قلق عظيم ، وعجزوا عن سياسة شعوبهم ، وعسى أن يعودوا إلى دينهم فيسعدوا في دينهم ودنياهم .

أنت أيها الزعيم المدبر لو كنت أنت وشعبك متمسكين بالإسلام لما أصبحت خائفًا من الانقلابات صباحًا ومساء وبالليل ، ذلك لأن الدين الإسلامي يحرم الخروج على الحاكم المسلم ، إلّا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من اللّٰه برهان .

ومن أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاضربوا عنقه . وإذا بويع لخليفتين فاضربوا عنق الآخر منهما .

بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال : « أين أراه السائل عن الساعة ؟ » قال : ها أنا يا رسول اللَّه قال : « فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » قال : كيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » ا.هـ .

ومعنى وُسِّد : أسند كما في « **الفتح** » .

ومنها : الإخبار باضطراب دولة غير القرشيين

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٥٣٢) حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ، فغضب معاوية ، فقام فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال : أما بعد : فإنه بلغني أن رجالًا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب اللَّه ، ولا تؤثر عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فأولئك جهالكم فإياكم والأماني التي تضل أهلها ، فإني سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه اللَّه على وجهه ما أقاموا الدين »[(١)] .

ومنها : الإخبار بهلاك كسرى وقيصر

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٢١٩) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ،

---

(١) كتبته لأنه وقع ما أخبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فإنه ما وثب على الخلافة أحد وليس بقرشي إلا انتكس وإن طال زمانه ، وهذا الاضطراب الكائن سببه أنه أسند الأمر إلى غير أهله .

وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل اللَّه » .

وأخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٢٣٧) من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة به . ومن طريق معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة به .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٢١٩) : حدثنا إسحاق سمع جريرًا ، عن عبد الملك ، عن جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل اللَّه » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٢٣٧) .

وأخرجه أيضًا من حديث سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « لتفتحن عصابة من المسلمين ، أو من المؤمنين ، كنز آل كسرى الذي في الأبيض » قال قتيبة من المسلمين ولم يشك .

وقد رواه الطبراني في « الكبير » (ج ٢ ص : ٢١٧) **بسنده الصحيح** إلى مهاجر بن مسمار ، وهو حسن الحديث ، عن عامر بن سعد ، عن جابر به .

ومنها : الإخبار بخروج الخوارج

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٦١٧) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : بينما نحن عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو يقسم قسمًا إذ أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال : يا رسول اللَّه اعدل فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ ، قد

خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمر : يا رسول اللَّه ائذن لي فيه فأضرب عنقه فقال : « دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس » . قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس ، فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم الذي نعته .

وأخرجه البخاري (ج ٢ ص : ٢٩٠) وفيه زيادة فنزلت فيه ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ .

وأخرجه مسلم (ج ٢ ص : ٧٤٤) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص : ٦٧) : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الواحد ، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي نعم قال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : بعث علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم من اليمن ذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال : فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر ، وأقرع بن حابس ، وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ، فبلغ ذلك النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر

السماء صباحًا ومساء» قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول اللّه اتق اللّه قال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي اللّه؟» قال: ثم ولى الرجل قال خالد بن الوليد: يا رسول اللّه ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا لعله أن يكون يصلي». فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم» قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب اللّه رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود».

وأخرجه مسلم (ج ٢ ص: ٧٤٢).

قال مسلم رحمه اللّه (ج ٢ ص: ٧٤٥): وحدثني محمد بن المثنى، حدثنا ابن أبي عدي، عن سليمان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: «هم شر الخلق أو من أشر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق». قال: فضرب النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم لهم مثلًا أو قال قولًا: «الرجل يرمي الرمية - أو قال الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة وينظر في النضيّ فلا يرى بصيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة» قال: قال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق.

حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا القاسم وهو ابن الفضل الحداني، حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق».

حدثنا أبو الربيع الزهراني، وقتيبة بن سعيد قال قتيبة: حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «يكون في أمتي فرقتان فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق».

حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال: «تمرق مارقة في فرقة من الناس، فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق».

حدثني عبيد اللّٰه القواريري، حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن الزبير، حدثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن الضحاك المشرقي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم في حديث ذكر فيه قومًا يخرجون على فرقة مختلفة، يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق.

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٦ ص: ٦١٨): حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن خيثمة، عن سويد بن غفلة قال: قال علي رضي اللّٰه عنه: إذا حدثتكم عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة».

وأخرجه مسلم (ج ٢ ص: ٧٤٦).

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص: ٧٤٨) : حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرزاق بن همام، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، حدثنا سلمة ابن كهيل، حدثني زيد بن وهب الجهني، أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج. فقال علي رضي الله عنه: أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم لاتكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلًا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم! والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس فسيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل فنزلني زيد بن وهب منزلًا حتى قال: مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم. قال: وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه، فلم يجدوه فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناسًا قد قتل بعضهم على بعض قال: أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ

رسوله . قال : فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين آللَّه الذي لا إله هو لسمعت هذا الحديث من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم؟ فقال : إي واللَّه الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثًا وهو يحلف له .

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٧٤٧) : وحدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا ابن علية وحماد بن زيد .

(ح) وحدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حماد بن زيد .

(ح) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب واللفظ لهما . قالا : حدثنا إسماعيل ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن علي قال : ذكر الخوارج . فقال : فيهم رجل مخدج اليد ، أو مؤدن اليد ، أو مثدون اليد لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد اللَّه الذين يقتلونهم على لسان محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . قال : قلت آنت سمعته من محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم؟ قال : إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة .

حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة ، قال : لا أحدثكم إلا ما سمعت منه فذكر عن علي نحو حديث أيوب مرفوعًا .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٢ ص : ٢٩٠) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الشيباني ، حدثنا يسير بن عمرو . قال : قلت لسهل بن حنيف : هل سمعت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول في الخوارج شيئًا ؟ قال : سمعته يقول وأهوى بيده قِبل العراق : « يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية » .

وأخرجه مسلم رحمه الله (ج ١ ص: ٧٥٠) ثم قال مسلم رحمه الله (ج ٢ ص: ٧٥٠): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وإسحاق جميعًا عن يزيد. قال أبو بكر: حدثنا يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، حدثنا أبو إسحاق الشيباني، عن أسير بن عمرو، عن سهل بن حنيف، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتيه قوم قبل المشرق محلقة رءوسهم.

قال مسلم رحمه الله (ج٢ ص: ٧٥٠): حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن بعدي من أمتي (أو سيكون بعدي من أمتي) قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة». فقال ابن الصامت فلقيت رافع بن عمرو الغفاري أخا الحكم الغفاري قلت: ما حديث سمعته من أبي ذر كذا وكذا فذكرت له هذا الحديث فقال: وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال مسلم رحمه الله (ج٢ ص: ٧٤٩): حدثني أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى. قالا: أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج، عن بسر بن سعيد، عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل. إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصف ناسًا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم وأشار إلى حلقه، من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه طبي شاة أو حلمة ثدي، فلما قتلهم على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئًا

فقالوا : ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثًا ، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه .

قال عبيد اللَّه وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم .

زاد يونس في روايته. قال بكير : وحدثني رجل ، عن ابن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٧٤٠) : حدثنا محمد بن رمح بن المهاجر ، أخبرنا الليث ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي الزبير[1] ، عن جابر بن عبد اللَّه . قال : أتى رجل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بالجعرانة منصرفة من حنين ، وفي ثوب بلال فضة ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقبض منها يعطى الناس فقال : يا محمد اعدل قال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ . لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » . فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول اللَّه فأقتل هذا المنافق . فقال : « معاذ اللَّه أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » .

حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي . قال : سمعت يحيى ابن سعيد يقول : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد اللَّه .

(ح) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني قرة ابن خالد ، حدثني أبو الزبير ، عن جابر بن عبد اللَّه ، أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يقسم مغانم . وساق الحديث .

---

(١) **أبو الزبير وهو** : محمد بن مسلم بن تدرس المكي مدلس ، ولم يصرح بالتحديث في هذه الطريق لكنه قد صرح في التي تليها .

قال ابن ماجه رحمه الله (ج ١ ص: ٦٢) : حدثنا بكر بن خلف أبو بشر ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يخرج قوم في آخر الزمان (أو في هذه الأمة) يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم أو حلوقهم . سيماهم التحليق إذا رأيتموهم أو إذا لقيتموهم فاقتلوهم » .

الحديث سنده صحيح ، وقد أخرجه أبو داود (ج ٥ ص: ١٢٣) : **وهو في « مسند أحمد »** (ج٣ ص: ٢٢٤) من حديث قتادة ، عن أنس وأبي سعيد ، ومن حديث أنس ، عن أبي سعيد .

ورواية قتادة عن أبي سعيد مرسلة لكنه قد جاء كما عرفت عن أنس ، عن أبي سعيد .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص: ٨٦) : ثنا إسحاق بن عيسى الطباع ، حدثني يحيى بن سليم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري . قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضي الله عنها ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق ليالي قتل علي رضي الله عنه ، فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي رضي الله عنه . قال : وما لي لا أصدقك . قالت : فحدثني عن قصتهم قال : فإن عليًا رضي الله عنه لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى ، واسم سماك الله تعالى به ، ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حكم إلا لله تعالى فلما أن بلغ عليًا رضي الله عنه ما عتبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذنًا فأذن ، أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا

رجل قد حمل القرآن فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده، ويقول: أيها المصحف حدث الناس فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله. يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما﴾.

فأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا على أن كاتبت معاوية كتب علي بن أبي طالب وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالحديبية حين صالح قومه قريشًا فكتب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: «كيف نكتب؟» فقال: اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فاكتب محمد رسول الله» فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشًا يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ فبعث إليهم عليٌّ عبد الله بن عباس رضي الله عنه فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس فقال: يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرف به هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿قوم خصمون﴾ فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله. فقام خطباؤهم فقالوا: والله لتواضعنه كتاب الله فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله فواضعوا

عبد الله الكتاب ثلاثة أيام فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء حتى أدخلهم على عليّ الكوفة فبعث علي رضي اللَّه عنه إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا، أو تقطعوا سبيلًا أو تظلموا ذمة. فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن اللَّه لا يحب الخائنين. فقالت له عائشة رضي اللَّه عنها: يا ابن شداد فقد قتلهم. فقال: واللَّه ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة. فقالت: اللَّه. فقال: اللَّه الذي لا إله إلا هو لقد كان. قالت: فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثون يقولون ذو الثدي وذو الثدي. قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا فما أكثر من جاء يقول قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك. قالت: فما قول علي رضي اللَّه عنه حين قام عليه كما يزعم أهل العراق. قال: سمعته يقول صدق اللَّه ورسوله قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا. قالت: أجل صدق اللَّه ورسوله. يرحم اللَّه عليًا رضي اللَّه عنه إنه كان من كلامه لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال: صدق اللَّه ورسوله فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث.

هذا حديث حسن.

قال الإمام البزار رحمه اللَّه كما في «كشف الأستار» (ج ٢ ص: ٣٦٢): حدثنا محمد بن معمر، ثنا أبو هشام المخزومي، ثنا المغيرة بن سلمة، ثنا عاصم بن كليب، حدثني أبي. قال: كانت مجالس الناس المساجد حتى رجعوا من صفين وبرءوا من القضية فاستخف الناس وقعدوا في السكك

يتخبرون الأخبار فبينا نحن قعود عند علي وهو يتكلم بأمر من أمر الناس. قال: فقام رجل عليه فقال: يا أمير المؤمنين ائذن أن أتكلم. قال: فشغل بما كان فيه من أمر الناس قال: فأخذنا الرجل فأقعدناه إلينا وقلنا: ما هذا الذي تريد أن تسأل أمير المؤمنين؟ فقال: إني كنت في العمرة فدخلت على أم المؤمنين عائشة فقالت: ما هؤلاء الذين خرجوا قبلكم يقال لهم: حروراء؟ فقلت: قوم خرجوا إلى أرض قرية منا، يقال لها: حروراء. قالت: فشهدت هلكتهم؟ قال عاصم: فلا أدري ما قال الرجل: نعم أم لا. فقالت عائشة: أما إن ابن أبي طالب لو شاء حدثكم حديثهم. فجئت أسأله عن ذلك، فلما فرغ على مما كان فيه قال: أين الرجل المستأذن؟ قال: فقام فقص عليه ما قص علينا. قال فأهل علي وكبر وقال: دخلت على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وليس عنده غير عائشة فقال: «كيف أنت يا ابن أبي طالب وقوم كذا وكذا؟» فقلت: اللَّه ورسوله أعلم فأعادها فقلت: اللَّه ورسوله أعلم قال: «قوم يخرجون من قِبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم».

قال الحافظ الهيثمي قلت: لم أره بتمامه. وفي «الصحيح» بعضه ا.هـ.

هذا حديث حسن.

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٥ ص: ٣٦): ثنا وكيع، ثنا عثمان أبو سلمة الشحام، حدثني مسلم بن أبي بكرة، عن أبيه. قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «سيخرج قوم أحداث أحداء أشداء ذليقة ألسنتهم بالقرآن يقرءونه لا يجاوز تراقيهم، فإذا لقيتموهم فأنيموهم ثم إذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنه يؤجر قاتلهم».

وقال الإمام أحمد أيضًا (ص: ٤٤): ثنا روح، ثنا عثمان الشحام، حدثني مسلم بن أبي بكرة وسأله: هل سمعت في الخوارج من شيء؟ قال: سمعت

والدي أبا بكرة يقول عن نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «ألا إنه سيخرج من أمتي أقوام أشداء أحداء ذليقة ألسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم، ألا فإذا رأيتموهم فأنيموهم ثم إذا رأيتموهم فأنيموهم فالمأجور قاتلهم».

مسلم بن أبي بكرة، ترجمته في «**تهذيب الكمال**» من رجال مسلم. روى عنه أربعة ولم يوثقه معتبر فهو مستور الحال لكنه قد تابعه نصر بن عاصم كما في «**كتاب السنة**» لابن أبي عاصم (ج ٢ ص: ٤٥٦)، وقد وثقه النسائي كما في «**تهذيب الكمال**»، فالحديث صحيح.

قال عبد اللَّه بن أحمد في «كتاب السنة» (ص: ٢٤٥): حدثني أبي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي، حتى أتينا عبد اللَّه بن عمرو ابن العاص، وهو يطوف بالبيت معلقًا نعله بيده فسألته هل حضرت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم. أقبل رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، وهو يعظ الناس. فقال: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «وكيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت، فغضب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ثم قال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول اللَّه ألا نقتله؟ قال: «لا دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية فينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم».

هذا حديث حسن، وقد أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (ج ٢ ص: ٢١٩) **فقال ثنا يعقوب ثنا أبي به.**

قال الإمام البزار كما في «كشف الأستار» (ج ٢ ص: ٣٥٩): حدثنا عمرو ابن علي، ثنا معاذ بن هشام، ثنا أبي، عن قتادة، عن عقبة بن وساج. قال: كان صاحب لي يحدثني عن عبد اللّه بن عمرو في شأن الخوارج، فحججت فلقيت عبد اللّه بن عمرو. فقلت: إنك بقية أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، وقد جعل اللّه عندك علمًا إن ناسًا يطعنون على أمرائهم، ويشهدون عليهم بالضلالة قال: على أولئك لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين.

أتي رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم بسقاية من ذهب أو فضة فجعل يقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد لئن كان اللّه أمرك بالعدل فلم تعدل؟ قال: «ويلك فمن يعدل عليك بعدي؟». فلما أدبر قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «إن فيْ أمتي أشباه هذا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فإن خرجوا فاقتلوهم». قال ذلك ثلاثًا هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

قال الإمام أحمد رحمه اللّه (ج ٥ ص: ٢٥٣): ثنا عبد الرزاق، أنا معمر. قال: سمعت أبا غالب[1] يقول لما أتي برءوس الأزارقة[2] فنصبت على درج دمشق جاء أبو أمامة فلما رآهم دمعت عيناه. فقال: كلاب النار ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلى قتلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قال: فقلت: ما شأنك دمعت عيناك؟ قال رحمة

---

(١) **اسمه** حزور مشهور بكنيته.
(٢) **فرقة من الخوارج** من أتباع نافع بن الأزرق.

لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام . قال : قلنا أبرأيك قلت : هؤلاء كلاب أهل النار أو شيء سمعته من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم؟ قال : إني لجريء بل سمعته من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم غير مرة ولا ثنتين ولا ثلاث . قال : فعد مرارًا .

حديث حسن ، وأبو غالب قد تابعه سيار الأموي الدمشقي عند أحمد (ج ٥ ص : ٢٥٠) **وهو مستور الحال .**

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٥ ص : ٢٦٩) : ثنا أنس بن عياض ، قال : سمعت صفوان بن سليم يقول : دخل أبو أمامة الباهلي دمشق فرأى رءوس حروراء قد نصبت فقال : كلاب النار ، ثلاثًا **وذكر الحديث .**

وهذا السند صحيح .

قال عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه في « السنة » (ص : ٢٥٤) : حدثني أبي ، حدثنا هاشم بن القيس ، حدثنا حشرج بن نباتة العبسي ، حدثني سعيد بن جهمان . قال : لقيت عبد اللَّه بن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه . فقال لي : من أنت ؟ قال : قلت : أنا سعيد بن جهمان . قال : فما فعل والدك ؟ قال : قلت : قتلته الأزارقة . قال : لعن اللَّه الأزارقة لعن اللَّه الأزارقة ، حدثنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنهم كلاب أهل النار . قال : قلت الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال : بلى الخوارج كلها .

هذا حديث حسن .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٤ ص : ٣٨٢) : ثنا بهز وعفان المعنى . قالا : ثنا حماد يعني : ابن سلمة ، قال عفان في حديثه : حدثني سعيد بن جهمان قال : كنا مع عبد اللَّه بن أبي أوفى يقاتل الخوارج ، وقد لحق غلام لابن

أبي أوفى بالخوارج فناديناه : يا فيروز هذا ابن أبي أوفى . قال : نعم الرجل لو هاجر . قال : ما يقول عدو الله ؟ قال يقول : نعم الرجل لو هاجر فقال : هجرة بعد هجرتي مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ يرددها ثلاثًا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « طوبى لمن قتلهم ثم قتلوه » .

قال عفان في حديثه : وقتلوه ثلاثًا .

هذا حديث حسن .

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه (ج ١ ص : ٥٩) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عامر بن زرارة ، قالا : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول الناس يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم » .

الحديث سنده حسن ، وقد أخرجه الترمذي كما في « تحفة الأحوذي » (ج ٣ ص : ٢١٧ - طبعة هندية) وقال حديث حسن صحيح .

قال ابن ماجه رحمه الله (ج ١ ص : ٦١) : حدثنا هشام بن عمار ، ثنا يحيى ابن حمزة ، ثنا الأوزاعي ، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع » .

قال ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال » .

قال المعلق في «الزوائد» : إسناده صحيح وقد احتج البخاري بجميع رواته .

قال أبو عبد الرحمن : هشام بن عمار روى عنه البخاري حديثين توبع عليهما ، وأخرج له حديث الملاهي تعليقًا كما في «**مقدمة الفتح**» ، والجرح في هشام بن عمار مفسر كما في «**مقدمة الفتح**» .

قال الإمام أبو يوسف يعقوب الفسوي (ج ١ ص : ٥٢٢) : حدثني موسى ابن مسعود قال حدثنا عكرمة بن عمار عن سماك أبي زميل الدؤلي - وقد كان هوى نجدة - قال : قال ابن عباس : إنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا رأيًا وهم ستة آلاف ، وأجمعوا أن يخرجوا على عليّ بن أبي طالب وأصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم معه . قال : وكان لا يزال يجيء إنسان فيقول : يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك يعني : عليًا ، فيقول : دعوهم فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون .

فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له : يا أمير المؤمنين أبردنا بصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم فقال : إني أخافهم عليك ، فقلت : كلا وكنت رجلًا حسن الخلق لا أوذي أحدًا فأذن لي فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن ، وترجلت ودخلت عليهم نصف النهار ، فدخلت على قوم لم أر قومًا قط أشد منهم اجتهادًا ، جباههم قرحت من السجود وأيديهم كأنها بقر الإبل وعليهم قمص مرحضة مشمرين ، مسهمة وجوههم من السهر ، فسلمت عليهم فقالوا : مرحبًا يا ابن عباس ما جاء بك؟ قال قلت : أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ، ومن عند - صهر رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم - عليّ وعليهم أنزل القرآن وهم أعلم بتأويله . فقالت طائفة منهم : لا تخاصموا قريشًا فإن اللّٰه قال : ﴿بل هم قوم خصمون﴾ . فقال اثنان أو ثلاثة : لو كلمتهم فقلت لهم ترى ما نقمتهم على

صهر رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم؟، والمهاجرين والأنصار عليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد وهم أعلم بتأويله منكم قالوا: ثلاثًا. قلت ماذا؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر اللّٰه عز وجل وقد قال اللّٰه عز وجل: ﴿إن الحكم إلا للّٰه﴾ فما شأن الرجال والحكم بعد قول اللّٰه عز وجل؟ فقلت: هذه واحدة وماذا؟ قالوا وأما الثانية: فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حل لنا قتالهم وسباهم، وماذا الثالثة؟ قالوا: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين قلت: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا. قلت لهم: أما قولكم حكم الرجال في أمر اللّٰه عز وجل أنا أقرأ عليكم في كتاب اللّٰه عز وجل ما ينقض قولكم أفترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: فإن اللّٰه عز وجل قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب وتلا هذه الآية ﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ إلى آخر الآية وفي المرأة وزوجها ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها﴾ إلى آخر الآية، فنشدتكم باللّٰه هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل، أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة؟ فأيهما ترون أفضل؟ قالوا: بل هذه. قال: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة فواللّٰه لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، وواللّٰه لئن قلتم نسبيها نستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام فأنتم بين الضلالتين. إن اللّٰه عز وجل قال: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ فإن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام. أخرجت من هذه؟ قالوا: [illegible] أما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم [illegible] يوم الحديبية [illegible] المشركين

أبا سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو فقال: «يا عليّ اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم» فقال المشركون: واللَّه لو نعلم أنك رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ما قاتلناك. فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «اللهم إنك تعلم أني رسولكِ. امح يا عليّ. اكتب هذا ما كاتب عليه محمد بن عبد اللَّه»، فواللَّه لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خير من علي فقد محا نفسه.

قال: فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا.

هذا الأثر سنده حسن، وقد تابع موسى بن مسعود عبد الرزاق كما عند الطبراني (ج ١٠ ص: ٣١٢) وقد قال الحاكم رحمه اللَّه (ج ٢ ص: ١٥٢): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ومنها: الإخبار بأن الطاعون لا يدخل المدينة

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٠ ص: ١٧٩): حدثنا عبد اللَّه بن يوسف أخبرنا مالك عن نعيم المجمر، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا يدخل المدينة المسيح، ولا الطاعون».

قال الحافظ كلامًا حاصله أن الطاعون لم يدخل المدينة إلى زمنه. وأما دخول الوباء لها فالوباء لا يصدق عليه أنه الطاعون. إذ الطاعون وخز الجن. وقال الحافظ - أيضًا - وقال آخر: هذا من المعجزات المحمدية لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية، وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة.

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص : ٨١) : ثنا يزيد[١] ثنا مسلم بن عبيد أبو نضيرة[٢] قال : سمعت أبا عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «أتاني جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون ، فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون إلى الشام . فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافرين» .

هذا حديث حسن .

ومنها : الإخبار بأنه سينفع بسعد أقوام ويضر به آخرون

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص : ٢٦٩) : حدثنا يحيى بن قزعة ، حدثنا إبراهيم عن الزهري عن عامر بن سعد بن مالك عن أبيه قال : عادني النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، عام حجة الوداع ، من مرض أشفيت منه على الموت ، فقلت : يا رسول الله بلغني من الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : «لا» . قال : أفأتصدق بشطره ؟ قال : «الثلث يا سعد ، والثلث كثير ، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» .

قال أحمد بن يونس عن إبراهيم : «أن تذر ذريتك ولست بنافق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا آجرك بها حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك» . قلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابي ؟ قال : «إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على

---

(١) يزيد هو ابن هارون الواسطي .

(٢) ترجمته في «تهذيب التهذيب» في الكنى .

أعقابهم. لكن البائس سعد بن خولة» يرثى له رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أن توفي بمكة.

وقال أحمد بن يونس وموسى عن إبراهيم: «أن تذر ورثتك».

أخرجه مسلم (ج ٣ ص: ١٢٥٠).

وقد انتفع به المسلمون في الفتوحات الإسلامية وأضر به الفرس. والحمد للَّه.

ومنها: الإخبار بأن هلاك أمته بسبب التنافس في الدنيا

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٢٤٣): حدثنا إسماعيل بن عبد اللَّه قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة قال: قال ابن شهاب: حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة، أخبره أن عمرو بن عوف وهو حليف لبني عامر بن لؤي كان مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أخبره أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، بعث أبا عبيدة ابن الجراح إلى البحرين، يأتي بجزيتها، وكان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم هو صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي. فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين. فسمعت الأنصار بقدومه فوافقت صلاة الصبح مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فلما انصرف، تعرضوا فتبسم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حين رآهم. وقال: «أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء؟». قالوا: أجل يا رسول اللَّه، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم فواللَّه ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٢٧٣).

قال البخاري رحمه الله (ج ١١ ص: ٢٤٤): حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا» فقال رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حتى ظننت أنه ينزل عليه. ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: «أين السائل؟» قال: أنا. قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك، قال: «لا يأتي الخير إلا بالخير. إن هذا المال خضرة حلوة، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطًا أو يلم، إلا آكلة الخضرة، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت، ثم عادت فأكلت. وإن هذا المال حلوة: من أخذه بحقه، ووضعه في حقه فنعم المعونة هو. وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع».

الحديث أخرجه مسلم (ج ٢ ص: ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩).

وقال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ٦١١): حدثني سعيد بن شرحبيل حدثنا ليث عن يزيد عن أبي الخير عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرطكم وأنا شهيد عليكم، إني والله لأنظر إلى حوضي الآن. وإني قد أعطيت خزائن مفاتيح الأرض. وإني والله ما أخاف بعدي أن تشركوا، ولكن أخاف أن تنافسوا فيها».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ١٧٩٥).

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص: ٣٤٨): حدثنا محمد بن عبد الرحيم، أخبرنا زكريا بن عدي، أخبرنا ابن المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبي حبيب،

عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: صلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على قتلى أحد، بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات. ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد. وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا. وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ١٧٩٥).

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٢٤): ثنا حيوة قال أنا بقية قال: حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عوف بن مالك أنه قال: إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قام في أصحابه فقال: «الفقر تخافون، أو العوز، أو تهمكم الدنيا. فإن اللَّه فاتح لكم أرض فارس والروم وتصب عليكم الدنيا صبًّا حتى لا يزيغكم بعدي إن أزاغكم إلا هي».

ومنها: إخباره صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بأنه يهلك الصالحون الأول فالأول

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١١ ص: ٢٥١): حدثني يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي، قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم اللَّه بالة». قال أبو عبد اللَّه: يقال حفالة وحثالة.

ومنها : الإخبار بارتكاب الفواحش جهارًا

قال الإمام ابن حبان رحمه اللَّه كما في «الموارد» (ص : ٤٦٦) : أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى ، حدثنا إبراهيم بن حجاج السامي ، حدثنا عبدالرحمن بن زياد ، حدثنا عثمان بن حكيم ، حدثنا أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد اللَّه بن عمرو قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير » . قلت : إن ذلك لكائن ؟ قال : « نعم ليكونن » .

هذا حديث صحيح .

وقد أخبرني غير واحد ، أن هذا قد وقع في أمريكا وفي روسيا ، ونخشى أن يقلدهم المفتونون بهم من أبناء المسلمين .

* * *

خصال خمس وقعت كما أخبر النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم

من ذلك : انتشار الأمراض التي أعيت الأطباء بسبب فشو الفاحشة

قال الإمام أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار كما في « كشف الأستار » (ج ٢ ص : ٢٦٨) : حدثنا جعفر بن محمد بن الفضيل ، ثنا محمد بن عثمان الدمشقي ، ثنا الهيثم بن حميد ، حدثني حفص بن غيلان عن عطاء بن أبي رباح ، قال : كنا مع ابن عمر بمنى ، فجاءه فتى من أهل البصرة فسأله عن شيء[1] فقال : سأخبرك عن ذلك : قال : كنت عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم عاشر عشرة في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وحذيفة وأبو سعيد الخدري ورجل آخر سماه ، وأنا ، فجاء فتى من الأنصار فسلم على رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، ثم جلس ، فقال : يا رسول اللّه أي المؤمنين أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقًا » . قال : أي المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرًا ، وأحسنهم له استعدادًا ، قبل أن ينزل بهم » أو قال : « ينزل به أولئك الأكياس » ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، فقال : « لم تظهر الفاحشة في قوم قط إلا ظهر فيهم الطاعون ،

(١) جاء تفسيره في « مستدرك الحاكم » (ج ٤ ص : ٥٤٠) . أن إسدال العمامة .

والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا. ولم ينقضوا عهد اللَّه وعهد رسوله، إلا سلط اللَّه عليهم عدوهم، وأخذوا بعض ما كان في أيديهم، ولم يحكم[1] أئمتهم بكتاب اللَّه إلا جعل اللَّه بأسهم بينهم». قال ثم أمر عبد الرحمن يتجهز لسرية أمره عليها، فأصبح قد اعتم بعمامة كرابيس سوداء، فدعاه النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فنقضها، فعممه[2] وأرسل من خلفه أربع أصابع ثم قال: «هكذا يا ابن عوف فاعتم. فإنه أعرب وأحسن» ثم أمر النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بلالًا أن يدفع إليه اللواء، فحمد اللَّه، ثم قال: «اغزوا جميعًا في سبيل اللَّه، فقاتلوا من كفر باللَّه، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، فهذا عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وسنته فيكم».

هذا حديث حسن.

ومنها: الإخبار بأنه سيأتي قوم يخضبون بالسواد

قال الإمام النسائي رحمه اللَّه (ج ٨ ص: ١١٩): أخبرنا عبد الرحمن بن عبيد اللَّه الحلبي، عن عبيد اللَّه وهو ابن عمرو، عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه أنه قال: «قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان، كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة».

---

(١) في «المستدرك» وما لم يحكم، وهو أظهر في السياق.
(٢) في «المستدرك» بعمامة بيضاء: وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك.

هذا الحديث أخرجه أبو داود، وقد ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، ظانًّا أن عبد الكريم هو ابن أبي المخارق. وعبد الكريم هو ابن مالك الجزري، كما بينه الحافظ ابن حجر في «القول المسدد في الذب عن مسند أحمد».

الحديث سنده صحيح. والحديث يدل على تحريم الخضاب بالسواد.

ولنا رسالة في هذا العنوان (تحريم الخضاب بالسواد).

ومنها: الإخبار بمن يتأكل بالقرآن

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ٣ ص: ٥٨): حدثنا وهب بن بقية، أخبرنا خالد عن حميد الأعرج، عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد اللَّه قال: خرج علينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والعجمي. فقال: «اقرءوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح. يتعجلونه[١] ولا يتأجلونه».

الحديث صحيح على شرط مسلم.

قال أبو داود (ج ٣ ص: ٥٩): حدثنا أحمد بن صالح أخبرنا عبد اللَّه بن وهب أخبرني عمرو وابن لهيعة عن بكر بن سوادة، عن وفاء بن شريح الصدفي، عن سهل بن سعد الساعدي قال: خرج علينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يومًا ونحن نقترئ، فقال: «الحمد للَّه، كتاب اللَّه واحد، وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض، وفيكم الأسود. اقرأه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله».

---

(١) هذا الحديث، يعد علمًا من أعلام النبوة، فقد وجد أقوام يتأكلون بالقرآن.

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا وفاء بن شريح، وهو أيضًا مستور الحال، لكنه في الشواهد كما ترى، وأما ابن لهيعة، فهو مقرون بعمرو وهو ابن الحارث المصري.

ومنها: الإخبار بالفرقة القرآنية الضالة

قال الإمام أبو داود رحمه اللَّه (ج ١٢ ص: ٣٥٤): حدثنا عبد الوهاب بن نجدة، أخبرنا أبو عمرو بن كثير بن دينار، عن حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عوف عن المقدام بن معديكرب، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «**ألا** إني أوتيت الكتاب ومثله معه، **ألا** يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه. وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه»[(١)].

عبد الرحمن بن أبي عوف مستور الحال يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات، والحديث له شواهد، منها الذي بعده، على أنه قد تابعه الحسن بن جابر اللحمي، كما عند الترمذي، وهو مستور الحال **فالحديث حسن لغيره**.

قال أبو داود رحمه اللَّه (ج ١٢ ص: ٣٥٦): حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبد اللَّه بن محمد النفيلي قالا: أخبرنا سفيان. حدثنا أحمد بن حنبل

---

(١) **هذا الحديث وأمثاله** من السنن المتكاثرة بل والقرآن العظيم ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.
هذه الأدلة تدفع الحديث الباطل: «إذا أتاكم .. الحديث عني فاعرضوه على كتاب اللَّه، فإن وافق كتاب اللَّه، فهو مني، وإن لم يوافق فليس مني ولم أقله».
قال عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن معين: إن هذا الحديث من الأحاديث التي وضعتها الزنادقة ليردوا به السنن.

وعبد اللَّه بن محمد النفيلي وابن كثير ، قالوا : حدثنا سفيان عن أبي النضر ، عن عبيد اللَّه بن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته ، يأتيه الأمر مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب اللَّه اتبعناه »[١] .

ومنها : الإخبار بظهور الطائفة المنصورة إلى أن يأتيهم أمر اللَّه

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٦٣٢) : حدثنا الحميدي ، حدثنا الوليد ، قال : حدثني ابن جابر قال : حدثني عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر اللَّه ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم . حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم على ذلك » .

قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ وهم بالشام . فقال معاوية هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول وهم بالشام .

رواه مسلم (ج ٣ ص : ١٥٢٤) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ١٣٢) : حدثنا عبد اللَّه بن أبي الأسود ، حدثنا يحيى عن إسماعيل ، حدثنا قيس ، سمعت المغيرة بن شعبة عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يزال ناس من أمتي حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم ظاهرون » .

رواه مسلم (ج ٣ ص : ١٥٢٣) .

---

(١) **في هذين الحديثين** دليل على ضلال الطائفة الملحدة ، التي تسمى بالقرآنية ، وهم الفرماوية بمصر . وكذا الطائفة الضالة القرآنية بالهند ، وليسوا من القرآن في شيء ، بل هم المعطلون لشرع اللَّه المتلاعبون بدينه .

والمراد بأمر الله هنا : الريح الباردة التي تقبض أرواح المؤمنين . وبعدها تقوم الساعة ، كما في « **صحيح مسلم** » . وسنذكره إن شاء الله بعد الحديث هذا ؛ لأن له صلة بهذا الباب . والحمد لله .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج٣ ص: ١٥٢٤) : حدثني أحمد بن عبد الرحمن ابن وهب ، حدثنا عمي عبد الله بن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، حدثني عبد الرحمن بن شماسة المهري قال : كنت عند مسلمة بن مخلد ، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، هم شر من أهل الجاهلية ، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم . فبينا هم على ذلك ، أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة : يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله . فقال عقبة : هو أعلم . وأما أنا فسمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » . فقال عبد الله : أجل . « ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك مسها مس الحرير ، فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان ، إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة » .

قال مسلم رحمه الله (ج٣ ص: ١٥٢٣) : حدثنا سعيد بن منصور ، وأبو الربيع العتكي ، وقتيبة بن سعيد ، قالوا : حدثنا حماد (وهو ابن زيد) ، عن أيوب عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » .

وليس في حديث قتيبة : « **وهم كذلك** » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٣ ص: ١٥٢٤) وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ أنه قال: «لن يبرح هذا الدين قائمًا، يقاتل عليه عصابة من المسلمين، حتى تقوم الساعة».

وقال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٣ ص: ١٥٢٤): حدثني هارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر. قالا: حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة».

قال الإمام الترمذي رحمه الله (ج ٦ ص: ٤٣٣): حدثنا محمد بن غيلان، أخبرنا أبو داود، أخبرنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا فسد أهل الشام، فلا خير فيكم. لا تزال طائفة من أمتي منصورين. لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة».
قال محمد بن إسماعيل: قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

وفي الباب؛ عن عبد الله بن حوالة وابن عمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو، هذا حديث حسن صحيح.

قال أبو داود رحمه الله (ج ٧ ص: ١٦٢): حدثنا موسى بن إسماعيل، أخبرنا حماد عن قتادة، عن مطرف عن عمران بن حصين، قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال».

الحديث على شرط مسلم.

قال البخاري رحمه الله في «التاريخ الكبير» (ج ٤ ص: ٧٠): حدثنا عبدالله بن يوسف، نا عبد الله بن سالم[1]، نا إبراهيم بن سليمان الأفطس[2]، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير أخبرني سلمة بن نفيل السكوني. قال: دنوت من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى كادت ركبتاي تمسان فخذه. فقلت: يا رسول الله سيئ بالخيل وألقي السلاح وزعموا أن لا قتال. قال: «كذبوا الآن جاء القتال لا تزال من أمتي أمة قائمة عل الحق ظاهرين على الناس يزيغ الله قلوب قوم، فيقاتلوهم لينالوا منهم»، قال وهو مول ظهره إلى اليمن: «إني لأجد نفس الرحمن من هاهنا، ولقد أوحي إلي أني مكفوت غير ملبث وتتبعوني أفذاذًا، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها».

هذا حديث صحيح وقد أخرجه أحمد في «مسنده» (ج ٤ ص: ١٠٤).

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص: ٤٢٩): ثنا بهز، ثنا حماد بن سلمة، أنا قتادة، عن مطرف، عن عمران بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام» ا.هـ.

ومن عجب؛ تكالب أهل الشر في زمننا هذا على هذه الطائفة المنصورة: فذاك في السجن، وذاك مضيق عليه لا يستطيع أن يقول ما يراه حقًّا، وذاك مهدد بالقتل، **ومع هذا**؛ فقد أرعبت أعداء الإسلام وأذهلتهم اليقظة الإسلامية، هم يعملون على القضاء عليها وهي في ازدياد ويأبى الله إلَّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

---

(١) **هو الوحاظي**، ثقة.

(٢) **وإبراهيم بن سليمان الأفطس ثقة أيضًا**. السند مسلسل بالشاميين.

ومنها : الإخبار بأن بعض الأمة سيستحل بعض المحرمات

قال البخاري رحمه الله (ج ١٠ ص: ٥١) : وقال هشام بن عمار : حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثنا عطية بن قيس الكلابي ، حدثنا عبد الرحمن بن غنم الأشعري . قال : حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري ، والله ما كذبني سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير ، والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غدًا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» .

ومنها : الإخبار عن رفع الأمانة

قال البخاري رحمه الله (ج ١١ ص: ٣٣٣) : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، حدثنا حذيفة ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر :

حدثنا : أن الأمانة نزلت في جذور قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها ، قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها ، مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا ، وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم[1] يؤدي الأمانة فيقال : إن في بني فلان

---

(١) **هذا يعد علمًا من أعلام النبوة** ، ومن خالط الناس وعاملهم عرف ذلك .

رجلًا أمينًا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلمًا رده علي الإسلام، ولئن كان نصرانيًا رده علي ساعيه. فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا.

الحديث رواه مسلم (ج ٢ ص: ١٦٧) مع النووي.

ومنها: الإخبار عن النساء الكاسيات العاريات

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٣ ص: ١٦٨٠): حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة. قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس بها، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

قال البخاري رحمه اللَّه تعالى (ج ١٣ ص: ٢٠): حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري.

(ح) وحدثنا إسماعيل، حدثني أخي، عن سليمان بن بلال، عن محمد ابن أبي عتيق، عن ابن شهاب، عن هند بنت الحارث الفراسية، أن أم سلمة زوج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قالت: استيقظ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ليلة فزعًا يقول: «سبحان اللَّه ماذا أنزل اللَّه من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكي يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».

ومنها : الإخبار بتدهور حال المسلمين إذا وقعوا في الربا وآثروا الدنيا على الآخرة

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص: ٢٨) : ثنا الأسود بن عامر، أنا أبو بكر، عن الأعمش، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إذا - يعني - ضن الناس بالدينار والدرهم تبايعوا بالعين واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

هذا الحديث : رجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش مدلس، ولم يصرح بالتحديث لكن الحديث له طرق أخرى كما في « **سنن أبي داود** » (ج ٣ ص: ٧٤٠)، و « **مسند أحمد** » (ج ٢ ص ٤٢ و ص ٨٤) من غير طريق الأعمش وقد ذكرت بعضها في « **الصحيح المسند من دلائل النبوة** » الطبعة الثانية .

وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهذه البنوك الربوية أدخلت على المسلمين الذل والفقر وجميع أصناف الفتن والمصائب وصدق الله إذ يقول : ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ ويقول مبينًا أن الفلاح في ترك الربا ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

ومنها : إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن عاقبة المكثرين من التعامل بالربا إلى قِلٍّ

وفي الكتاب العزيز ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ .

قال الإمام أبو عبد الله بن ماجه (ج ٢ ص : ٧٦٥) : حدثنا العباس بن جعفر ، ثنا عمرو بن عون ، ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن إسرائيل عن الركين[1] بن الربيع بن عميلة ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : «ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح ، إلا عباس بن جعفر ، وقد وثقه ابن أبي حاتم كما في « **تهذيب الكمال** » ، وقال أبو حاتم : صدوق ، وقال : عبد الله بن إسحاق المدائني ، حدثنا عباس بن أبي طالب وكان ثقة ا.هـ .

وعباس بن أبي طالب : هو عباس بن جعفر .

والحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص : ٣٩٥) فقال : حدثنا حجاج ، ثنا شريك ، عن الركين بن الربيع به (وص ٤٢٤) فقال : ثنا أبو كامل ، ثنا شريك عن الركين به ثم ذكر أبو كامل أن شريكًا أمسك عن رفعه ، ولا يضر هذا فالحديث عند ابن ماجه من غير طريق شريك ، **وهو صحيح** .

إخباره : صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن رعاة الإبل سيتطاولون في البنيان

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج ١ ص : ١١٤) : حدثنا مسدد قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم . قال : أخبرنا أبو حيان التيمي ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بارزًا يومًا للناس فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث » . قال : ما الإسلام ؟ قال : « الإسلام أن

(١) في « **الأصل** » دكين ، والصواب ما أثبتناه .

تعبد اللَّه، ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: متى الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا اللَّه»، ثم تلا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ﴿إن اللَّه عنده علم الساعة﴾ الآية ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئًا فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم».

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٣٩، ٤٠).

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ١ ص: ٣٦): حدثني أبو خيثمة (زهير بن حرب)، حدثنا وكيع، عن كهمس، عن عبد اللَّه بن بريدة، عن يحيى بن يعمر.

(ح) وحدثنا عبيد اللَّه بن معاذ العنبري، وهذا حديثه حدثنا أبي، حدثنا كهمس، عن أبي بريدة، عن يحيى بن يعمر. قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين. فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد اللَّه بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل اللَّه منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ذات

يوم إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم) ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا » . قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : أخبرني عن الإيمان . قال : « أن تؤمن باللَّه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان . قال : « أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » . قال : فأخبرني عن أمارتها . قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » . قال ثم انطلق فلبثت مليًا ثم قال لي : « يا عمر أتدري من السائل ؟ » قلت : اللَّه ورسوله أعلم قال : « إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

ومنها : الإخبار بالتطاول في البنيان

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١٣ ص ٨١) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول اللَّه ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم

المال حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه[1]. **وذكر الحديث**.

ومنها : الإخبار بأن أمته ستقلد فارس والروم

قال البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص ٣٠٠): حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع»، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك».

إخباره : صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن أمته ستتبع اليهود والنصارى

قال البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص: ٣٠٠): حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا أبو عمر الصنعاني، من اليمن، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!!».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٥٤).

---

(١) **أخرجه مسلم مفرقًا**، وأخرج منه قوله وحتى يمر الرجل الحديث (ج ٤ ص: ٢٢٣١). ولا يخفى عليك بأن الترجمة الأولى مقيدة برعاء الإبل، والثانية مطلقة فلا تكرار.

ومنها : الإخبار بهلاك العرب إذا كثر الخبث

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٦ ص ٦١١) : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان حدثتها عن زينب بنت جحش أن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم دخل عليها فزعًا يقول : « لا إله إلا اللّٰه ويل للعرب من شر قد اقترب : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا . وحلق بأصبعه وبالتي تليها » . فقالت زينب : فقلت : يا رسول اللّٰه أنهلك وفيها الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثر الخبث » . وعن الزهري حدثتني هند بنت الحارث أن أم سلمة قالت : استيقظ النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقال : « سبحان اللّٰه ماذا أنزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن » .

حديث زينب رضي اللّٰه عنها أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٢٠٧) .

ومنها : الإخبار برفع العلم وحدوث بعض الفتن

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ١٣ ص : ١٣) : حدثنا عياش بن الوليد ، أخبرنا عبد الأعلى ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم . قال : « يتقارب الزمان وينقص العمل ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج » قالوا : يا رسول اللّٰه أيما هو . قال : « القتل القتل » .

وأخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢٠٥٧) .

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ١٣ ص : ١٣) : حدثنا مسدد حدثنا عبيد اللّٰه ابن موسى ، عن الأعمش ، عن شقيق . قال : كنت مع عبد اللّٰه وأبي موسى .

فقالا: قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج. والهرج: القتل».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٠٥٦).

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٦ ص: ٢٦): ثنا علي بن بحر، قال: ثنا محمد بن حمير الحمصي، قال: حدثني إبراهيم بن أبي عبلة عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، قال: ثنا جبير بن نفير، عن عوف بن مالك، أنه قال بينما نحن جلوس عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ذات يوم فنظر في السماء ثم قال: «هذا أوان العلم أن يرفع» فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: أيرفع العلم يا رسول اللَّه وفينا كتاب اللَّه وقد علمناه أبناءنا ونساءنا؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن كنت لأظنك من أفقه أهل المدينة»، ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين، وعندهما ما عندهما من كتاب اللَّه عز وجل، فلقي جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى فحدثه هذا الحديث، عن عوف بن مالك فقال: صدق عوف، ثم قال: وهل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت لا أدري قال: ذهاب أوعيته. قال وهل تدري أي العلم أول أن يرفع؟ قال: قلت لا أدري، قال: الخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعًا.

حديث صحيح رجاله ثقات وهو مسلسل بالشاميين إلا شيخ الإمام أحمد فبغدادي.

تنبيـــه :

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه اللَّه في كتابه «مشكل الآثار» (ج ١ ص : ١٢٤) مجيبًا على إشكال رفع العلم في زمان النبوة قال رحمه اللَّه : جوابنا له في ذلك أن هذا الحديث من أحسن الأحاديث وأصحها ، وأن الذي فيه من نظر النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلى السماء ، ومن قوله عند ذلك هذا أوان يرفع فيه العلم ، إنما هو إشارة منه إلى وقت يرفع فيه العلم ويجوز أن يكون هذا إلى وقت يكون بعده ؛ لأن هذا إنما هو كلمة يشار بها إلى الأشياء من ذلك قوله تعالى : ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ ليس يومكم فيه يوم أنزل ذلك على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . ﴿هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ﴾ ليس على شيء من يوم قيل له ذلك في أمثال لهذا كثيرة في القرآن فمثل ذلك ما في حديث عوف قد يحتمل أن يكون رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لما نظر إلى السماء أرى فيها الزمان الذي يرفع فيه العلم فقال ما قال من أجل ذلك ا.هـ. **المراد منه** .

ومنها : الإخبار بالملوك والرؤساء الجاهلين

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١ ص : ١٩٤) : حدثنا إسماعيل بن أبي أويس . قال : حدثني مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن اللَّه لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

قال الفربري : حدثنا عباس قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير عن هشام نحوه .

وأخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٥٨) .

ومنها : الإخبار بأن أهل البلاد التي فتحت سيمنعون الخراج

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٢٢٠) : حدثنا عبيد بن يعيش وإسحاق ابن إبراهيم، واللفظ لعبيد قالا : حدثنا يحيى بن آدم بن سليمان مولى خالد ابن خالد، حدثنا زهير، عن سهل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر أردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم ». شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه.

● **قال أبو عبد الرحمن :**

فيه علامتان من علامات النبوة :

الأولى : أن هذه البلدان سيفتحها المسلمون.

الثانية : أن أهلها سيؤدون خراجًا للمسلمين ثم يمنعونه.

ومنها : الإخبار بمنع أهل الذمة الجزية

قال البخاري رحمه الله (ج٦ ص : ٢٨٠) قال أبو موسى : حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا إسحاق بن سعيد : عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كيف أنتم إذا لم تجتبوا دينارًا ولا درهمًا. فقيل : وكيف ترى ذلك كائنًا يا أبا هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا : عم ذلك قال : تنتهك ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم.

ومنها : الإخبار بعدم مبالاة كثير من المسلمين من أين دخل عليهم المال

قال البخاري رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٩٦) : حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب، حدثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام».

ومنها : الإخبار بخروج نار من أرض الحجاز

قال البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص: ٧٨) : حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، أخبرني أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى».

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ٢٢٢٧).

● **قال الحافظ في «الفتح»** (ج ١٣ ص: ٧٩) :

قال القرطبي في «التذكرة»: قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة، الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة، فسكنت، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة، ترى في صورة البلد العظيم، عليها سور محيط، عليه شراريف وأبراج ومآذن، وترى رجال يقودونها، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته. ويخرج من مجموع ذلك، مثل النهر أحمر وأزرق، له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور بين يديه، وينتهي إلى محط

الركب العراقي . واجتمع من ذلك ردم كالجبل العظيم ، فانتهت النار إلى قرب المدينة . ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر . وقال لي بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام . وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى .

وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام .

وقال أبو شامة في « ذيل الروضتين » : وردت في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين ، كتب من المدينة الشريفة ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها ، فيه تصديق لما في « **الصحيحين** » . فذكر هذا الحديث .

قال : فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها : أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب . فمن الكتب .. فذكر نحو ما تقدم ، **ومن ذلك أن في بعض الكتب** : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة في شرقي المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار ، حتى حاذى جبل أحد . **وفي كتاب آخر** : انبجست الأرض من الحرة بنار عظيمة ، يكون قدرها مثل مسجد المدينة ، وهي برأي العين من المدينة ، وسال منها واد يكون مقداره أربع فراسخ ، وعرضه ، أربع أميال ، يجري على وجه الأرض ، ويخرج منه مهاد وجبال صغار : **وفي كتاب آخر** : ظهر ضوؤها إلى أن رأوها من مكة . قال : ولا أقدر أصف عظمها ، ولها دوي .

قال أبو شامة : ونظم الناس في هذا أشعارًا ، ودام أمرها أشهرًا ثم خمدت .

● **وذكر الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية »** (ج ٦ ص : ٢٦٠) عن أبي شامة نحو ما ذكره الحافظ ابن حجر . إلى أن قال : وقد قال قائلهم في ذلك :

يا كاشف الضر صفحًا عن جرائمنا ... فقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خطوبًا لا نطيق لها ... حملًا ونحن بها حقًّا أحقاء
زلزال تخشع الصم الصلاد لها ... وكيف تقوى على الزلزال صماء
أقام سبعًا يرج الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض إرساء
يرى لها شرر كالقصر طائشة ... كأنها ديمة تنصب هطلاء
تشق منها قلوب الصخر إن زفرت ... رعبًا وترعد مثل الشهب أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان إلى ... أن عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثرت سعفة في البدر لفحتها ... فليلة التمّ بعد النور ليلاء
فيا لها آية من معجزات رسو ... ل اللَّه يعقلها القوم الألباء

● قال: ومما قيل في هذه النار مع غرق بغداد في هذه السنة:

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما ... أحرق أرض الحجاز بالنار ا.هـ.

ومنها: الإخبار بأن أرض العرب ستعود مروجًا وأنهارًا

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ٢ ص: ٧٠١): وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب وهو ابن عبد الرحمن القاري، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال، ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله، فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود[1] أرض العرب مروجًا وأنهارًا».

---

(١) الذي قد وقع الآن وقوع أرض العرب مروجًا وأنهارًا.

إخباره صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن أمور ستقع من أمته فوقعت

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٢ ص : ٣٣٨) : ثنا يونس وسريج قالا : ثنا فليح ، عن سعيد بن عبيد بن السباق ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « قبل الساعة سنوات خداعة يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، وينطق فيها الرويبضة » .

قال سريج : ونطق فيها الرويبضة .

الحديث حسن لغيره ؛ لأن فليحًا وهو ابن سليمان صدوق كثير الخطأ ؛ لكنه سيأتي من حديث أنس إن شاء اللَّه .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص : ٢٢٠) : ثنا أبو جعفر المدائني وهو محمد بن جعفر ثنا عباد بن العوام ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إن أمام الدجال سنين خداعة يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويتكلم فيها الرويبضة » قيل : وما الرويبضة ؟ قال : « الفويسق يتكلم في أمر العامة » .

ثنا عثمان بن أبي شيبة قال أبو عبد الرحمن (وهو عبد اللَّه ابن الإمام أحمد) وسمعته أنا من عثمان قال : حدثني عبد اللَّه بن إدريس عن محمد بن إسحاق ، عن عبد اللَّه بن دينار قال : سمعت أنس بن مالك قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن بين يدي الساعة سنين » . **فذكر الحديث** .

حديث حسن، ومحمد بن إسحاق وإن كان مدلسًا. ولم يصرح بالتحديث عن عبد الله بن دينار، فقد صرح به عند البزار كما في «**مجمع الزوائد**» (ج٧ ص ٢٨٤) وقد تقدم من حديث أبي هريرة فيتقوى به حديث أنس، **ويرتقي إلى الصحيح لغيره**.

ومنها: الإخبار أنه سيأتي زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شي قتل

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص: ٢٢٣١): وحدثنا ابن أبي عمر المكي، حدثنا مروان، عن يزيد - وهو ابن كيسان - عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل».

وحدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، وواصل بن عبد الأعلى قالا: حدثنا محمد بن فضيل، عن أبي إسماعيل الأسلمي، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل، ولا المقتول فيما قتل» فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «الهرج، القاتل والمقتلول في النار».

وفي رواية ابن أبان قال: هو يزيد بن كيسان عن أبي إسماعيل، لم يذكر الأسلمي.

● **وقد وقع هذا**؛ فأخبرني من أثق به أنه لمَّا وقعت **فتنة عدن**، التي دمر الله عليهم بها، أن بعض الشباب، وهم في حال القتال، يقول بعضهم لبعض:

مع من نحن ، وأن بعضهم أصيب برصاصة فتساحب على بطنه حتى وصل إلى جماعة ، فإذا هو يقول : **أين إسرائيل ؟** ، **ذلك لأن الحزب الشيوعي** ، لعنه اللَّه ، لما رأى أنه قد أحيط به ، **كذب على الجنود وقال** : إسرائيل احتلت البلاد ، والحمد للَّه لم تزل الشيوعية في نكبة بعد تلك الوقعة .

ومنها : الإخبار عن دعاة من العرب يدعون إلى النار

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٦١٥) : حدثنا يحيى بن موسى ، حدثنا الوليد قال : حدثني ابن جابر ، قال : حدثني بسر بن عبيد اللَّه الحضرمي قال : حدثني أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ؛ مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول اللَّه إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا اللَّه بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال : « نعم » . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال : « نعم ، وفيه دخن » . قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم ، وتنكر » . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » قلت : يا رسول اللَّه ، صفهم لنا ، فقال : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ، ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ؛ ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك » .

حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثني يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل ، حدثني قيس ، عن حذيفة رضي اللَّه عنه . قال : تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر .

وأخرجه مسلم (ج ٣ ص : ١٤٧٥) .

فدعاة العروبة، والقومية، والبعثية، والناصرية، من دعاة النار؛ بل ومن العرب من يدعو إلى الشيوعية كما في عدن، وغيرها من البلاد العربية، فأولئكم من دعاة النار.

ومنها: الإخبار عن التباهي في المساجد

قال الإمام أبو داود (ج ٢ ص ١٨): حدثنا محمد بن عبد اللَّه الخزاعي، حدثنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس، وقتادة، عن أنس، أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المسجد».

حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا شيخ أبي داود وهو ثقة.

وقد وقع ما أخبر به النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

● ولقد أحسن الشيخ محمد بن سالم البيحاني إذ يقول:

أما المساجد فهي اليوم عامرة	كأنها من قصور الفرس والروم
ترى على الباب والمحراب زخرفة	تلهيك عن كل منطوق ومفهوم
ولا يصلي بها إلا مؤذنها	أو الإمام ولكن دُون مأموم
وإن رأيت صفوفًا في مساجدنا	فمن فقير ومسكين ومحروم

هذا ما عبر به في عصره رحمه اللَّه، وقد رأينا هذا وشاهدناه، أما الآن؛ فالحمد للَّه إننا نرى الشباب يملئون المساجد، ولو سلموا من بعض الملهيات، **كالكرة، والتليفزيون**، وغيرها من الألاعيب، **وعندنا باليمن زيادة على هذا**: الشجرة الأثيمة، وهي شجرة **القات**، عجل اللَّه بزوالها، لو سلم الشباب من هذه لرأيت المساجد مملوءة.

ومنها : الإخبار بأنه لا يأتي زمان إلَّا والذي بعده شر منه

قال البخاري رحمه الله (ج ١٣ ص : ١٩) : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك ، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه ، حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

وهذا العموم مخصوص بزمن عمر بن عبد العزيز وبزمن المهدي وما شابههما . واللَّه أعلم .

فعلى هذا ؛ فلا مجال لبعض المخذولين ، الذين يظنون أنهم يحسنون صنعًا ؛ لا مجال لهم للطعن في هذا الحديث ؛ **فهو صحيح** من قبل أن يُخلقوا ، ومن بعد ، والحمد للَّه .

ومنها : الإخبار بأن القوي يأكل الضعيف

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٦ ص : ٨١) : ثنا هاشم قال : ثنا إسحاق ابن سعيد ، عن أبيه ، عن عائشة قال : دخل علي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وهو يقول : « يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقًا » قالت : فلما جلس قلت : يا رسول اللَّه جعلني اللَّه فداك ، لقد دخلت وأنت تقول كلامًا ذعرني قال : « وما هو ؟ » قالت : تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقًا ؟ قال : « نعم » . قالت : ومم ذاك ؟ قال : « تستحليهم المنايا ، وتنفس عليهم أمتهم » قالت : فقلت : فكيف الناس بعد ذلك ، أو عند ذلك قال : « دبي يأكل شداده ضعافه ، حتى تقوم عليهم الساعة » .

قال أبو عبد الرحمن[1] : فسره رجل : هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين رحمهما الله ، وإسحاق بن سعيد هو إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص كما جاء في « **مسند أحمد** » (ج٦ ص ٩٠) ، وهو وأبوه من رجال الشيخين[2] .

ومنها : الإخبار بأن عرى الإسلام ستنقض عروة عروة

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٢٣٢) : حدثنا هيثم بن خارجة ، ثنا ضمرة[3] ، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي فيروز الديلمي[4] ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لينقضن الإسلام عروة عروة كما ينقض الحبل قوة قوة »[5] .

حديث صحيح رجاله ثقات .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص : ٢٥١) : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله ، أن سليمان بن حبيب حدثهم ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لينقضن عرى الإسلام ، عروة ، عروة ؛ فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة » .

---

(١) **هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله .**

(٢) **وهذا وقع كما أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم :**
فالدول القوية تأكل الدول الضعيفة ، وتمتص خيراتها .
والدول الضعيفة تأكل شعوبها ، وتمتص خيراتها .
وأفراد المجتمع كما قيل : إن كنت ذئبًا وإلَّا أكلتك الذئاب ، ولن يحفظ لنا دماءنا ، وأموالنا ، وأعراضنا إلا الله ، ثم الإسلام .

(٣) هو ابن ربيعة .

(٤) هو عبد الله وليس بأخيه الضحاك .

(٥) **القوة** : الطاقة من طاقات الحبل ، والجمع قوي ا.هـ . « **نهاية** » .

حديث حسن، وعبد العزيز بن إسماعيل : قال أبو حاتم : ليس به بأس، كما في «**تعجيل المنفعة**» .

وهذا وقع كما أخبر النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم؛ فقد طغت القوانين الوضعية، والأسلاف، والأعراف، على شرع اللَّه واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اللَّه حكمًا لقوم يوقنون﴾. من أجل هذا فتحت عليهم الفتن، من كل حدب وصوب، وصدق اللَّه إذ يقول : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ .

وعسى أن يعتبر حكام المسلمين بما مضى، ويرجعوا إلى كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، اللذين فيهما الهدى، والخير، والسعادة، والأمن، والاطمئنان وفيما عداهما الشقاوة، والخوف، والقلق، والإزعاج : ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ .

ومنها : إخباره صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بكثرة الزلازل

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج ٢ ص ٥٣١) : حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب قال : أخبرنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن؛ ويكثر الهرج - وهو القتل القتل - حتى يكثر فيكم المال، فيفيض» .

قال الدارمي رحمه الله (ج ١ ص ٢٩) : حدثنا محمد بن المبارك ، ثنا معاوية ابن يحيى ، ثنا أرطاة بن المنذر ، عن ضمرة بن حبيب قال : سمعت سلمة السكوني ، وقال غير محمد : سلمة السكوني قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ قال قائل : يا رسول الله هل أتيت بطعام من السماء؟ قال : « نعم أتيت بطعام » قال : يا نبي الله ، هل كان فيه من فضل؟ قال : « نعم » قال : فما فعل به؟ قال : « رفع إلى السماء ، وقد أوحى إلي أني غير لابث فيكم إلا قليلًا ، ثم تلبثون حتى تقولوا : متى متى ، ثم تأتوني أفنادًا ، يفني بعضكم بعضًا بين يدي الساعة ، موتان شديد ، وبعده سنوات الزلازل » .

هذا حديث حسن .

وقد ذكر الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في كتابه « المدهش » كثيرًا من الزلزال الذي وقع بعد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وحدث بعد ابن الجوزي كثير أيضًا ، وكثر الزلزال في عصرنا هذا ، ولكن أعداء الإسلام يحاولون أن يصرفوا المسلمين عن العبر ، فذاك يسميه بركانًا وذاك يسميه حوادث طبيعية ، ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا ﴾ .

الإخبار بأن جماعة من أهل الجنة ؛ فلم ينقل أنهم غيروا ، أو بدلوا

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص : ٦٢٠) : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا أزهر بن سعد ، حدثنا ابن عون قال : أنبأني موسى بن أنس ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم افتقد ثابت بن

قيس فقال رجل : يا رسول اللّه أنا أعلم لك علمه ، فأتاه ، فوجده جالسًا في بيته ، منكسًا رأسه ، فقال : ما شأنك؟ فقال : شر ؛ كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فقد حبط عمله ، وهو من أهل الأرض[١] ، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا ، فقال موسى بن أنس : فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة . فقال : « اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة »[٢] .

قال البخاري رحمه اللّه (ج ٧ ص : ٢١) : حدثنا محمد بن مسكين أبو الحسن ، حدثنا يحيى بن حسان ، حدثنا سليمان ، عن شريك بن أبي نمر ، عن سعيد بن المسيب قال : أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ، ثم خرج فقلت : لألزمن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، ولأكونن معه يومي هذا ، قال : فجاء المسجد ، فسأل عن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فقالوا : خرج ووجه ها هنا ، فخرجت على إثره أسأل عنه ، حتى دخل بئر أريس ، فجلست عند الباب ، وبابها من جريد ، حتى قضى رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم حاجته فتوضأ ، فقمت إليه ، فإذا هو جالس على بئر أريس ، وتوسط قفها ، وكشف عن ساقيه ، ودلاهما في البئر ، فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت : لأكونن بواب رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر فدفع الباب ، فقلت : من هذا؟ فقال : أبو بكر . فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول اللّه هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : « ائذن له ، وبشره بالجنة » فأقبلت حتى قلت لأبي بكر : ادخل ، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم

(١) **كذا في الطبعة السلفية ، والطبعة الحلبية مع « الفتح »** ، وفي بعض طرق الحديث أنه قال : « وهو من أهل النار » .

(٢) قتل ثابت بن قيس رضي اللّه عنه يوم اليمامة شهيدًا ، كما في « **البداية والنهاية** » (ج ٦ ص : ٣٣٩) .

يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم معه في القف، ودلى رجليه في البئر، كما صنع النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم، وكشف عن ساقيه، ثم رجعت، فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ، ويلحقني، فقلت: إن يرد اللّٰه بفلان خيرًا - يريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: «ائذن له، وبشره بالجنة» فجئت فقلت: ادخل، وبشرك رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم بالجنة، فدخل، فجلس مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم في القف عن يساره، ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت، فجلست فقلت: إن يرد اللّٰه بفلان خيرًا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فأخبرته، فقال: «ائذن له، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»، فجئته فقلت له: ادخل، وبشرك رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل، فوجد القف قد مليء فجلس وجاهه من الشق الآخر.

قال شريك بن عبد اللّٰه: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم.

أخرجه مسلم (ج ٤ ص: ١٨٦٧).

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٧ ص: ٤٠): حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا عبد العزيز بن الماجشون، حدثنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنهما قال: قال النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء، امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة فقلت:

من هذا؟ فقال: هذا بلال ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت لمن هذا؟ فقال لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك»، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول اللّٰه، أعليك أغار؟.

أخرجه مسلم في «مناقب عمر» (ج ٤ ص: ١٨٦٣) ما يختص بعمر.

قال مسلم رحمه اللّٰه (ج ٤ ص: ١٩٠٨): وحدثنا ابن أبي عمر، حدثنا بشر، يعني: ابن السري، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم. قال: «دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان، أم أنس بن مالك».

قال مسلم رحمه اللّٰه (ج ٤ ص: ١٩٠٨): حدثني أبو جعفر، محمد بن الفرج، حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني عبد العزيز بن أبي سلمة، أخبرنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد اللّٰه، أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال: «أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة، ثم سمعت خشخشة أمامي، فإذا بلال».

ثم رأيت ابن أبي حاتم في «**العلل**» (ج ٢ ص: ٣٩٦) يقول: إنه سأل أباه عن هذا الحديث فقال: روى هذا الحديث سعيد بن سلمة بن أبي الحسام المديني، عن ابن المنكدر، عن بسر بن سعيد عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: **مرسل** وقال: هو الصحيح.

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٧ ص ٤٠): حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا الليث قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي اللّٰه عنه قال: بينا نحن عند رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب

قصر، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر، فذكر غيرته، فوليت مدبرًا»، فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله.

أخرجه مسلم (ج ٤ ص١٨٦٣).

قال الإمام محمد بن حبان رحمه الله، كما في «**الموارد**» (ص٥٣٧): أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا أبو نصر التمار[1]، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا لفتى من قريش، فظننت أنه لي، فقلت من هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب».

«يا أبا حفص لولا ما أعلم من غيرتك لدخلته». فقال: يا رسول الله من كنت أغار عليه فإني لن أغار عليك.

هذا حديث صحيح.

قال الترمذي رحمه الله (ج١٠ ص١٧٤): حدثنا الحسين بن حريث أبو عمار المروزي، أخبرنا علي بن حسين بن واقد قال: حدثني أبي قال: حدثني عبد الله بن بريدة قال: حدثني أبي بريدة قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدعا بلالًا، فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع، مشرق، من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب. فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. فقلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز ثقة.

قالوا : لرجل من أمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم. فقلت : أنا محمد ، لمن هذا القصر؟ قالوا : لعمر بن الخطاب » فقال بلال : يا رسول اللَّه ، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ، ورأيت أن للَّه علي ركعتين. فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « بهما ».

إلى أن قال الترمذي : هذا حديث حسن ، صحيح ، غريب.

ومعنى هذا الحديث : أني دخلت الجنة البارحة ، يعني رأيت في المنام كأني دخلت الجنة ، هكذا روي في بعض الحديث.

ويروى عن ابن عباس أنه قال : رؤيا الأنبياء وحي ا.هـ.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٧ ص ٢٢) : حدثني محمد بن بشار ، حدثنا يحيى ، عن سعيد ، عن قتادة أن أنس بن مالك ، رضي اللَّه عنه حدثهم أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم صعد أحدًا ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فرجف بهم ، فقال : « اثبت أحد ، فإنما[1] عليك نبي وصديق وشهيدان ».

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ٤ ص ١٨٨٠) : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز ، يعني ابن محمد ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان على حراء ، هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « اهدأ فما عليك إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد ».

حدثنا عبيد اللَّه بن محمد بن يزيد بن خنيس ، وأحمد بن يوسف الأزدي ، قالا : حدثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن يحيى بن

---

(١) في الطبعة السلفية : فإن عليك نبي ... إلخ ، والصحيح ما أثبتناه ، كما في الطبعة الحلبية (ج ٨ ص ٣٨).

سعيد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كان على جبل حراء، فتحرك، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اسكن حراء! فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد»، وعليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم.

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص ١٢٨): حدثنا عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكًا يحدث عن أبي النضر، مولى عمر بن عبيد الله، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ الآية. قال: لا أدري[1] قال مالك الآية أو في الحديث.

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص ١٢٩): حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أزهر السمان، عن ابن عون، عن محمد، عن قيس بن عباد، قال: كنت جالسًا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم خرج وتبعته، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة، قال: والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لما ذاك؛ رأيت رؤيا على عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقصصتها عليه، ورأيت كأني في روضة، ذكر من سعتها، وخضرتها، وسطها عمود من حديد، أسفله في الأرض،

---

(١) القائل لا أدري هو: عبد الله بن يوسف، كما في «الفتح»، وهذا التردد يكون قادحًا في ثبوت نزول الآية في عبد الله بن سلام.

وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة فقيل لي: ارقه. قلت: لا أستطيع، فأتاني منصف، فرفع ثيابي من خلفي، فرقيت حتى كنت في أعلاه، فأخذت في العروة فقيل لي: استمسك، فاستيقظت، وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقال: «تلك الروضة: الإسلام، وذلك العمود: عمود الإسلام، وتلك العروة: عروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت»، وذلك الرجل عبد اللّٰه بن سلام.

وقال لي خليفة: حدثنا معاذ، حدثنا ابن عون، عن محمد، حدثنا قيس ابن عباد، عن ابن سلام قال: وصيف بدل منصف.

وأخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٩٣١).

قال الترمذي رحمه اللّٰه (ج ١٠ ص ٣٠٦): حدثنا قتيبة، أخبرنا الليث، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن يزيد بن عميرة قال: لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له: يا أبا عبد الرحمن أوصنا. قال: أجلسوني، فقال: إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما، وجدهما، يقول ذلك ثلاث مرات، والتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد اللّٰه بن مسعود، وعند عبد اللّٰه بن سلام، الذي كان يهوديًا فأسلم، فإني سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة».

وفي الباب عن سعد. هذا حديث حسن غريب.

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ١ ص ١٦٩): حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثني مالك، يعني ابن أنس، عن سالم أبي النضر، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت أبي يقول: ما سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول لحي من الناس يمشي أنه في الجنة إلا لعبد اللّٰه بن سلام.

حديث صحيح على شرط مسلم .

وقد تقدم أنه أخرجه البخاري .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ١٦٩) : ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة أنبأنا عاصم ابن بهدلة ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتي بقصعة ، فأكل منها ، ففضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يجيء رجل من هذا الفج ، من أهل الجنة ، يأكل هذه الفضلة » . قال سعد : وكنت تركت أخي عميرًا يتوضأ ، قال : فقلت : هو عمير . قال : فجاء عبد الله بن سلام فأكلها .

هذا حديث حسن .

وقال الحاكم (ج ٣ ص ٤١٦) : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٣١) : حدثنا قتيبة بن سعيد وإسحاق بن إبراهيم ، واللفظ لقتيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن سليمان بن مسهر ، عن خرشة بن الحر قال : كنت جالسًا في حلقة في مسجد المدينة قال : وفيها شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام قال : فجعل يحدثهم حديثًا حسنًا . قال : فلما قام قال القوم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا . قال : فقلت والله لأتبعنه فلأعلمن مكان بيته . قال فتبعته فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة . ثم دخل منزله . قال فاستأذنت عليه فأذن لي ، فقال ما حاجتك يا ابن أخي؟ قال : فقلت له سمعت القوم يقولون لك لما قمت : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ، فأعجبني أن أكون معك قال : الله أعلم بأهل الجنة ، وسأحدثك مم قالوا ذاك إني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي : قم . فأخذ

بيدي فانطلقت معه قال: فإذا أنا بجواد عن شمالي. قال فأخذت لآخذ فيها فقال لي: لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال. قال: فإذا جواد منهج على يميني فقال لي: خذ ها هنا فأتى بي جبلًا فقال لي: اصعد. قال فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على استي. قال حتى فعلت ذلك مرارًا. قال ثم انطلق بي حتى أتى بي عمودًا رأسه في السماء وأسفله في الأرض في أعلاه حلقة فقال لي: اصعد فوق هذا (ورأسه في السماء). فقلت: كيف أصعد هذا؟ قال: فأخذ بيدي فزجل. قال: فإذا أنا متعلق بالحلقة. قال ثم ضرب العمود فخر. قال وبقيت متعلقًا بالحلقة حتى أصبحت قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقصصتها عليه. فقال أما الطرق التي رأيت عن شمالك فهي من طرق أصحاب الشمال، وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين، وأما الجبل فهو منزل الشهداء، ولن تناله وأما العمود فهو عمود الإسلام، وأما العروة فهي عروة الإسلام، ولن تزال متمسكًا بها حتى تموت.

قال البخاري رحمه الله (ج ١٠ ص ١٥٥): حدثنا عمران بن ميسرة، حدثنا ابن فضيل، حدثنا حصين عن عامر[١]، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. فذكرته لسعيد بن جبير فقال: حدثنا ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «عرضت علي الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق. قيل: هذه أمتك، ويدخل

(١) قال الحافظ في «الفتح»: ثم وجدت في نسخة الصغاني: قال أبو عبد الله هو المصنف: إنما أردنا من هذا حديث ابن عباس والشعبي عن عمران مرسل.

الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب » ثم دخل ولم يبين لهم ، فأفاض القوم وقالوا : نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم ، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام ، فإنا ولدنا في الجاهلية ، فبلغ النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فخرج فقال : « هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون » . فقال عكاشة بن محصن : أمنهم أنا يا رسول اللَّه ؟ قال : « نعم » . فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ قال : « سبقك بها عكاشة » .

وأخرجه مسلم (ج ١ ص ١٩٩) .

قال البخاري رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٧٦) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « يدخل الجنة من أمتي زمرة ، هي سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر » فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه قال : ادع اللَّه لي يا رسول اللَّه أن يجعلني منهم ، فقال : « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول اللَّه ، ادع اللَّه لي أن يجعلني منهم ، فقال : « اللهم اجعله منهم » ، فقام آخر فقال : ادع اللَّه عز وجل أن يجعلني منهم ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « سبقك بها عكاشة » .

وأخرجه مسلم (ج ١ ص ١٩٧) .

قال أبو داود الطيالسي رحمه الله كما في « ترتيب المسند » (ج ٢ ص ١٥١) : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ابن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، عن عبد اللَّه بن مسعود أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « أريت الأمم بالموسم ، فرأيت أمتي قد ملئوا السهل والجبل ، فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم ، فقيل : أرضيت ؟ قلت : نعم . قال : ومع هؤلاء سبعون ألفًا

يدخلون الجنة بغير حساب . لا يكتوون ، ولا يتطيرون ، ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن الأسدي فقال : يا رسول اللَّه ادع اللَّه أن يجعلني منهم ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « سبقك بها عكاشة » .

هذا حديث حسن .

قال أبو داود رحمه اللَّه (ج ١٢ ص ٤٠١) : حدثنا حفص بن عمر النمري ، أخبرنا شعبة ، عن الحر بن الصياح ، عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد فذكر رجل عليًا ، فقام سعيد بن زيد فقال : أشهد على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أني سمعته وهو يقول : « عشرة في الجنة : النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير بن العوام في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، ولو شئت لسميت العاشر » . قال : فقالوا : من هو؟ قال : هو سعيد بن زيد .

عبد الرحمن بن الأخنس مستور الحال ، لكنه قد تابعه رباح بن الحارث ، وهو مستور الحال ، فالحديث حسن ، بل قد رواه جماعة عن سعيد بن زيد ، كما ذكره الحافظ الذهبي في « **الميزان** » في ترجمة عبد اللَّه بن ظالم .

قال أبو داود رحمه اللَّه (ج ١٢ ص : ٤٠٢) : حدثنا أبو كامل ، أخبرنا عبد الواحد بن زياد ، أخبرنا صدقة بن المثنى ، حدثني جدي رباح بن الحارث قال : كنت قاعدًا عند فلان في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة ، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبله فسب وسب فقال سعيد : من سب هذا الرجل؟ قال : يسب عليًا . قال : لا أرى

أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يسبون عندك، ثم لا تنكر ولا تغير أنا سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول وإني لغني أن أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غدًا إذا لقيته: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة» **وساق معناه** ثم قال لمشهد رجل منهم مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح.

قال الإمام الترمذي رحمه اللَّه (ج ١٠ ص ٢٥٠): أخبرنا أبو مصعب قراءة، عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن سعيد ابن زيد، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم نحوه[1] ولم يذكر فيه عن عبد الرحمن بن عوف، **وقد روي هذا الحديث** عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه، عن سعيد بن زيد، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم نحو هذا **وهذا أصح من الحديث الأول**[2].

قال الترمذي رحمه اللَّه (ج ١٠ ص ٢٥٠): حدثنا صالح بن مسمار المروزي، أخبرنا ابن أبي فديك، عن موسى بن يعقوب، عن عمر بن سعيد، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص» قال فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك اللَّه يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني باللَّه. أبو الأعور في الجنة. قال: هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. **وسمعت محمدًا يقول هذا أصح من الحديث الأول.**

---

(١) أي نحو حديث من طريق عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف في أن العشرة في الجنة.

(٢) من حديث عبد الرحمن بن عوف.

قال أبو عبد الرحمن: موسى بن يعقوب هو الزمعي، وهو لين الحديث لكنه قد توبع كما ترى.

قال الترمذي رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٨٤): حدثنا عبد اللّٰه بن عبد الرحمن، وإسحاق بن منصور قالا: أخبرنا محمد بن يوسف، عن إسرائيل، عن ميسرة ابن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، عن حذيفة قال: سألتني أمي متى عهدك تعني بالنبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقلت: ما لي به عهد منذ كذا وكذا، فنالت مني فقلت لها: دعيني آتي النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فأصلي معه المغرب وأسأله أن يستغفر لي ولك، فأتيت النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فصليت معه المغرب، فصلى حتى صلى العشاء، ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي فقال: «من هذا؟ حذيفة؟» قلت: نعم. قال: «ما حاجتك غفر اللّٰه لك ولأمك؟» قال: «إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل.

قال الإمام محمد بن حبان رحمه اللّٰه كما في «الموارد» (ص ٥٥١): أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف[1]، حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم، حدثني أبي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابني الخالة؛ عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلى اللّٰه عليهما».

هذا حديث حسن.

---

(١) **هو الشهير بأبي العباس السراج** النيسابوري حافظ كبير له ترجمة في «**تذكرة الحفاظ**».

الحكم بن عبد الرحمن قال إسحاق بن منصور عن يحيى : ضعيف وقال أبو حاتم : صالح الحديث .

ثم قال أبو حاتم بن حبان رحمه اللَّه : أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب عن إسرائيل ، عن ميسرة النهدي[1] ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر بن حبيش عن حذيفة قال : أتيت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فصليت معه المغرب ثم قام يصلي حتى صلى العشاء ثم خرج فاتبعته فقال : « عرض لي ملك استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

هذا حديث حسن وقال الحافظ الذهبي في « **تلخيص المستدرك** » : قلت : صحيح .

فصل : ومن مطابقة الواقع للقدر

قوله تعالى في شأن يوسف عليه السلام : ﴿ وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ .

ثم قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون * قالوا أئنك لأنت يوسُفُ قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ اللَّه علينا إنه من يتق ويصبر فإنَّ اللَّه لا يضيع أجر المحسنين ﴾ . ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ وأوحَينَا إلى أُم موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوهُ إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد اللَّه حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

---

(١) **هو ميسرة بن حبيب** وثقه أحمد وابن معين ، والنسائي كما في « **تهذيب التهذيب** » .

واعلم أن باب مطابقة الواقع للقدر باب واسع يدخل فيه ما أخبر اللّٰه به في كتابه فوقع نحوه قوله تعالى : ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ .

قال الإمام الترمذي رحمه اللّٰه (ج ٩ ص ٥١) : حدثنا الحسين بن حريث ، أخبرنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض﴾ قال : غلبت وغلبت . قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل الأوثان ، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل الكتاب ، فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقال : « أما إنهم سيغلبون » فذكره أبو بكر لهم فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلًا ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجلًا خمس سنين فلم يظهروا ، فذكروا ذلك للنبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقال : « ألا جعلته إلى دون قال : أراه العشر قال : قال سعيد والبضع ما دون العشر قال : ثم ظهرت الروم بعد . قال : فذلك قوله تعالى : ﴿الم * غلبت الروم﴾ إلى قوله : ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّٰه﴾ قال سفيان : سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر .

هذا حديث حسن صحيح غريب . إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة .

أخبرنا أبو موسى محمد بن المثنى، أخبرنا محمد بن خالد بن عثمة، حدثني عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي، حدثني ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لأبي بكر في مناحبة: «﴿الم * غلبت الروم﴾ ألا احتطت يا أبا بكر، فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع.

هذا حديث غريب حسن من هذا الوجه، من حديث الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس.

حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثني ابن أبي الزناد عن أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الأسلمي[(١)] قال لما نزلت: ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم، لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى - وذلك قبل تحريم الرهان - فارتهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر: كم تجعل

(١) **نيار بن مكرم مختلف في صحبته**، فإن ثبتت صحبته وإلا فالحديث في الشواهد كما ترى.

البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطًا ننتهي إليه قال فسموا بينهم ست سنين قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين قال: لأن اللّٰه تعالى قال: ﴿في بضع سنين﴾ قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير.

هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد.

وقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (ج ٨ ص ١٣٩) بهذا السند، وشيخ البخاري إسماعيل متكلم فيه، ولكن البخاري انتقى من حديثه كما في مقدمة «**الفتح**».

ويدخل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول اللّٰه إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾.

فقد وقع ما بشر به عيسى: وهو نبينا محمد صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم.

ويدخل فيه ما أخبر به الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم من هلاك أممهم إذا لم يؤمنوا بهم، ولو تتبع هذا من القرآن لكان مجلدًا، وكل هذا يزداد به المؤمن إيمانًا والحمد للّٰه.

* * *

من عجائب قدرة اللَّه الخارقة للعادة

عجائب قدرة اللَّه الخارقة للعادة كثيرة، وقد اقتصرنا على الواضح منها، والكتابة في قدرة اللَّه الخارقة للعادة تغيظ كثيرًا من الناس: تغيظ الشيوعيين الملحدين، والمستشرقين العلمانيين، وبعض أذنابهم ممن ينتسب إلى الإسلام، وقبل أذناب المستشرقين أئمة الاعتزال، **فحنين الجذع، وانشقاق القمر:** مما يتنكر لهما بعض أئمة الاعتزال، ولا تؤمن بذلك، وزاد عليهم أذناب المستشرقين إنكار إحياء الموتى، كما في قصة بقرة بني إسرائيل، وقصة عزير، وقصة طيور إبراهيم، وغيرها من القصص التي تدل على خوارق العادات، ونحن نقول لهؤلاء وأولئك: موتوا بغيظكم فأمة محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم تؤمن بما جاء في كتاب اللَّه وبما ثبت في سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، **فحنين الجذع وانشقاق القمر ثابتان من قبل أن يخلق إبراهيم النظّام المعتزلي، ومن قبل أن يخلق جمال الدين الأفغانيّ ومحمد عبده المصري.**

وإذا ثبت الحديث وسلم من العلة والشذوذ وجب قبوله، وقد أغنانا اللَّه عن فلسفة ضلّال الاعتزال وأذنابهم بكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ثم بعلماء السنة الذين هم حريصون على البلاغ والبيان وخدمة الدين. والحمد للَّه.

* * *

منها : إحياء الموتى

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وإذ قتلتم نفسًا فادَّارءتم فيها واللَّه مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي اللَّه الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم اللَّه موتوا ثم أحياهم إن اللَّه لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يُحيي هذه اللَّه بعد موتها فأماته اللَّه مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا فلما تبيَّن له قال أعلم أن اللَّه على كل شيء قدير﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن اللَّه عزيز حكيم﴾ .

حديث يتعلق بهذه الآية

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص ٢٠١) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهيب ، أخبرني يونس عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة ، وسعيد عن أبي هريرة

رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ » .

فيه : نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام .

وقال سبحانه وتعالى في صفة عيسى عليه السلام : ﴿ ورسولًا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن اللَّه وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن اللَّه وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

واعلم أن هذه الآيات قد حرفها محمد عبده المصري فيما أملاه على محمد رشيد رضا في كتابه « المنار » ، وقد نقلنا تحريفاته في كتابنا : « **ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر** وبيان بعد محمد رشيد رضا عن السلفية » فكن على حذر من كتب أهل الزيغ والضلال .

ومما له تعلق بالموضوع قوله تعالى : ﴿ إذ قال اللَّه يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلًا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبيناتِ فقالَ الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ .

* * *

من عجائب القدرة الإلهية : كلام الطفل الصغير

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٤٧٦) : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال : أجيبها أو أصلي ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجه المومسات ، وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى ، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقالت : مِن جريج ، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه ، وسبوه ، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : الراعي . قالوا : نبني صومعتك من ذهب ؟ قال : لا إلا من طين .

وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل فمر رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديها يمصه . قال أبو هريرة : كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمص إصبعه ثم مر بأمة فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال : اللهم اجعلني مثلها . فقالت : لم ذاك ؟ فقال : « الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون : سرقت زنيت ولم تفعل » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٩٧٦) .

كلام الطفل الصغير الذي لم يبلغ أوان الكلام آية من آيات الله ، وقد ورد به القرآن الكريم ، ففي الآية المتقدمة ﴿وتكلم الناس في المهد﴾ .

وقال سبحانه وتعالى في سورة مريم: ﴿فناداها من تحتها ألّا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا * وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا * فكلي واشربي وقري عينًا فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا * فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيًا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا * قال إني عبد اللّٰه آتاني الكتاب وجعلني نبيًا * وجعلني مباركًا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا * وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا﴾.

الشاة التي ليس فيها حليب يجعل اللّٰه فيها حليبًا

قال الحاكم رحمه اللّٰه (ج ٣ ص ٨) حدثنا أبو بكر بن إسحاق[١]، ثنا أبو الوليد، ثنا عبيد اللّٰه بن إياد بن لقيط، ثنا إياد بن لقيط، عن قيس بن النعمان قال: لما انطلق النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم وأبو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنمًا، فاستقياه من اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ها هنا عناقًا حملت أول الشتاء وقد أخدجت وما بقي لها لبن فقال: ادع بها فدعا بها، فاعتقلها النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت قال: وجاء أبو بكر رضي اللّٰه عنه بمحجن، فحلب، فسقى أبا بكر ثم حلب، فسقى الراعي، ثم حلب فشرب فقال الراعي: باللّٰه من أنت فواللّٰه ما رأيت مثلك قط. قال: «أو تراك تكتم علي حتى أخبرك؟» قال: نعم. قال: «فإني محمد رسول اللّٰه». فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ قال: «إنهم ليقولون ذلك». قال: فأشهد أنك

(١) هو **أحمد بن إسحاق النيسابوري**، له ترجمة في «**طبقات الشافعية الكبرى**» (ج ٣ ص ٩) وأثنى عليه الحاكم وغيره خيرًا. وشيخه أبو الوليد هو هشام بن عبد الملك الطيالسي.

نبي وأشهد أن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك. قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا».

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الحافظ في «الإصابة»: أخرجه الطبراني وسنده صحيح.

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ٣٧٩): ثنا أبو بكر بن عياش، حدثني عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبو بكر فقال: يا غلام هل من لبن؟ قال: قلت: نعم ولكني مؤتمن. قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بشاة فمسح ضرعها، فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع: «اقلص» فقلص. قال: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول. قال: فمسح رأسي وقال: «يرحمك الله فإنك غليم معلم».

ثم قال الإمام أحمد رحمه الله: ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بإسناده. قال: فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة فاحتلب فيها، فشرب وشرب أبو بكر. وشربت قال: ثم أتيت بعد ذلك قلت علمني من هذا القرآن. قال: «إنك غلام معلم». قال: فأخذت من فيه سبعين سورة.

هذا حديث حسن.

حديث المقداد بن الأسود

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى (ج ٣ ص ١٦٢٥): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن المقداد قال: أقبلت أنا وصاحبان لي وقد

ذهبت أسماعنا، وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فليس أحد منهم يقبلنا. فأتينا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «احتلبوا هذا اللبن بيننا» قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ونرفع للنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم نصيبه قال: فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويسمع اليقظان قال: ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب، فأتاني الشيطان ليلة وقد شربت نصيبي فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل قال: ندمني الشيطان فقال: ويحك ما صنعت أشربت شراب محمد فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك، وعلي شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت قال: فجاء النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كما يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئًا، فرفع رأسه إلى السماء فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك فقال: «اللهم أطعم من أطعمني، واسق من أسقاني» قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليّ وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فإذا هي حافلة، وإذا هنّ حفل كلهن، فعمدت إلى إناء لآل محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه قال: فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: «أشربتم شرابكم الليلة؟» قال: قلت: يا رسول اللَّه اشرب فشرب، ثم

ناولني فقلت : يا رسول اللَّه اشرب فشرب ، ثم ناولني ، فلما عرفت أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض قال : فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إحدى سوآتك يا مقداد » فقلت : يا رسول اللَّه كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ما هذه إلا رحمة من اللَّه أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها » قال : قلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتُها معك ، من أصابها من الناس .

وحدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا النضر بن شميل ، حدثنا سليمان بن المغيرة بهذا الإسناد .

* * *

فصل في رميه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بكف من حصى في وجوه الكفار وما حصل بسبب ذلك بقدرة اللَّه

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٣٩٨) : وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو ابن سرح ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب قال : قال عباس : شهدت مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فلم نفارقه ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يركض بغلته قِبل الكفار قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أكفها إرادة ألا تسرع ، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « أي عباس ناد أصحاب السمرة » فقال عباس وكان رجلًا صيتًا : فقلت بأعلي صوتي : أين أصحاب السمرة ؟ قال فواللَّه لكأن عطفتهم ، حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا : يا لبيك يا لبيك . قال فاقتتلوا والكفار . والدعوة في الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار . قال : ثم قصرت الدعوة على بني الحارث ابن الخزرج فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث ابن الخزرج فنظر

رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «هذا حين حمي الوطيس». قال ثم أخذ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: «انهزموا ورب محمد». قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فواللَّه ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلًا وأمرهم مدبرًا.

وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن رافع، وعبد بن حميد جميعًا عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر. عن الزهري بهذا الإسناد نحوه غير أنه قال: فروة ابن نعامة الجذامي وقال: «انهزموا ورب الكعبة، انهزموا ورب الكعبة». وزاد في الحديث: حتى هزمهم اللَّه. قال وكأني أنظر إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يركض خلفهم على بغلته.

وحدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري قال: أخبرني كثير ابن العباس عن أبيه قال: كنت مع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يوم حنين، **وساق الحديث**. غير أن حديث يونس وحديث معمر أكثر منه وأتم.

قال مسلم رحمه اللَّه (ج ٣ ص ١٤٠٢): وحدثنا زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: غزونا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حنينًا، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه بسهم، فتوارى عني. فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فولى صحابة النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأرجع منهزمًا، وعلي بردتان متزرًا بإحداهما، مرتديًا بالأخرى فاستطلق إزاري فجمعتهما

جميعًا ، ومررت على رسول اللَّه منهزمًا[(١)] ، وهو على بغلته الشهباء فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لقد رأى ابن الأكوع فزعًا » فلما غشوا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ، ثم استقبل به وجوههم فقال : « شاهت الوجوه » فما خلق اللَّه منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة ، فولوا مدبرين فهزمهم اللَّه عز وجل ، وقسم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم غنائمهم بين المسلمين .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ١ ص ٣٦٨) : حدثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، عن ابن خثيم[(٢)] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر ، فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأينا محمدًا قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله . قال : فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها فقالت : هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك . قال : « يا بنية أدني وضوءًا » فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هذا فخفضوا أبصارهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم ولم يقم منهم رجل فأقبل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حتى قام على رءوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها ، وقال : « شاهت الوجوه » . قال : فما أصابت رجلًا منهم حصاة إلا قد قتل يوم بدر كافرًا .

هذا حديث حسن .

---

(١) منهزمًا حال من سلمة بن الأكوع ، وأما الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فإنه لم يفر .
(٢) هو عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم من رجال مسلم ، وأخرج له البخاري تعليقًا كما في « التقريب » .

خضوع الجمادات والشجر والحيوان للَّه تعالى[1]

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية اللَّه وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية اللَّه وما اللَّه بغافل عما تعملون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾ .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٧ ص ٤٢) : حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة وقال لي خليفة : حدثنا محمد بن سواء، وكهمس ابن المنهال . قال : حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : صعد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال : « اثبت أحد فما عليك إلا نبي (أو صديق أو شهيدان) » ا.هـ . (أو) هنا للتنويع أو بمعنى الواو .

---

(١) **وقد تقدم شيء من هذا** في هدايته تعالى الحيوان وهو تابع للهدى والضلال .

وقد رواه البخاري كذلك. قال رحمه الله (ج ٧ ص ٥٣) : حدثنا مسدد حدثنا يحيى ابن سعيد، عن قتادة أن أنسًا رضي الله عنه حدثهم قال : صعد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : «اسكن أحد» أظنه ضربه برجله «فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان».

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٥٨٧) : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفًا . كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سفر فقل الماء فقال : «اطلبوا فضلة من ماء» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال : «حي على الطهور المبارك والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٥٠٥) : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا علي بن مسهر ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما . أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرًا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي : إنما لي عندك فرق من أرز ، فقلت له ، اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت

ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ، ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليّ وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت : اتق اللَّه ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج اللَّه عنهم فخرجوا » .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٢ ص٣٤٨) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا ليث يعني : ابن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه ذكر أن رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار قال ائتني بشهداء أشهدهم . قال : كفى باللَّه شهيدًا . قال : ائتني بكفيل . قال : كفى باللَّه كفيلًا . قال : صدقت ، فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبًا يقدم عليه للأجل الذي كان أجله فلم يجد مركبًا فأخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر ثم قال : اللهم إنك قد علمت أني استلفت من فلان ألف دينار فسألني كفيلًا قلت : كفى باللَّه كفيلًا فرضي بك ، وسألني شهيدًا فقلت : كفى باللَّه شهيدًا فرضي بك ،

وأني قد جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه بالذي له فلم أجد مركبًا وأني استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف ينظر وهو في ذلك يطلب مركبًا يخرج إلى بلده . فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا يجيء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبًا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال : واللَّه ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بما لك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه قال : هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال : ألم أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه قال : فإن اللَّه قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بألفك راشدًا .

وقال البخاري (ج ٤ ص ٤٦٩) « **معلقًا** » فقال : وقال الليث حدثني جعفر بن ربيعة به .

● **وقال الحافظ في** « **الفتح** » (ج ٤ ص ٤٧٠) قوله : وقال الليث حدثني جعفر بن ربيعة إلخ : **وقع هنا في** « **نسخة الصنعاني** » : حدثنا عبد اللَّه بن صالح ، حدثني الليث ، وقد تقدم في باب التجارة في البحر أن أبا ذر وأبا الوقت وصلاه في آخره .

قال البخاري : حدثني عبد اللَّه بن صالح ، حدثني الليث به ووصله أبو ذر هنا من روايته ، عن شيخه علي بن وصيف ، حدثنا محمد بن غسان ، حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني ، حدثنا عبد اللَّه بن صالح به ، وكذلك وصله بهذا الإسناد في باب ما يستخرج من البحر من كتاب الزكاة ولم ينفرد عبد اللَّه بن صالح فقد أخرجه الإسماعيلي من طريق عاصم بن علي ، وآدم ابن أبي إياس ، والنسائي من طريق داود بن منصور كلهم عن الليث .

وأخرجه **الإمام أحمد**، عن يونس بن محمد، عن الليث أيضًا، وله طريق أخرى عن أبي هريرة، **علقها المصنف في كتاب « الاستئذان »** من طريق عمر ابن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة **ووصلها في « الأدب المفرد » وابن حبان في « صحيحه »** من هذا الوجه.

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٧٨٢): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن أبي بكير، عن إبراهيم بن طهمان، حدثني سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن ».

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص ١٧١): حدثني عبيد الله بن سعيد، حدثنا أبو أسامة بن أسامة، حدثنا مسعر، عن معن بن عبد الرحمن، قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقًا من آذن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن فقال حدثني أبوك (يعني: عبد الله) أنه آذنت بهم شجرة.

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص: ٤٠٧): حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طلع له أحد فقال: « هذا جبل يحبنا ونحبه. اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها ».

رواه عبد الله بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

حديث عبد الله بن زيد رواه مسلم (ج ٢ ص ٩٩١).

وحديث أنس أخرجه مسلم (ج ٢ ص: ٩٩٣).

الشاهد من الحديث: أن جبل أحد يحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه.

قال الحاكم رحمه الله (ج ٣ ص ٢٨٨): حدثني علي بن حمشاذ العدل، ثنا

هشام بن علي ، وإسحاق بن الحسن . قالا : ثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر عند النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم في ليلة ظلماء حندس[1] فلما انصرفا أضاءت عصا أحدهما فمشيا في ضوئها فلما افترقا أضاءت عصا الآخر .

صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ١ ص ٣٨٥) : حدثنا إسحاق بن نصر ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال : « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا : واللّٰه ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى في أثره يقول : ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا : واللّٰه ما بموسى من بأس ، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربًا » فقال أبو هريرة : واللّٰه إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربًا بالحجر .

وعن[2] أبي هريرة ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال : « بينا أيوب يغتسل عريانًا فخر عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثي في ثوبه . فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ، ولكن لا غنى بي عن بركتك » . ورواه إبراهيم عن موسى بن عقبة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال : « بينا أيوب يغتسل عريانًا » .

حديث أبي هريرة في قصة موسى أخرجه مسلم (ج ١ ص ٢٦٧) .

---

(١) أي : شديد الظلمة.

(٢) **قال الحافظ** : هو معطوف على الإسناد الأول وقد أخرج البخاري هذا الثاني من رواية عبد الرزاق بهذا الإسناد في أحاديث الأنبياء .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص ٤٣٦) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا عوف ، عن الحسن ومحمد[١] وخلاس ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إن موسى كان رجلًا حييًا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل . فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة . وإن اللَّه أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق اللَّه وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه فواللَّه إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا فذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه اللَّه مما قالوا وكان عند اللَّه وجيهًا ﴾ » .

من عجائب قدرة اللَّه : تسخير الرياح

من عجائب قدرة اللَّه الرياح ؛ فاللَّه يرسلها بالرحمة ، ويرسلها بالعذاب ، ويرسلها بالنصر للمؤمنين وبالهلاك لأعداء الدين ، ويسخرها لنبي من أنبيائه تحمله إلى حيث يريد .

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ .

---

(١) **المعتمد في هذا** على رواية محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة على الصحيح .
ورواية خلاس عن أبي هريرة من صحيفة ، ولم يسمع منه كما في « الفتح » .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّه الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمة اللَّه كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير * ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفرًا لظلوا من بعده يكفرون﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص ٥٨٨): حدثنا مسدد، حدثنا حماد، عن عبد العزيز، عن أنس، وعن يونس، عن ثابت، عن أنس رضي اللَّه عنه قال: أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فبينا هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول اللَّه، هلكت الكراع، هلكت الشاة فادع اللَّه يسقينا فمد يده ودعا. قال أنس: وإن السماء كمثل الزجاجة فهاجت ريح أنشأت سحابًا، ثم اجتمع، ثم أرسلت السماء عزاليها، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى فقام إليه ذلك الرجل - أو غيره - فقال: يا رسول اللَّه تهدمت البيوت فادع اللَّه يحبسه. فتبسم ثم قال: «حوالينا ولا علينا». فنظرت إلى السحاب يتصدع حول المدينة كأنه إكليل.

● **وأما إرسالها نصرًا للمؤمنين وهزيمة للكافرين**، فقال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان اللَّه بما تعملون بصيرًا﴾.

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٤١٤) : حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم جميعًا، عن جرير. قال زهير: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه. قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قاتلت معه وأبليت. فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله اللّٰه معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله اللّٰه معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله اللّٰه معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: «قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم» فلم أجد بدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم. قال: «اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ». فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد قوسي فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «ولا تذعرهم عليّ»، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت، قُررت، فألبسني رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائمًا حتى أصبحت فلما أصبحت قال: «قم يا نومان».

• **وأما تسخيرها لنبي من أنبيائه تحمله إلى حيث يريد:**

فقال اللّٰه سبحانه وتعالى: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب﴾.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾ .

● وأما إرسالها بالعذاب :

فقال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أوَ لم يروا أن اللَّه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا في يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر﴾ .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٨ ص ٥٧٨) : حدثنا أحمد[١] ، ثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو : أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار ، عن عائشة زوج النبي

---

(١) قال الحافظ في رواية أبي ذر : أحمد بن عيسى .

صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قالت: ما رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ضاحكًا حتى أرى منه لهواتِهِ إنما كان يتبسم.

قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف في وجهه. قالت: يا رسول اللَّه إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية فقال: «يا عائشة ما يؤمني أن يكون فيه عذاب. عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا».

رواه مسلم (ج ٢ ص ٦١٦).

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج ٢ ص ٦١٦): وحدثني أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح، عن عائشة زوج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنها قالت: كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به». قالت: وإذا تخليت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا مطرت سري عنه فعرفت ذلك في وجهه قالت عائشة: فسألته فقال: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا: هذا عارضًا ممطرنا».

وقال مسلم رحمه اللَّه (ج ٢ ص ٦١٦): حدثنا عبد اللَّه بن مسلمة بن قعنب، حدثنا سليمان يعني (ابن بلال) عن جعفر وهو: ابن محمد، عن عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عائشة زوج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم تقول: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرَّ به وذهب عنه ذلك

قالت عائشة فسألته فقال : « إني خشيت أن يكون عذابًا سلط على أمتي »، ويقول إذا رأى المطر : « رحمة » .

قال البخاري رحمه الله (ج ٢ ص ٥٢٠) : حدثنا مسلم ، قال : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « نصرت بالصبا[1] وأهلكت عاد بالدبور » .

أخرجه مسلم (ج ٢ ص ٦١٧) .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص ٤٨١) : ثنا عفان ، قال : ثنا سلام أبو المنذر ، عن عاصم ابن بهدلة ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان ، قال : مررت بعجوز بالربذة منقطع بها من بني تميم قال : فقالت : أين تريدون ؟ قال : فقلت : نريد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . قالت : فاحملوني معكم فإن لي إليه حاجة . قال : فدخلت المسجد فإذا هو غاص بالناس وإذا راية سوداء تخفق فقلت : ما شأن الناس اليوم؟ قالوا : هذا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا . قال : فقلت : يا رسول اللَّه إن رأيت أن تجعل الدهناء حجازًا بيننا وبين تميم فافعل فإنها كانت لنا مرة فاستوفزت العجوز وأخذتها الحمية فقالت : يا رسول اللَّه أين تضطر مضرك ؟ قلت : يا رسول اللَّه : حملت هذه ولا أشعر أنها كائنة لي خصمًا . قال : قلت : أعوذ باللَّه أن أكون كما قال الأول ، قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « وما قال الأول؟ » قال : على الخبير سقطت . يقول سلام هذا أحمق ، يقول الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم « على الخبير سقطت » قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله

---

(١) **قال الحافظ** : يقال لها القبول بفتح القاف ؛ لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس ، وضدها الدبور وهي التي أهلكت بها قوم عاد . ا.هـ . المراد من « **الفتح** » .

وسلم : « هيه » يستطعمه الحديث . قال : إن عادا أرسلوا وافدهم قيلًا فنزل على معاوية بن بكر شهرًا ، يسقيه الخمر وتغنيه الجرادتان ، فانطلق حتى أتى على جبال مهرة ، فقال : اللهم إني لم آت لأسير أفاديه ، ولا لمريض فأداويه ، فاسق عبدك ما كنت ساقيه ، واسق معاوية بن بكر شهرًا يشكر له الخمر التي شربها عنده . قال : فمرت سحابات سود فنودي أن خذها رمادًا رمددًا لا تذر من عاد أحدًا .

قال أبو وائل : فبلغني أن ما أرسل عليهم من الريح كقدر ما يجري في الخاتم .

ثنا زيد بن الحباب ، قال : حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي ، قال : ثنا عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث[1] بن يزيد البكري قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فمررت بالربذة ، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي : يا عبد اللَّه إن لي إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حاجة فهل أنت مبلغي إليه ؟ قال : فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله وإذا راية سوداء تخفق وبلال متقلد السيف بين يدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو ابن العاص وجهًا . قال : فجلست . قال : فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال : « هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟ » قال : فقلت : نعم . قال : وكانت لنا الدبرة عليهم ، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت : يا رسول اللَّه إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزًا

(١) هو الحارث بن حسان كما في « **الإصابة** » .

فاجعل الدهناء، فحميت العجوز واستوفزت قالت: يا رسول اللَّه فإلى أين تضطر مضرك؟ قال: قلت: إنما مثلي مثل ما قال الأول معزاء حملت حتفها حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا أعوذ باللَّه ورسوله أن أكون كوافد عاد، قال: «هيه وما وافد عاد؟» وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه قلت: إن عادًا قحطوا فبعثوا وافدًا لهم يقال له قبل فمر بمعاوية بن بكر، فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج جبال تهامة فنادى اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادًا ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود فنودي منها خذها رمادًا رمدًا لا تبقي من عاد أحدًا.

قال: فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا.

قال أبو وائل وصدق: قال فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد.

حديث حسن.

النار لا تحرق إذا أمرها اللَّه بعدم الإحراق

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين * قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين * قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين * وتاللَّه لأكيدن أصنامكم بعد أن

تولوا مدبرين * فجعلهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون * قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم * قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون * قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون اللَّه ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم * أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون اللَّه أفلا تعقلون * قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم * وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين﴾ .

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وإن من شيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم * إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون * أئفكًا آلهة دون اللَّه تريدون * فما ظنكم برب العالمين * فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضربًا باليمين * فأقبلوا إليه يزفون * قال أتعبدون ما تنحتون * واللَّه خلقكم وما تعملون * قالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم * فأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين * وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء اللَّه من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم﴾ .

من عجائب قدرة اللّه تعالى حبس الشمس عن الغروب حتى نصر اللّه دينه

قال البخاري رحمه اللّه (ج ٦ ص ٢٢٠): حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا ابن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه. قال: قال النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنمًا أو خلفات وهو ينتظر ولادها. فغزا. فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح اللّه عليهم فجمع الغنائم فجاءت - يعني: النار - لتأكلها فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولًا فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها. ثم أحل اللّه لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا».

أخرجه مسلم (ج ٣ ص: ١٣٦٦).

وهذا النبي هو يوشع بن نون كما في «المسند» (ج ٢ ص ٣٢٥):

قال الإمام أحمد رحمه اللّه: ثنا أسود بن عامر، أنا أبو بكر، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة. قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس».

هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

وفي حديث أبي هريرة الذي في « مسند الإمام أحمد » دليل على ضعف حديث « أن الشمس حبست من أجل أن يصلي علي بن أبي طالب رضي الله عنه العصر » ، وقد ذكره ابن الجوزي رحمه الله في « **الموضوعات** » .

من عجائب القدرة الإلهية : انشقاق القمر

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٦٣١) : ثنا صدقة بن الفضل ، أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم شقتين ، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اشهدوا » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص : ٢١٥٨) .

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٦٣١) : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا يونس ، حدثنا شيبان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك (ح) . وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر .

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٦٣١) : حدثنا خلف بن خالد القرشي ، حدثنا بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عراك بن مالك ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن مسعود ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢١٥٩) .

قال أبو داود الطيالسي رحمه الله كما في «ترتيب مسنده» (ج ٢ ص١٢٣) : حدثنا شعبة قال : أخبرني الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «اشهدوا» .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في «مشكل الآثار» (ج ١ ص ٣٠١) : حدثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة المخزومي[١] ، ثنا لوين[٢] ، حدثنا خديج بن معاوية الجعفي[٣] ، عن ابن إسحاق عن أبي حذيفة قال أبو جعفر ، وهو سلمة بن صعيب الأرحبي ، عن علي بن أبي طالب قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

حديث حسن لغيره ، فإن أبا حذيفة روى عنه جماعة ، ولم يوثقه معتبر ؛ فهو مستور الحال ، يصلح حديثه في الشواهد ، والمتابعات .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٨١) : ثنا محمد بن كثير ، قال سليمان ابن كثير ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرنا ، فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

هذا حديث حسن ، فإن سليمان بن كثير فيه كلام لا ينزل حديثه عن الحسن ، وقد تابعه محمد بن فضيل بن غزوان ، كما عند ابن حبان (ص ٥١٩ من الموارد) ، فالحديث صحيح .

---

(١) **قال ابن أبي حاتم** : كتبت عنه بمصر وهو صدوق .

(٢) هو محمد بن سليمان .

(٣) **سقط خديج من «الأصل»** ، أثبتناه من كتب الرجال .

من عجائب القدرة الإلهية : حنين الجذع

قال البخاري رحمه الله (ج ٤ ص ٣١٩) : حدثنا خلاد بن يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : يا رسول اللّه ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه ؟ فإن لي غلامًا نجارًا ، قال : « إن شئت » ، فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم على المنبر الذي صنع ، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها ، حتى كادت أن تنشق ، فنزل النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكَّت ، حتى استقرت . قال : « بكت على ما كانت تسمع من الذكر » .

قال البخاري رحمه اللّه (ج ٦ ص ٦٠٢) : حدثنا إسماعيل قال : حدثني أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد قال : أخبرني حفص بن عبيد اللّه بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما يقول : كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل ، فكان النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار ، حتى جاء النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فوضع يده عليها ، فسكنت .

قال الإمام أحمد رحمه اللّه (ج ٣ ص ٢٩٥) : ثنا عبد الرزاق ، أنا ابن جريج ، وروح[1] ، ثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد اللّه يقول : كان النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم إذا خطب يستند إلى جذع

---

(١) روح معطوف على عبد الرزاق .

نخلة من سواري المسجد ، فلما صنع له منبره استوى عليه ؛ اضطربت تلك السارية كحنين الناقة ، حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها فاعتنقها ، فسكنت وقال روح : فسكتت . وقال ابن بكر : فاضطربت تلك السارية : وقال روح : اضطربت كحنين .

هذا حديث حسن ، على شرط مسلم .

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٦٠١) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان ، حدثنا أبو حفص ، واسمه عمر بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء ، قال : سمعت نافعًا ، عن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما : كان النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحنّ الجذع ، فأتاه ، فمسح يده عليه .

وقال عبد الحميد : أخبرنا عثمان بن عمر ، أخبرنا معاذ بن العلاء ، عن نافع بهذا .

ورواه أبو عاصم عن ابن أبي رواد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم .

قال الدارمي رحمه اللّٰه (ج ١ ص ١٧) : أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي خلف ، ثنا عمر بن يونس ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا إسحاق بن أبي طلحة : حدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد ، فيخطب الناس فجاءه رومي فقال : ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم ؟ فصنع له منبرًا له درجتان ، ويقعد[1] على الثالثة ، فلما قعد نبي اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله

---

(١) فيه أن السنة أن المنبر يكون ثلاث درج ، وما زاد فهو مخالف للسنة .

وسلم على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور، حتى ارتج المسجد؛ حزنًا على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فنزل إليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم من المنبر، فالتزمه، وهو يخور، فلما التزمه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سكن، ثم قال: «أما والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة؛ حزنًا على رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم» فأمر به رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فدفن.

حديث صحيح، على شرط مسلم.

قال الإمام الدارمي رحمه اللَّه (ج ١ ص ١٧): أخبرنا زكريا بن عدي، عن عبيد اللَّه بن عمرو[١]، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي ابن كعب، عن أبيه قال: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يصلي إلى جذع ويخطب إليه[٢]؛ إذا كان المسجد عريشًا فقال له رجل من أصحابه: ألا نجعل لك عريشًا، تقوم عليه؛ يراك الناس يوم الجمعة، وتسمع من خطبتك؟ قال: «نعم» فصنع له الثلاث درجات، هن اللواتي على المنبر، فلما صنع المنبر، ووضع في موضعه الذي وضعه فيه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: فلما جاء رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يريد المنبر مر عليه، فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع، وانشق، فرجع إليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فمسحه بيده، حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، قال: فكان إذا صلى صلَّى إليه، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب، فلم يزل عنده حتى بلي، فأكلته الأرضة، وعاد رفاتًا. سنده حسن.

---

(١) هو الرقي.

(٢) أي: يتكئ عليه وقت الخطبة.

قال الإمام الدارمي رحمه الله (ج ١ ص ١٨) : أخبرنا الحجاج بن منهال ، ثنا حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر ، فلما اتخذ المنبر وتحول إليه حن الجذع فاحتضنه فسكن وقال : « لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة » .

أخبرنا الحجاج بن منهال ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بمثله .

حديث صحيح على شرط مسلم .

قال الدارمي رحمه الله (ج ١ ص ١٩) : أخبرنا عبد الله بن يزيد ، ثنا المسعودي ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد . قال : حنت الخشبة التي كان يقوم عندها فقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليها ووضع يده عليها فسكنت .

الحديث في سنده المسعودي ، وهو عبد الرحمن مختلط . لكنه في الشواهد على أنه قد تابعه سفيان بن عيينة عند ابن أبي شيبة كما في « البداية والنهاية » (ج ٦ ص ١٤٨) .

قال الإمام محمد بن سعد في « الطبقات » (ج ٢ ص ١٠) : أخبرنا أبو بكر ابن عبد الله بن أبي أويس المدني ؛ ابن أخت مالك بن أنس . قال : حدثني سليمان بن بلال ، عن سعد بن سعيد بن قيس ، عن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات فرضتين ، قال أراها من دوم وكانت في مصلاه فكان يتكئ إليها فقال له أصحابه : يا رسول الله إن الناس قد كثروا فلو اتخذت شيئًا تقوم عليه إذا خطبت يراك الناس ، فقال : « ما شئتم » قال سهل

ولم يكن بالمدينة إلا نجار واحد فذهبت أنا وذلك النجار إلى الخافقين فقطعنا هذا المنبر من أثلة . قال فقام عليه النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فحنت الخشبة فقال النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : «ألا تعجبون لحنين هذه الخشبة ؟» فأقبل الناس وفرقوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم ، فنزل النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم حتى أتاها فوضع يده عليها فسكنت ، فأمر النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم بها فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف .

هذا حديث حسن مسلسل بالمدنيين .

القدرة الإلهية في تسيير الشجر

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ١ ص : ٢٢٣) : ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان[١] ، عن ابن عباس . قال : أتى النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم رجل من بني عامر فقال : يا رسول اللّٰه أرني الخاتم الذي بين كتفيك فإني من أطيب[٢] الناس ، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : «ألا أريك آية ؟» قال : بلى ، قال : فنظر إلى نخلة فقال : «ادع ذلك العذق» . قال : فدعاه فجاء ينقز حتى قام بين يديه ، فقال له رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : «ارجع» ، فرجع إلى مكانه ، فقال العامري : يا آل بني عامر ما رأيت كاليوم رجلًا أسحر .

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات .

● **قال مسلم رحمه اللّٰه** (ج ٤ ص ٢٣٠١) : حدثنا هارون بن معروف ومحمد ابن عباد ، وتقاربا في لفظ الحديث ، والسياق لهارون قالا : حدثنا

(١) **أبو ظبيان** : هو حصين بن جندب ثقة .
(٢) **لعله من أطب الناس** : أي من أكثرهم معرفة بعلم الطب .

حاتم بن إسماعيل، عن يعقوب بن مجاهد، أبي حزرة، عن عبادة بن الوليد ابن عبادة ابن الصامت، قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا، فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ومعه غلام له معه ضمامة من صحف، وعلى أبي اليسر بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري، فقال له أبي: يا عم إني أرى في وجهك سفعة من غضب قال: أجل كان لي على فلان بن فلان الحرامي مال، فأتيت أهله فسلمت فقلت ثم هو؟ قالوا: لا فخرج عليّ ابن له جفر فقلت له: أين أبوك؟ قال سمع صوتك فدخل أريكة أمي فقلت: اخرج إليّ فقد علمت أين أنت، فخرج فقلت: ما حملك على أن اختبأت مني؟ قال: أنا واللَّه أحدثك ثم لا أكذبك خشيت واللَّه أن أحدثك فأكذبك وأن أعدك فأخلفك، وكنت صاحب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وكنت واللَّه معسرًا. قال: قلت: آللَّه. قال اللَّه. قلت: آللَّه: قال: اللَّه. قلت: آللَّه. قال: اللَّه. قال: فأتى بصحيفته فمحاها بيده. فقال إن وجدت قضاء فاقض وإلا أنت في حل فأشهد بصر عيني هاتين، ووعاه قلبي هذا (وأشار إلى مناط قلبه) رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو يقول: «من أنظر معسرًا ووضع عنه، أظله اللَّه في ظله».

قال: قلت له أنا: يا عمّ لو أنك أخذت بردة غلامك وأعطيته معافريك، وأخذت معافريه وأعطيته بردتك فكانت عليك حلة وعليه حلة، فمسح رأسي وقال: اللهم بارك فيه يا ابن أخي بصر عيني هاتين، وسمع أذني هاتين ووعاه قلبي هذا (وأشار إلى مناط قلبه) رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو يقول: «أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون» وكان أن أعطيته من متاع الدنيا أهون علي من أن يأخذ من حسناتي يوم القيامة، ثم مضينا

حتى أتينا جابر بن عبد اللَّه في مسجده، وهو يصلي في ثوب واحد مشتملًا به فتخطيت القوم حتى جلست بينه وبين القبلة. فقلت: يرحمك اللَّه أتصلي في ثوب واحد ورداؤك إلى جنبك؟ قال: فقال بيده في صدري هكذا، وفرق بين أصابعه وقوسها: أردت أن يدخل علي الأحمق مثلك فيراني كيف أصنع فيصنع مثله.

أتانا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في مسجدنا هذا، وفي يده عرجون ابن طاب فرأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بالعرجون، ثم أقبل علينا فقال: «أيكم يحب أن يعرض اللَّه عنه؟» قال: فخشعنا. ثم قال: «أيكم يحب أن يعرض اللَّه عنه؟»، قال: فخشعنا. ثم قال: «أيكم يحب أن يعرض اللَّه عنه؟» قلنا: لا أينا يا رسول اللَّه، قال: «فإن أحدكم إذا قام يصلي، فإن اللَّه تبارك وتعالى قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه، ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره، تحت رجله اليسرى، فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هكذا»، ثم طوى ثوبه بعضه على بعض فقال: «أروني عبيرًا» فقام فتى من الحي يشتد إلى أهله فجاء بخلوق في راحته فأخذه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فجعله على رأس العرجون ثم لطخ به علي أثر النخامة **فقال جابر**: فمن هناك جعلتم الخلوق في مساجدكم.

سرنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في غزوة بطن بواط، وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني، وكان الناضح يعقبه منا الخمسة والستة والسبعة فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له، فأناخه، فركبه، ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن فقال له: شأ لعنك اللَّه. فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «من هذا اللاعن بعيره؟». قال: أنا يا رسول اللَّه قال: «انزل عنه فلا تصحبنا بملعون. لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على

أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من اللَّه ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» .

سرنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، حتى إذا كانت عشيشية ودنونا ماء من مياه العرب. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «من رجل يتقدمنا فيمدر الحوض فيشرب ويسقينا؟». قال جابر: فقمت فقلت هذا رجل يا رسول اللَّه. فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «أي رجل مع جابر؟». فقام جبار بن صخر، فانطلقنا إلى البئر فنزعنا في الحوض سجلًا أو سجلين، ثم مدرناه، ثم نزعنا فيه حتى أفهقناه، فكان أول طالع علينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم. فقال: «أتأذنان؟» قلنا: نعم يا رسول اللَّه. فأشرع ناقته فشربت، شنق لها فشجت فبالت، ثم عدل بها فأناخها، ثم جاء رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلى الحوض فتوضأ منه ثم قمت فتوضأت من متوضأ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فذهب جبار بن صخر يقضي حاجته، فقام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ليصلي وكانت عليّ بردة ذهبت أن أخالف بين طرفيها فلم تبلغ لي وكانت لها ذباذب فنكستها، ثم خالفت بين طرفيها، ثم تواقصت عليها، ثم جئت حتى قمت عن يسار رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأخذ بيدي فأدارني حتى أقامني عن يمينه، ثم جاء جبار بن صخر فتوضأ، ثم جاء فقام عن يسار رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فأخذ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بيدينا جميعًا، فدفعنا حتى أقامنا خلفه، فجعل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يرمقني، وأنا لا أشعر ثم فطنت به فقال: هكذا بيده يعني شد وسطك، فلما فرغ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «يا جابر» قلت: لبيك

يا رسول اللَّه . قال : « إذا كان واسعًا فخالف بين طرفيه ، وإذا كان ضيقًا فاشدده على حقوك » .

سرنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وكان قوت كل رجل منا في كل يوم تمرة ، فكان يمصها ، ثم يصرها في ثوبه ، وكنا نختبط بقسينا ، ونأكل حتى قرحت أشداقنا ، فأقسم أخطئها رجل منا يومًا ، فانطلقنا به ننعشه فشهدنا أنه لم يعطها ، فأعطيها فقام فأخذها .

سرنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حتى نزلنا واديًا أفيح ، فذهب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء . فنظر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فلم ير شيئًا يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي . فانطلق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها . فقال : « انقادي عليَّ بإذن اللَّه » فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده . حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : « انقادي عليَّ بإذن اللَّه » فانقادت معه كذلك . حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما (يعني جمعهما) فقال : « التئما عليَّ بإذن اللَّه » فالتأمتا . قال جابر : فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بقربي فيبتعد . (وقال محمد ابن عباد : فيتبعد) فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم مقبلًا ، وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وقف وقفة فقال برأسه هكذا (وأشار أبو إسماعيل برأسه يمينًا وشمالًا) ، ثم أقبل فلما انتهى إليّ قال : « يا جابر هل رأيت مقامي ؟ » ، قلت : نعم يا رسول اللَّه قال : « فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهم غصنًا

فأقبل بهما ، حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنًا عن يمينك وغصنًا عن يسارك » . قال جابر : فقمت فأخذت حجرًا فكسرته وحسرته . فانذلق لي فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنًا ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . أرسلت غصنًا عن يميني ، وغصنًا عن يساري . ثم لحقته فقلت : قد فعلت يا رسول اللَّه فعم ذاك ؟ قال : « إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت ، بشفاعتي أن يرفعه عنهما ، ما دام الغصنان رطبين » .

قال فأتينا العسكر فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « يا جابر ناد بوضوء » ، فقلت : ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال : قلت : يا رسول اللَّه ما وجدت في الركب من قطرة . وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم الماء في أشجاب له على حمارة من جريد . قال : فقال لي : « انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء؟ » قال : فانطلقت إليه فنظرت فيهما فلم أجد فيهما إلا قطرة في عزلاء شجب منها ، لو أني أفرغه لشربه يابسه ، فأتيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقلت : يا رسول اللَّه إني لم أجد فيها إلا قطرة عزلاء شجب منها ، لو أني أفرغه لشربه يابسه قال : « اذهب فأتني به » ، فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه فقال : « يا جابر ناد بجفنة » يا جفنة الركب فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بيده في الجفنة هكذا ، فبسطها وفرق بين أصابعه ، ثم وضعها في قعر الجفنة . وقال : « خذ يا جابر فصب عليّ . وقل بسم اللَّه » فصببت عليه ، وقلت : بسم اللَّه فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : « يا جابر ناد من كان له

حاجة بماء» . قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رووا . قال : فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ فرفع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يده من الجفنة وهي ملأى .

وشكا الناس إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم الجوع فقال : «عسى اللَّه أن يطعمكم» فأتينا سيف البحر فزخر البحر زخرة . فألقى دابة ، فأورينا على شقها النار فأطبخنا واشتوينا ، وأكلنا حتى شبعنا . قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها . ما يرانا أحد . حتى خرجنا . فأخذنا ضلعًا من أضلاعه فقوسناه . ثم دعونا بأعظم رجل في الركب ، وأعظم جمل في الركب ، وأعظم كفل في الركب ، فدخل تحته ما يطأطئ رأسه .

لفظ القبر جسدًا خبيثًا

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص ٦٢٤) : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس رضي اللَّه عنه ، قال : كان رجل نصرانيًا فأسلم ، وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فعاد نصرانيًا ، فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماته اللَّه فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه . فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض . قالوا : هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر . فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه .

وأخرجه مسلم .

ومن عجائب القدرة الإلهية
بعض الآيات التي أعطيها نبي اللَّه موسى عليه السلام

نبع الماء من الحجر

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق اللَّه ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

صعق قوم موسى

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ .

صعق موسى ودك الجبل

قال اللَّه سبحانه : ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما

تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ .

قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله في «التوحيد» (ص ١١٣) : حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، وعلي بن الحسين ، ويحيى ابن حكيم . قالوا : ثنا معاذ بن معاذ العنبري قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في قوله : ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا﴾ قال بأصبعه هكذا (وأشار بالخنصر من الظفر يمسكه بالإبهام) قال : فقال حميد لثابت يا أبا محمد : دع هذا ما تريد إلى هذا ، قال فضرب ثابت منكب حميد وقال : من أنت يا حميد ، وما أنت يا حميد ؟

حدثني به أنس بن مالك ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وتقول أنت دع هذا . هذا لفظه .

حدثنا يحيى بن حكيم والزعفراني وعلي بن الحسين(١) عن حماد بن سلمة ، قال علي : ثنا ثابت عن أنس بن مالك عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

وقال الزعفراني : عن أنس ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في قوله : ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا﴾ . قال هكذا ، ووصف معاذ أنه أخرج أول مفصل من خنصره فقال له حميد الطويل : يا أبا محمد ما تريد إلى هذا ، فضرب صدره ضربة شديدة ، وقال : فمن أنت ؟ ما تريد إلى هذا

---

(١) سقط من «**الأصل**» معاذ بن معاذ لأن هؤلاء لا يروون عن حماد مباشرة وقوله ووصف معاذ ... إلخ يدل على ذلك .

غير أن الزعفراني قال هكذا (ووضع إبهامه اليسرى على طرف خنصره الأيسر على العقد الأول) .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد . قال : ثنا أبي ، ثنا حماد بن سلمة ، قال : ثنا ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لما تجلى ربه للجبل رفع خنصره ، وقبض على مفصل منها ، فانساخ الجبل » ، فقال له حميد : أتحدث بهذا ؟ قال : حدثنا أنس عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وتقول : لا تحدث به ؟! .

حدثنا محمد بن يحيى قال : ثنا عفان بن مسلم قال : ثنا حماد بن سلمة قال : ثنا ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في قوله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا ﴾ قال : تجلى قال بيده هكذا (ووصف عفان بطرف أصبعه الخنصر) قال : فساخ الجبل فقال حميد لثابت : أتحدث بمثل هذا ؟ قال : فرفع ثابت يده فضرب صدره وقال : حدثنيه أنس عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وتقول : أتحدث بمثل هذا ؟!

حدثنا محمد قال : ثنا الهيثم بن جميل قال : ثنا حماد عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بمثله .

وحدثنا محمد قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم قال : ثنا حماد قال : ثنا ثابت ، عن أنس أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم تلا هذه الآية ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخر موسى صعقًا ﴾ .

قال فحكاه النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فوضع خنصره على إبهامه فساخ الجبل فتقطع .

وحدثنا محمد قال : ثنا حجاج (يعني ابن منهال) عن حماد بن سلمة بمثله ، عن ثابت ، عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قرأ هذه الآية : ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ .

وحدثنا محمد قال : ثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : تلا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بهذا نحو حديثهم .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

العصا واليد

قال اللَّه سبحانه وتعالى حكاية عن الحوار بين موسى عليه السلام وبين فرعون :

﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين * قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون * قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين * يأتوك بكل ساحر عليم * وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم لمن المقربين * قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين * قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم * وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى * قال ألقها يا موسى * فألقاها فإذا هي حية تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها

الأولى * واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى * لنريك من آياتنا الكبرى﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حاكيًا عن موسى عليه السلام :

﴿قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا اللَّه رب العالمين * وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرًا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين * اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرًا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسنًا بعد سوء فإني غفور رحيم * وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ .

فرق البحر

قال اللَّه سبحانه وتعالى :

﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرًا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ فلما تراءَا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إني معي ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم * وأزلفنا ثم الآخرين * وأنجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فأسر بعبادي ليلًا إنكم متبعون * واترك البحر رهوًا إنهم جند مغرقون ﴾ .

تحويل الآدميين إلى قردة وخنازير

قال اللَّه سبحانه وتعالى :

﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه اللَّه (ج ٤ ص ٢٠٥٠) : حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، وأبو كريب ، واللفظ لأبي بكر ، قالا : حدثنا وكيع ، عن مسعر ،

عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد اللَّه اليشكري، عن المعرور ابن سويد، عن عبد اللَّه قال: قالت أم حبيبة زوج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: اللهم أمتعني بزوجي، رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، وبأبي، أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «قد سألت اللَّه لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله، أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت اللَّه أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرًا وأفضل».

قال: وذكرت عنده القردة، قال مسعر: وأراه قال: والخنازير من مسخ، فقال: «إن اللَّه لم يجعل للمسخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك».

حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن بشر عن مسعر بهذا الإسناد، غير أن في حديثه عن ابن بشر ووكيع جميعًا: من عذاب من النار، وعذاب في القبر.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وحجاج بن الشاعر - واللفظ لحجاج - قال إسحاق: أخبرنا، وقال حجاج: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد اللَّه اليشكري، عن معرور بن سويد، عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: قالت أم حبيبة: اللهم متعني بزوجي، رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، وبأبي، أبي سفيان، وبأخي، معاوية، فقال لها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إنك سألت اللَّه لآجال مضروبة، وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة، لا يعجل شيئًا منها قبل حله، ولا يؤخر شيئًا منها بعد حله، ولو سألت اللَّه أن يعافيك من عذاب في النار، وعذاب في القبر، لكان خيرًا لك». قال: فقال رجل: يا رسول اللَّه القردة والخنازير هي مما مسخ؟ فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «إن اللَّه

عز وجل لم يهلك قومًا ، أو يعذب قومًا ، فيجعل لهم نسلًا ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » .

حدثنيه أبو داود سليمان بن معبد ، حدثنا الحسين بن حفص ، حدثنا سفيان بهذا الإسناد ، غير أنه قال : « وآثار مبلوغة » .

قال ابن معبد : وروى بعضهم : « قبل حله » : أي : نزوله .

وأخرجه الإمام أحمد (ج ١ ص ٤٣٣) فقال : ثنا وكيع ، عن مسعر ، عن علقمة به . ثم قال الإمام أحمد : ثنا عبد الرزاق ، ثنا الثوري ، عن علقمة بن مرثد نحوه بإسناده ، ولم يشك في الخنازير .

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج ٣ ص ٤٦) : ثنا عبد الصمد ، ثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « ضل سبطان من بني إسرائيل ، فأرهب أن تكون الضباب » .

ثم قال رحمه اللَّه (ج ٣ ص ٦٢) : ثنا أبو سعيد ، ثنا أبو عقيل ، قال : ثنا أبو نضرة ، عن أبي سعيد قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : عامة طعام أهلي ، يعني الضباب ، فلم يجبه ، فلم يجاوز إلا قريبًا فعاوده ، فلم يجبه فعاوده ثلاثًا ، فقال : « إن اللَّه تعالى لعن أو غضب على سبط من بني إسرائيل ، فمسخوا دواب ، فلا أدري لعله بعضها ، فلست بآكلها ، ولا أنهى عنها » .

هذا حديث صحيح ، وأبو عقيل هو بشير بن عقبة ، وأبو سعيد هو عبد الرحمن بن عبد اللَّه ، مولى بني هاشم .

والحديث أخرجه مسلم في « صحيحه » .

ومنها : نقل المكان عن موضعه

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ .

● **في هاتين الآيتين دليل من دلائل نبوة موسى عليه السلام** ، لم اشتملتا عليه من عجيب قدرة اللَّه في رفع الجبل على قوم موسى ، وإلزامهم على أن يأخذوا ما جاء به من عند اللَّه .

نقل عرش ملكة سبأ

قال اللَّه سبحانه وتعالى حاكيًا عن نبي اللَّه سليمان عليه السلام :

﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرًا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم * قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ .

نقل بيت المقدس إلى مكة
ليراه النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ثم رده

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٧ ص ١٩٦) : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، سمعت جابر بن عبد اللّٰه ، رضي اللّٰه عنهما ، أنه سمع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول : « لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى اللّٰه لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه » .

قال الإمام مسلم رحمه اللّٰه (ج ١ ص ١٥٦) : وحدثني زهير بن حرب ، حدثنا حجين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز ، وهو ابن أبي سلمة ، عن عبد اللّٰه ابن الفضل ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي ، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ما كربت مثله قط . قال : فرفعه اللّٰه لي أنظر إليه ، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي ، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي ، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم ، يعني نفسه ، فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد ، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ، فالتفت إليه فبدأني بالسلام » .

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ١ ص ٣٠٩) : ثنا محمد بن جعفر وروح المعنى قالا : ثنا عوف ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن عباس قال : قال

رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « لما كان ليلة ، أسرى بي ، وأصبحت بمكة ، فظعت بأمري ، وعرفت أن الناس مكذبي ، فقعدت معتزلًا حزينًا » قال : فمر عدو اللَّه أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « نعم » فقال : ما هو؟ قال : « إنه أسري به الليلة » . قال : إلى أين؟ قال : « إلى بيت المقدس » . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : « نعم » . قال : فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه قال : أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني ؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « نعم » فقال : هيا معشر بني كعب بن لؤي حتى قال : فانفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما . قال : حدث قومك بما حدثتني فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إني أسري بي الليلة » . قالوا : إلى أين؟ فقلت : « إلى بيت المقدس » . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : « نعم » قال : فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبًا للكذب زعم . قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ، وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ، ورأى المسجد ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « فذهبت أنعت ، فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت » . قال : فجيء بالمسجد ، وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال ، أو عقيل ، فنعته وأنا أنظر إليه » . قال : « وكان مع هذا نعت لم أحفظه » . قال : فقال القوم : أما النعت فواللَّه لقد أصاب .

حديث صحيح على شرط الشيخين .

* * *

من عجائب قدرة اللّه :

أن فتح أسماع أهل منى لكلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم من المكان البعيد

قال الإمام أبو داود رحمه اللّه (ج ٢ ص ٤٩٠) : حدثنا مسدد ، حدثنا عبد الوارث ، عن حميد الأعرج[1] عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي . قال : خطبنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ونحن بمنى ، ففتحت أسماعنا ، حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم ، حتى بلغ الجمار فوضع إصبعيه السبابتين ، ثم قال - بحصى الخذف ، ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد ، وأمر الانصار فنزلوا من وراء المسجد ، ثم نزل الناس بعد ذلك .

حديث صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح .

● **تنبيه :** شذ معمر فرواه عن حميد الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن معاذ ، عن رجل من أصحاب النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، كما في « **سنن أبي داود** » (ج ٢ ص ٤٨٨) وعند أحمد (ج ٤ ص ٦١ وج ٥ ص ٣٧٤) ، وأما عبد الوارث فتابعه غير واحد ، كما في ترجمة عبد الرحمن بن معاذ في « **تهذيب التهذيب** » .

---

(١) هو حميد بن قيس ثقة .

من عجائب القدرة الإلهية : تكثير الطعام

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٥٨٦) : حدثنا عبد اللَّه بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحة . أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ضعيفًا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصًا من شعير ، ثم أخرجت خمارًا لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت يدي ، ولاثتني ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . قال : فذهبت به ، فوجدت رسول اللَّه في المسجد ، ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « آرسلك أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم . قال : « بطعام ؟ » قلت : نعم . فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لمن معه : « قوموا » . فانطلق ، وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : اللَّه ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فأقبل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وأبو طلحة معه ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « هلمي يا أم سليم ما عندك » ، فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ففت ، وعصرت أم سليم عكة فأدمته ، ثم قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فيه ما شاء اللَّه أن يقول . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة »

فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأكل القوم كلهم ، حتى شبعوا ، والقوم سبعون ، أو ثمانون رجلًا .

قال البخاري رحمه الله (ج ٧ ص ٣٩٥) : حدثنا خلاد بن يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه قال : أتيت جابرًا ، رضي اللَّه عنه ، فقال : إنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة ، فجاءوا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق ، فقال : « أنا نازل » ثم قام ، وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا ، فأخذ النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم المعول ، فضرب في الكدية ، فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم ، فقلت : يا رسول اللَّه ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم شيئًا ما كان في ذلك صبر ، فعندك شيء؟ قالت : عندي شعير ، وعناق ، فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم بالبرمة ، ثم جئت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافي ، قد كادت أن تنضج ، فقلت : طعيم لي ، فقم أنت يا رسول اللَّه ، ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو؟ » فذكرت له ، فقال : « كثير طيب » قال : « قل لها لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور ، حتى آتي » فقال : « قوموا » فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحك ، جاء النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بالمهاجرين ، والأنصار ، ومن معهم ، قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم ، فقال : « ادخلوا ، ولا تضاغطوا » ، فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة ، والتنور ، إذا أخذ منهم ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ، ويغرف ، حتى شبعوا ، وبقي بقية ، قال : « كلي هذا ، وأهدي ؛ فإن الناس أصابتهم مجاعة » .

حدثني عمرو بن علي، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان، أخبرنا سعيد بن ميناء، قال: سمعت جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خمصًا شديدًا، فانكفيت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خمصًا شديدًا، فأخرجت إليّ جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فقالت: لا تفضحني برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وبمن معه، فجئته، فساورته، فقلت: يا رسول اللَّه ذبحنا بهيمة لنا، وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سورًا، فحي هلا بكم»، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم، حتى أجيء»، فجئت، وجاء رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقدم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينًا، فبصق فيه، وبارك، ثم عمد إلى برمتنا، فبصق، وبارك، ثم قال: «ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها»، وهم ألف، فأقسم باللَّه لقد أكلوا حتى تركوه، وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص ٥٨٧): حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا معتمر، عن أبيه، حدثنا أبو عثمان أنه حدثه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللَّه عنه أن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، أو سادس»، أو كما قال. وأن أبا بكر

جاء بثلاثة ، وانطلق النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بعشرة ، وأبو بكر ثلاثة قال : فهو أنا وأبي وأمي ، ولا أدري هل قال امرأتي ؟ وخادمي ، بين بيتنا وبين بيت أبي بكر ، وأن أبا بكر تعشى عند النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء اللَّه ، قالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك ؟ أو ضيفك قال : أو عشيتهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيء ، قد عرضوا عليهم فغلبوهم ، قال : فذهبت فاختبأت فقال : يا غنثر ، فجدع وسب ، وقال : كلوا وقال : لا أطعمه أبدًا قال : وايم اللَّه ما كنا نأخذ من اللقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها ، حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل ، فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر فقال لامرأته : يا أخت بني فراس ، قالت : لا وقرة عيني ، لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرار ، فأكل منها أبو بكر وقال : إنما كان الشيطان ، يعني يمينه ، ثم أكل منها لقمة ، ثم حملها إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأصبحت عنده ، وكان بيننا وبين قوم عهد ، فمضى الأجل ، ففرقنا اثنا عشر رجلًا ، مع كل رجل منهم أناس ، اللَّه أعلم كم مع كل رجل ، غير أنه بعث معهم ، قال : أكلوا منها أجمعون ، أو كما قال وغيره يقول (فعرفنا) من العرافة .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٦٢٧) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٤ ص ٣٤٤) : حدثنا عبدان ، أخبرنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن جابر رضي اللَّه عنه قال : توفي عبد اللَّه بن عمرو ابن حرام ، وعليه دين ، فاستعنت النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على غرمائه ، أن يضعوا من دينه ، فطلب النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فلم يفعلوا ، فقال لي النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « اذهب فصنف تمرك

أصنافًا : العجوة على حدة ، وعذاق ابن زيد على حدة ، ثم أرسل إلي » ففعلت ، ثم أرسلت إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فجاء فجلس على أعلاه ، أو في وسطه ثم قال : « كِل للقوم » فكلتهم حتى أوفيتهم الذي لهم ، وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء . وقال فراس عن الشعبي : حدثني جابر عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فما زال يكيل لهم ، حتى أداه ، وقال هشام ، عن وهب ، عن جابر قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « جذ له ، فأوف له » .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٥ ص :٦٠) : حدثني إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس ، عن هشام ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما ، أنه أخبره أن أباه توفي ، وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجل من اليهود ، فاستنظره جابر فأبى ، أن ينظره ، فكلم جابر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ليشفع له إليه ، فجاء رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالتي له ، فأبى ، فدخل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم النخل ، فمشى فيها ، ثم قال لجابر : « جد له ، فأوف له الذي له » فجدَّه بعد ما رجع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فأوفاه ثلاثين وسقًا ، وفضلت له سبعة عشر وسقًا ، فجاء جابر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، ليخبر بالذي كان ، فوجده يصلي العصر ، فلما انصرف أخبر بالفضل فقال : « أخبر ذلك ابن الخطاب » فذهب جابر إلى عمر فأخبره ، فقال له عمر : لقد علمت حين مشى فيها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، ليباركن فيها .

قال الترمذي رحمه اللَّه (ج ١٠ ص ٩٨) : حدثنا محمد بن بشار ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا سليمان التيمي ، عن أبي العلاء ، عن سمرة بن

جندب قال : كنا مع النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل ، تقوم عشرة وتقعد عشرة . قلنا : فما كانت تمد ؟ قال : « من أي شيء تعجب ما كانت تمد إلا من ها هنا » وأشار بيده إلى السماء .

هذا حديث حسن صحيح . وأبو العلاء اسمه يزيد بن عبد اللّٰه بن الشخير .

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ٢ ص ٣٥٢) : حدثنا يونس ، حدثنا حماد ، يعني : ابن زيد ، عن المهاجر ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة قال : أتيت النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يومًا بتمرات ، فقلت : ادع اللّٰه لي فيهن بالبركة . قال : فصفهن بين يديه ، قال : ثم دعا فقال لي : « اجعلهن في مزود ، وأدخل يدك ، ولا تنثره » قال : فحملت منه كذا وكذا وسقًا في سبيل اللّٰه ، ونأكل ، ونطعم ، وكان لا يفارق حقوي ، فلما قتل عثمان رضي اللّٰه عنه انقطع عن حقوي ، فسقط .

هذا حديث حسن ، وقد حسنه الترمذي رحمه اللّٰه .

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ٢ ص ٣٢٤) : ثنا أبو عامر ثنا إسماعيل ، يعني : ابن مسلم ، عن أبي المتوكل ، عن أبي هريرة قال : أعطاني رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم شيئًا من تمر ، فجعلته في مكتل لنا ، فعلقناه في سقف البيت ، فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره أصابه أهل الشام ، حيث أغاروا على المدينة .

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات . وإسماعيل بن مسلم هو البصري ثقة ، وليس بالمكي ؛ ذاك ضعيف .

قال الإمام أحمد رحمه اللّٰه (ج ٤ ص ١٧٤) : ثنا وكيع ، ثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن دكين بن سعيد الخثعمي قال : أتينا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى

آله وسلم ونحن أربعون وأربعمائة ، نسأله الطعام . فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لعمر : « قم فأعطهم » . قال : يا رسول اللَّه ما عندي إلا ما يقيظني والصبية - قال وكيع : القيظ في كلام العرب : أربعة أشهر - قال : « قم فأعطهم » . قال عمر : يا رسول اللَّه سمعًا وطاعة . قال : فقام عمر وقمنا معه ، فصعد بنا إلى غرفة له ، فأخرج المفتاح من حجزته ، ففتح الباب . قال دكين : فإذا بالغرفة من التمر شبيه بالفصيل الرابض . قال : شأنكم ، قال : فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء . قال ثم التفت ، وإني لمن آخرهم ، وكأنا لم نرزأ منه تمرة .

ثنا يعلى بن عبيد ، ثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن دكين بن سعيد المزني قال : أتينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أربعون راكبًا ، وأربعمائة نسأله الطعام ، فقال لعمر : « اذهب فأعطهم » فقال : يا رسول اللَّه ما بقي إلا آصع من تمر ما أرى أن يقيضني ، قال : « اذهب فأعطهم » . قال : سمعًا وطاعة . قال : فأخرج عمر المفتاح من حجزته ففتح الباب ، فإذا شبه الفصيل الرابض من تمر ، فقال : لتأخذوا ، فأخذ كل رجل منا ما أحب ثم التفت ، وكنت من آخر القوم ، وكأنا لم نرزأ تمرة .

ثنا وكيع ، ثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن دكين بن سعيد قال : أتينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . **فذكر الحديث** .

ثنا يعلى ومحمد ابنا عبيد قالا : ثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن دكين بن سعيد المزني قال : أتينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . **فذكر الحديث** .

الحديث صحيح على شرط الشيخين .

وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاها.

وإسماعيل هو ابن أبي خالد، وقيس هو ابن أبي حازم البجليان.

ومن عجائب القدرة الإلهية: تكثير الماء القليل

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٥٨١): حدثنا عبد الرحمن بن مبارك، حدثنا حزم قال: سمعت الحسن قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض مخارجه، ومعه ناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة فلم يجدوا ماء يتوضئون، فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير، فأخذه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتوضأ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح، ثم قال: «قوموا فتوضئوا» فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء، وكانوا سبعين أو نحوه.

قال البخاري رحمه الله (ج ٦ ص ٥٨٠): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإناء، وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم. قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة[1].

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٨٣).

---

(١) **قال الحافظ**: وظهر لي من مجموع الروايات أنهما قصتان في موطنين؛ للتغاير في عدد من حضر، وهي مغايرة واضحة يبعد الجمع فيها، وكذلك تعيين المكان الذي وقع ذلك فيه؛ لأن ظاهر رواية الحسن أن ذلك كان في سفر، بخلاف رواية قتادة فإنها ظاهرة في أنها كانت بالمدينة.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١ ص ٢٧١) : حدثنا عبد اللَّه بن يوسف قال : أخبرنا مالك ، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك أنه قال : رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بوضوء ، فوضع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضئوا منه . قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، حتى توضئوا من عند آخرهم .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٨٣) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١ ص ٣٠١) : حدثنا عبد اللَّه بن منير ، سمع عبد اللَّه بن بكر ، قال : حدثنا حميد ، عن أنس قال : حضرت الصلاة ، فقام من كان قريب الدار إلى أهله ، وبقي قوم ، فأتي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بمخضب من حجارة فيه ماء ، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه ، فتوضأ القوم كلهم ، قلنا : كم كنتم؟ قال ثمانين ، وزيادة .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١ ص ٣٠٤) : حدثنا مسدد قال : حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم دعا بإناء من ماء فأتي بقدح رحراح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه قال أنس : فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه .

قال أنس : فحزرت من توضأ ما بين السبعين إلى الثمانين .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٨٣) .

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ١ ص ٤٤٧) : حدثنا مسدد ، قال : حدثني يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عوف ، قال : حدثنا أبو رجاء ، عن عمران

قال : كنا في سفر مع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وإنا أسرينا حتى إذا كان في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس وكان أول من استيقظ فلان[1] ، ثم فلان ، ثم فلان يسميهم أبو رجاء فنسي عوف ، ثم عمر بن الخطاب الرابع ، وكان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأنّا لا ندري ما يحدث له في نومه . فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس وكان رجلاً جليدًا فكبر ورفع صوته بالتكبير ، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم قال : « لا ضير (أو لا يضير) ارتحلوا » فارتحل فسار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس ، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم قال : « ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم ؟ » قال : أصابتني جنابة ولا ماء . قال : « عليك بالصعيد فإنه يكفيك » ، ثم سار النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فاشتكى إليه الناس من العطش ، فنزل فدعا فلانًا كان يسميه أبو رجاء نسيه عوف ، ودعا عليًّا فقال : « اذهبا فابتغيا الماء » فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعير لها . فقالا لها : أين الماء؟ قالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوفًا قالا لها : انطلقي إذًا ، قالت : إلى أين؟ قالا إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قالت : الذي يقال له الصابئ . قالا : هو الذي تعني فانطلقي فجاءا بها إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وحدثاه الحديث . قال : « فاستنزلوها عن بعيرها » ، ودعا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بإناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين وأوكأ أفواههما ، وأطلق العزالي

---

(١) في « **الصحيح** » (ج ٦ ص ٥٨٠) وكان أول من استيقظ أبو بكر .

ونودي في الناس اسقوا واستقوا فسقى[1] من شاء، واستقى من شاء، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء قال: «اذهب فأفرغه عليك»، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها. وايم اللَّه لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملاءة منه حين ابتدأ فيها فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «اجمعوا لها»، فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعامًا فجعلوها في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها. قال لها: «تعلمين ما رزئنا من مائك شيئًا، ولكن اللَّه هو الذي أسقانا» فأتت أهلها، وقد احتبست عنهم قالوا ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب؛ لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ ففعل كذا وكذا، فواللَّه إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه وقالت بأصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السماء تعني السماء والأرض أو إنه لرسول اللَّه حقًّا. فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين، ولا يصيبون الصرم الذي هي منه فقالت يومًا لقومها ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدًا فهل لكم من الإسلام؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام.

قال أبو عبد اللَّه: صبأ خرج من دين إلى دين غيره.

وقال **أبو العالية**: الصابئين فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج ٦ ص ٥٨١): حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا حصين، عن سالم بن أبي الجعد[2]، عن جابر بن

---

(١) في «**الصحيح**» (ج ٦ ص ٥٨٠): فشربنا عطاش أربعون رجلًا حتى روينا فملأنا كل قربة معنا وإداوة غير أنه لم نسق بعيرًا.

(١) **في «سنن الدارمي»** (ج ١ ص ١٤) سمعت جابر بن عبد اللَّه، وسيأتي الحديث وفيه متابعة عمرو بن دينار لسالم.

وتابعه **أيضًا** نبيح العنزي كما عند الدارمي (ج ١ ص ١٣) وقد وثقه أبو زرعة كما في «**تهذيب التهذيب**».

عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال : « ما لكم ؟ » قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة .

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ١٠ ص ١٠١) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش قال : حدثني سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنهما هذا الحديث قال : قد رأيتني مع النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة فجعل في إناء فأتى النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم به فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال : « حي على أهل[1] الوضوء البركة من اللّٰه » ، فلقد رأيت الماء ينفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس وشربوا فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة . قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألف وأربعمائة .

تابعه عمرو بن دينار ، عن جابر .

وقال حصين وعمرو بن مرة ، عن سالم ، عن جابر خمس عشرة مائة[2] .

وتابعه سعيد بن المسيب عن جابر .

قال الدارمي رحمه اللّٰه (ج ١ ص ١٤) : أخبرنا محمد بن عبد اللّٰه الرقاشي ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا الجعد أبو عثمان ، ثنا أنس بن مالك ، حدثنا جابر

---

(١) **قوله** : « حي على أهل الوضوء » **قال الحافظ : كذا للأكثر وفي رواية « النسفي »** « حيَّ على الوضوء » بإسقاط لفظ أهل وهي أصوب ، ثم ذكر الحافظ توجيهها على تقدير ثبوتها . فليراجع في « **الفتح** » .

(٢) **يقول الحافظ** : الجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا زيادة على ألف وأربعمائة فمن اقتصر عليها ألغى الكسر . ومن قال ألف وخمسمائة جبره .

ابن عبدالله . قال : شكا أصحاب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم العطش فدعا بعس فصب فيه ماء، ووضع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يده فيه . قال : فجعلت أنظر إلى الماء ينبع عيونًا من بين أصابع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم والناس يستقون حتى استقى الناس كلهم .

الحديث على شرط البخاري .

والجعد : هو ابن دينار .

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٦ ص ٥٨١) : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق[1] ، عن البراء رضي اللّٰه عنه قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا .

قال البخاري رحمه اللّٰه (ج ٦ ص ٥٨٧) : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد اللّٰه قال : كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا ، كنا مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم في سفر فقل الماء فقالوا : اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال : « حي على الطهور المبارك والبركة من اللّٰه » ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

---

(١) **في البخاري** (ج ٧ ص ٤٤١) : أنبأنا البراء . فأمنا من تدليس أبي إسحاق ، لكن الراوي عنه زهير : وهو ابن معاوية ، وهو من روى بعد الاختلاط .

● **قال الإمام مسلم رحمه الله** (ج٣ ص١٤٣٣): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا هاشم بن القاسم.

(ح) وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا أبو عامر العقدي كلاهما عن عكرمة بن عمار.

(ح) وحدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي، وهذا حديثه أخبرنا أبو علي الحنفي عبيد اللَّه بن عبد المجيد، حدثنا عكرمة: وهو ابن عمار، حدثني إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: قدمنا الحديبية مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها قال: فقعد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على حبا الركية (فإما دعا وإما بسق فيها) فجاشت فسقينا واستقينا. قال ثم إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة قال: فبايعته في أول الناس ثم بايع وبايع حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بايع يا سلمة» قال: قلت قد بايعتك يا رسول اللَّه في أول الناس. قال «أيضًا» قال ورآني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عزلًا يعني ليس معه سلاح، قال: فأعطاني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حجفة أو درقة ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني يا سلمة؟»، قلت: قد بايعتك يا رسول اللَّه في أول الناس وفي أوسط الناس قال «وأيضًا» قال فبايعته الثالثة ثم قال لي: «يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟» قال: قلت: يا رسول اللَّه لقيني عمي عامر عزلًا فأعطيته إياها فضحك رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وقال: «إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبًا هو أحب إلي من نفسي». ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا قال: وكنت تبيعًا لطلحة بن

عبيد اللَّه أسقي فرسه وأحسه وأخدمه وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجرًا إلى اللَّه ورسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فكسحت شوكها فاضطجعت في أصلها قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فأبغضتهم فتحولت إلى شجرة أخرى وعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي يا للمهاجرين قتل ابن زنيم قال: فاخترطت سيفي ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثًا في يدي. قال ثم قلت: والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه قال ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز يقوده إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على فرس مجفف في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه»، فعفا عنهم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأنزل اللَّه ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ الآية.

قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلًا بيننا وبين بني لحيان (جبل)، وهم المشركون فاستغفر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لمن رقي هذا الجبل الليلة كأنه طليعة للنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأصحابه قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثًا، ثم قدمنا المدينة فبعث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بظهره مع رباح غلام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأنا معه وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع

الظهر فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فاستاقه أجمع، وقتل راعيه. قال فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد اللَّه، وأخبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أن المشركين قد أغاروا على سرحه قال: ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثًا يا صباحاه ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فألحق رجلًا فهم فأصك سهمًا في رحله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه قال قلت: خذها.

وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال فواللَّه ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به. حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل، فجعلت أرديهم بالحجارة. قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق اللَّه من بعير من ظهر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلا خلفته وراء ظهري وخلوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحًا يستخفون ولا يطرحون شيئًا إلا جعلت عليه آرامًا من الحجارة يعرفها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأصحابه، حتى أتوا متضايقًا من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون يعني يتغدون وجلست على رأس قرن. قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح[1] واللَّه ما فارقنا منذ غلس

(١) البرح آخره حاء مهملة: الشدة.

يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا . قال : فليقم إليه نفر منكم أربعة . قال : فصعد إلي منهم أربعة في الجبل . قال : فلما أمكنوني من الكلام قال : قلت : هل تعرفوني؟ قالوا : لا ومن أنت؟ قال : قلت : أنا سلمة بن الأكوع ، والذي كرم وجه محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لا أطلب رجلًا منكم إلا أدركته ولا يطلبني رجل منكم فيدركني . قال أحدهم أنا أظن . قال : فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يتخللون الشجر . قال : فإذا أولهم الأخرم الأسدي ، على أثره أبو قتادة الأنصاري ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندي . قال : فأخذت بعنان الأخرم . قال : فولوا مدبرين . قلت : يا أخرم احذرهم لا يقتطعونك حتى يلحق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأصحابه قال : يا سلمة إن كنت تؤمن باللَّه واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال : فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن قال : فعقر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله ، وتحول على فرسه ولحق أبو قتادة فارس رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بعبد الرحمن فطعنه ، فقتله فواللَّه الذي كرم وجه محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ولا غبارهم شيئًا حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له : ذا قرد ليشربوا منه وهم عطاش . قال : فنظروا إليّ أعدو وراءهم فخليتهم عنه يعني : أجليتهم عنه فما ذاقوا منه قطرة . قال : ويخرجون فيشتدون في ثنية قال : فأعدو فألحق رجلًا منهم فأصكه بسهم في نغض كتفه . قال : قلت : خذها وأنا ابن الأكوع . واليوم يوم الرضع . قال : يا ثكلته أمه أكوعه بكرة

قال : قلت : نعم يا عدو نفسه أكوعك بكرة . قال : وأرادوا فرسين على ثنية قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء . فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو على الماء الذي حلأتهم عنه فإذا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة . وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي(١) استنقذت من القوم ، وإذا هو يشوي لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم من كبدها وسنامها قال : قلت : يا رسول اللَّه خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . قال : فضحك رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حتى بدت نواجذه في ضوء النهار فقال : « يا سلمة أتراك كنت فاعلًا ؟ » ، قلت : نعم والذي أكرمك . فقال : « إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان » . قال : فجاء رجل من غطفان فقال : نحر لهم فلان جزورًا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارًا فقالوا : أتاكم القوم فخرجوا هاربين ، فلما أصبحنا قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة . وخير رجالتنا سلمة » . قال : ثم أعطاني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعًا ثم أردفني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة . قال : فبينما نحن نسير . قال : وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدًّا قال فجعل يقول : ألا مسابق إلى المدينة هل من مسابق ؟ فجعل يعيد ذلك . قال : فلما سمعت كلامه قلت : أما تكرم كريمًا ولا تهاب شريفًا ؟ قال : لا . إلا أن يكون

(١) في التعليق كذا في أكثر النسخ : « الذي » ، وفي بعضها « التي » وهو أوجه .

رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : قلت : يا رسول اللَّه بأبي وأمي ذرني فلأسابق الرجل . قال : « إن شئت » . قال : قلت : اذهب إليك وثنيت رجلي فطفرت فعدوت قال : فربطت عليه شرفًا أو شرفين أستبقي نفسي . ثم عدوت في إثره ، فربطت عليه شرفًا أو شرفين ثم إني رفعت حتى ألحقه . قال : فأصكه بين كتفه قال : قلت : قد سبقت واللَّه . قال : أنا أظن قال : فسبقته إلى المدينة . قال : فواللَّه ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . قال : فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم :

تاللَّه لولا اللَّه ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « من هذا ؟ » قال : أنا عامر . قال : « غفر لك ربك » . قال : وما استغفر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد . قال : فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له : يا نبي اللَّه لولا ما متعتنا بعامر ؟ . قال : فلما قدمنا خيبر . قال : خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بكل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال : وبرز له عمي عامر فقال :

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بكل مغامر

قال : فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسقل له، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه.

قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقولون : بطل عمل عامر. قتل نفسه قال : فأتيت النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم وأنا أبكي فقلت : يا رسول اللّٰه بطل عمل عامر؟ قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : «من قال ذلك؟» قال : قلت : ناس من أصحابك قال : «كذب من قال ذلك. بل له أجره مرتين». ثم أرسلني إلى علي، وهو أرمد. فقال : «لأعطين الراية رجلًا يحب اللّٰه ورسوله» أو «يحبه اللّٰه ورسوله». قال : فأتيت عليًا فجئت به أقوده، وهو أرمد. حتى أتيت به رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم. فبسق في عينيه فبرأ. وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال :

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بكل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي :

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال : فضرب رأس مرحب فقتله. ثم كان الفتح على يديه.

قال إبراهيم : حدثنا محمد بن يحيى. حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن عكرمة بن عمار، بهذا الحديث بطوله.

وحدثنا أحمد بن يوسف الأزدي السلمي. حدثنا النضر بن محمد، عن عكرمة بن عمار بهذا.

قال الحاكم رحمه الله (ج ٣ ص ٣٨) : أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبي ، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا إياس بن سلمة قال : حدثني أبي ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خيبر حين بصق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في عيني علي فبرأ ، فأعطاه الراية ، فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بكل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال : فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول :

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال : فضرب مرحبًا ففلق رأسه ، فقتله وكان الفتح .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه بهذا السياق .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٧٨٤) : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، حدثنا أبو علي الحنفي ، حدثنا مالك (وهو ابن أنس) ، عن أبي الزبير المكي أن أبا الطفيل عامر بن واثلة ، أخبره أن معاذ بن جبل أخبره قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عام غزوة تبوك ، فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر جميعًا والمغرب والعشاء جميعًا . حتى إذا كان يوم أخر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا . ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعًا ثم قال : « إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله

عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتي » . فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبص بشيء من ماء قال فسألهما رسول اللَّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « هل مسستما من مائها شيئًا ؟» قالا : نعم فسبهما النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وقال لهما ما شاء اللَّه أن يقول . قال : ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلًا قليلًا حتى اجتمع في شيء . قال : وغسل رسول اللّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها . فجرت العين بماء منهمر (أو قال غزير) - شك أبو علي أيهما قال ، حتى استسقى الناس ثم قال : « يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانًا » .

* * *

بعض ما صح عن السلف رحمهم اللَّه في القدر

1 عمر بن الخطاب

قال عبد اللَّه بن أحمد (ص ١٣٤) : حدثني أبي ، حدثنا يحيى بن حماد ، أنا أبو عوانة ، عن رقبة ، عن أبي صخرة ، عن عمرو بن ميمون سمعت عمر ابن الخطاب يقول حين طعن : كان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا .

هذا الأثر صحيح وأبو صخرة اسمه : جامع بن شداد .

2 عبد الرحمن بن عوف

قال معمر بن راشد في «الجامع» (ج ١ ص ١٢) : من «مصنف عبد الرزاق» ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أمه (أم كلثوم ابنة عقبة ، وكانت من المهاجرات الأول أن عبد الرحمن بن عوف غشي عليه غشية ظنوا أن نفسه فيها ، فخرجت إلى المسجد تستعين بما تستعين به من الصبر والصلاة ، فلما أفاق قال : أغشي عليّ ؟ قالوا : نعم . قال : صدقتم إنه أتاني ملكان في غشيتي هذه فقالا : ألا تنطلق فنحاكمك إلى العزيز الأمين فقال ملك آخر : أرجعاه فإن هذا ممن كتب له السعادة وهم في بطون أمهاتهم وسيمتع اللَّه به بنيه ما شاء اللَّه . قال : فعاش شهرًا ثم مات .

3 عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه

قال الإمام الطبري رحمه اللَّه (ج٣٠ ص: ١٩٩) حدثنا أبو كريب، قال ثنا وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن زر عن عبد اللَّه ﴿وهديناه النجدين﴾ قال: الخير والشر.

وقال (ص: ٢٠٠) حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا هشام بن عبد الملك، قال: ثنا شعبة قال: أخبرني عاصم، قال سمعت أبا وائل يقول كان عبد اللَّه يقول في: ﴿وهديناه النجدين﴾ قال نجد الخير ونجد الشر.

هذا الأثر حسن.

أبي بن كعب - وعبد اللَّه بن مسعود - وحذيفة.

وقد تقدم عنه مرفوعًا، وزيد بن ثابت مرفوعًا أيضًا كما سيأتي في (ص: ١٠٨).

قال جعفر بن محمد الفريابي رحمه اللَّه (ص: ١٠٣):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن شعبة، عن مخارق، عن طارق، عن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: الشقي من شقي في بطن أمه.

وقال: حدثنا إسماعيل بن مسعود، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن شعبة، عن أبي إسحاق الهمداني وسلمة بن كهيل إنهما سمعا أبا الأحوص الجشمي يقول: كان عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه يقول الشقي من شقي في بطن أمه وأن السعيد من وعظ بغيره.

الأثر صحيح.

4 ابن عباس

قال عبد الله بن أحمد في « السنة » (ص ١٤١) : حدثني أبي ، حدثنا أبو معاوية ، قال الأعمش : عن عبد الملك بن ميسرة ، عن طاوس قال : كنت مع ابن عباس في حلقة قال : فذكروا أهل القدر ، قال : فقال في الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأ عليه : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًّا كبيرًا ﴾ وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا .

هذا الأثر صحيح .

وقال عبد اللّه بن أحمد في « السنة » (ص ١٤١) : حدثني أبي ، حدثنا هشيم ، نا أبو هاشم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ذكر عنده القدرية : قال : فقال : لو رأيت أحدًا منهم لعضضت أنفه .

قال مجاهد : قال ابن عمر : من رأى منكم أحدًا فليقل : إن ابن عمر منكم بريئ . هذا الأثر صحيح وأبو هاشم : هو الرماني .

قال الإمام معمر بن راشد في « الجامع » كما في آخر « مصنف عبد الرزاق » (ج ١١ ص ١١٤) : عن ابن طاوس ، عن أبيه أن رجلًا قال لابن عباس : إن أناسًا يقولون : إن الشر ليس بقدر ، فقال ابن عباس : فبيننا وبين أهل القدر هذه الآية : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء اللّه ما أشركنا ﴾ حتى ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ .

هذا الأثر سنده صحيح .

وقال (ص ١٧) : عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : العجز والكيس بقدر .

قال الإمام البخاري رحمه اللّٰه في «خلق أفعال العباد» (ص ٤٠) : حدثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما : العجز والكيس من القدر .

هذا الأثر صحيح .

قال عبد اللّٰه بن أحمد في كتاب «السنة» (ص ١٣٨) : حدثني أبي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنا يحيى بن سعيد أن أبا الزبير أخبره أنه كان يطوف مع طاوس بالبيت ، فمر بمعبد الجهني ، فقال قائل لطاوس : هذا معبد الجهني الذي يقول في القدر ، فعدل إليه طاوس حتى وقف عليه فقال : أنت المفتري على اللّٰه القائل ما لا تعلم ، قال معبد : يكذب عليّ ، قال أبو الزبير : فعدلت مع طاوس ، حتى دخلنا على ابن عباس فقال له طاوس : يا أبا عباس الذين يقولون في القدر فقال ابن عباس : أروني بعضهم قال : قلنا : **صانع ماذا ؟ إذًا** أجعل يدي في رأسه ثم أدق عنقه .

هذا الأثر سنده حسن .

قال جعفر الفريابي في كتاب «القدر» (ص : ١٩١) :

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع ، عن حنظلة ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : الحذر لا يغني من القدر ولكن الدعاء يدفع القدر .

هذا أثر صحيح ، رجاله رجال الصحيح .

وحنظلة هو ابن أبي سفيان الجمحي ثقة حجة .

قال أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي في «القدر» (ص : ٧٢) :

حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا يعمر بن بشر عن ابن المبارك عن رباح بن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة قال : سمعت سعيد

ابن جبير يحدث عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: إن أول شيء خلق اللَّه تعالى القلم فأمره أن يكتب كل شيء يكون.

هذا أثر صحيح.

وقد رواه عن ابن عباس أيضًا مجاهد كما في «القدر» للفريابي (ص: ٨٠):

وقد روي مرفوعًا عن ابن عباس وموقوفًا، والصحيح وقفه كما ذكرناه في موضعه.

وقد صح من حديث عبادة بن الصامت.

5 عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب

قال فيمن يزعمون ألا قدر، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد اللَّه بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل اللَّه منه حتى يؤمن بالقدر.

تقدم مسندًا وهو أول حديث في الكتاب (ص: ١٣).

6 عبد اللَّه بن الزبير

قال الإمام مالك في «الموطأ» (ج ٣ ص ٩٣): عن زياد بن سعد، عن عمرو ابن دينار، أنه قال: سمعت عبد اللَّه بن الزبير يقول في خطبته: «إن اللَّه هو الهادي والفاتن».

هذا الأثر صحيح، ورجاله رجال الصحيح.

7 ناس من الصحابة

قال طاوس رحمه اللَّه : أدركت ناسًا من أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقولون : كل شيء بقدر .

رواه مسلم وقد تقدم مسندًا .

8 سعيد بن المسيب

قال معمر بن راشد في « الجامع » كما في آخر « مصنف عبد الرزاق » (ج ١١ ص ١٢٦) : عن قتادة قال : سألت سعيد بن المسيب عن القدر فقال : ما قدر اللَّه فقد قدره .

9 أبو السوار العدوي

قال الفريابي رحمه اللَّه في « القدر » (ص : ٢٠٦) :

حدثنا عبيد اللَّه بن معاذ حدثنا أبي حدثنا ابن عون قال : كنا جلوسًا مع أبي السوار العدوي في مسجد بني عدي فدخل معبد الجهني المسجد فقال أبو السوار : ما يدخل هذا مسجدنا ؟ لا تدعوه يجلس إلينا فقال بعض القوم إنما جاء إلى قريبة له معتكفة في هذه القبة فدخل معبد القبة ثم خرج فذهب .

أثر صحيح .

وأبو السوار العدوي البصري ، قيل : اسمه حسان بن حريث ، **وقيل :** العكس ، **وقيل :** حريف – آخره فاء ... ثقة .

وقال معمر (ج ١١ ص ١١٩) : عن قتادة عن الحسن قال : من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن .

قال عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه (ص ١٤٦) : حدثني أبي حدثنا إسماعيل ، أخبرنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : سألت الحسن عن قوله : ﴿ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك﴾ فقال : الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك ، ومن رحم غير مختلف فيه فلقنته ﴿ولذلك خلقهم﴾ فقال : نعم خلق هؤلاء لجنته ، وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

هذا الأثر صحيح .

قال الإمام أبو بكر بن محمد بن الحسين الآجري في « الشريعة » (ص: ٢١٧) : وأخبرنا الفريابي ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن عوف قال : سمعت الحسن يقول : من كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام ، ثم قال : إن اللَّه عز وجل خلق خلقًا فخلقهم بقدر ، وقسم الآجال بقدر ، وقسم أرزاقهم بقدر ، والبلاء والعافية بقدر .

هذا الأثر صحيح والفريابي : هو جعفر بن محمد ، وعوف : هو ابن أبي جميلة الملقب بالأعرابي .

قال عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه (ص: ١٤٥) : حدثني أبي حدثنا إسماعيل (يعني : ابن علية) حدثنا خالد الحذاء ، قال : قلت للحسن : أرأيت آدم للجنة خلق أم للأرض؟ قال : قلت : أرأيت لو اعتصم . قال : لم يكن بد من أن يأتي على الخطيئة .

هذا الأثر صحيح.

قال الإمام عبد الله بن أحمد رحمه الله (ص١٤٤): حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا حميد قال: قدم الحسن مكة فقال لي فقهاء مكة (الحسن بن مسلم وعبد الله بن عبيد): لو كلمت الحسن فأخلانا يومًا، فكلمت الحسن فقلت: يا أبا سعيد إخوانك يحبون أن تجلس لهم يومًا، قال: نعم ونعمة عين، فواعدهم يومًا فجاءوا فاجتمعوا وتكلم الحسن وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم فسألوه عن صحيفة طويلة، فلم يخطئ فيها شيئًا إلا في مسألة فقال له رجل: يا أبا سعيد من خلق الشيطان قال: سبحان الله سبحان الله هل من خالق غير الله، ثم قال إن الله خلق الشيطان، وخلق الشر، وخلق الخير، فقال رجل منهم: قاتلهم الله يكذبون على الشيخ.

هذا الأثر صحيح.

وقال عبد الله (ص: ١٤٥): حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا حميد قال: قرأت على الحسن في بيت أبي خليفة القرآن أجمع، من أوله إلى آخره وكان يفسره على الإثبات.

قال الآجري رحمه الله في «الشريعة» (ص٢١٧): وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذاء عن الحسن ﴿ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم﴾.

قال: الشياطين لا يفتنون بضلالاتهم إلا من قد أوجب عز وجل له أن يصلى الجحيم.

هذا الأثر صحيح.

والفريابي: هو جعفر بن محمد.

قال وأخبرنا الفريابي قال : حدثنا إبراهيم بن عبد اللَّه الهروي ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثنا خالد الحذاء ، عن الحسن قال : قلت : أرأيت قوله عز وجل : ﴿ما أنتم عليه بفاتنين ۝ إلا من هو صال الجحيم﴾ قال : إلا من كتب عليه أن يصلى الجحيم .

وأخبرنا الفريابي قال : حدثنا إبراهيم بن عبد اللَّه ، قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا منصور ، عن الحسن في قوله عز وجل : ﴿ما أنتم عليه بفاتنين ۝ إلا من هو صال الجحيم﴾ يقول : لستم عليه بمضلين إلا من هو صال الجحيم من سبق له في علم اللَّه عز وجل أن يصلى الجحيم .

إبراهيم بن عبد اللَّه الهروي مختلف فيه ، والظاهر أن روايته لا تنزل عن الحسن فيكون الأثر من رواية إبراهيم **صحيحًا لغيره** واللَّه أعلم .

قال عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه (ص:١٤٨) : حدثني أبي ، حدثنا إسماعيل ، عن منصور بن عبد الرحمن الغداني قال : قلت للحسن : ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ قال : قسمة اللَّه ، ومن يشك في هذا ، كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب اللَّه قبل أن نبرأ النسمة .

هذا الأثر صحيح .

قال جعفر الفريابي في « القدر » (ص : ٢٠٤) :

حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن زيد عن عبد اللَّه بن المختار قال : قال إياس بن معاوية : ما استزل الحسن إلا عطاء بن أبي ميمونة وأبو طلحة صاحب الزيادي فقالا للحسن إن الحجاج يقول : تجري أقلامنا على أقلام اللَّه عز وجل فقال : كذبت وفسقت .

هذا أثر حسن .

قال الفريابي رحمه الله في كتابه «القدر» (ص: ٢٠٧):

حدثنا عبيد الله بن عمر - يعني القواريري - حدثنا حماد بن زيد حدثنا خالد الحذاء قال: خرجت أو غبت غيبة لي، والحسن لا يتكلم في القدر وقدمت وإذا هم يقولون: قال الحسن وقال الحسن، فأتيته فدخلت عليه منزله قال: قلت: يا أبا سعيد أخبرني عن آدم أللسماء خُلق أم للأرض قال: ما هذا يا أبا منازل؟ قال حماد: يقول لي خالد ولم تكن هذه من مسائلنا قال: قلت: يا أبا سعيد إني أحب أن أعلم قال: بك للأرض خلق قال: قلت: أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة قال: لم يكن له بد من أن يأكل منها لأنه للأرض خلق.

الأثر صحيح.

قال الفريابي رحمه الله (ص: ٢٠٨) **من كتاب «القدر»:**

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب قال: نازلت الحسن في القدر وما عندي وعنده أحد إلا حميد الطويل فقال: أو لستما تريان ذلك قال: فما زلت حتى خوفته بالسلطان، فقال: ما أنا بعائدٍ إليه.

أثر صحيح.

11 محمد بن سيرين

قال عبد الله بن أحمد رحمه الله (ص: ١٤٧): حدثني أبي، حدثنا عبد الله بن الوليد العدني، حدثنا سفيان، عن داود، عن ابن سيرين قال: إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا أدري ما هم.

هذا الأثر سنده صحيح، وداود: هو ابن أبي هند.

قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رحمه الله في « الشريعة » (ص ٢١٩) : أخبرنا الفريابي قال : حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا معاذ بن معاذ ، عن ابن عون قال : لم يكن أبغض وأكره إلى محمد من هؤلاء القدرية .

وأخبرنا الفريابي ، حدثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : حدثنا أبي قال : حدثنا ابن عون ، قال : لم يكن قوم أبغض إلى محمد يعني : ابن سيرين من قوم أحدثوا في هذا القدر ما أحدثوا .

هذا الأثر صحيح .

قال الفريابي رحمه الله في « القدر » (ص : ٢٠٩) :

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا ابن عون حدثنا محمد عن رجلين اختصما في القدر فقال أحدهما لصاحبه : أرأيت الزنا بقدر هو؟ قال : نعم ، فقال محمد : وافق رجلًا حيًا .

أثر صحيح .

قال جعفر بن محمد الفريابي في « القدر » (ص : ٨٩) :

حدثنا عبيد الله بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين أنه قال : ما ينكر قوم أن الله عز وجل علم شيئًا فكتبه .

الأثر صحيح .

12 سعيد بن جبير

قال عبد الله بن أحمد رحمه الله (ص ١٣٣) : حدثني أبي ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان عن الأعمش ، عن عبد الله[1] بن عبد الله الرازي ، عن سعيد

---

(١) في « الأصل » عبيد الله ، والصواب ما أثبتناه كما في « تهذيب التهذيب » وكما سيذكر بعده إن شاء الله .

ابن جبير ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾ قال : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان .

وقال عبد الله (ص١٣٤) : حدثني أبي ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الإيمان وطاعة الله .

هذا الأثر صحيح .

13 إياس بن معاوية

قال عبد الله بن أحمد رحمه الله (ص١٤٥) حدثني أبي ، حدثنا عبد الله ابن يزيد (يعني : المقرئ) حدثنا حماد بن زيد ، حدثني حبيب بن الشهيد ، سمعت إياس بن معاوية ، يقول : ما كلمت أحدًا من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية فإني قلت لهم : ما الظلم فيكم ؟ فقالوا : أن يأخذ الإنسان ما ليس له ، فقلت لهم : فإن الله على كل شيء قدير .

هذا الأثر صحيح .

قال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله في « الشريعة » : وحدثنا أبو بكر محمد ابن إسماعيل البندار ، قال حدثنا بندار محمد بن بشار ، قال : حدثنا صفوان ابن عيسى ، قال : حدثنا حبيب بن الشهيد ، قال : جاءوا برجل إلى إياس بن معاوية ، فقالوا : هذا يتكلم في القدر ، فقال إياس : ما تقول ؟ فقال : أقول إن الله عز وجل قد أمر العباد ونهاهم وإن الله لا يظلم العباد شيئًا فقال له إياس : أخبرني عن الظلم تعرفه أو لا تعرفه فقال : بلى أعرفه ، قال : ما

الظلم؟ قال: أن يأخذ الرجل ما ليس له، قال: فمن يأخذ ما له ظلم؟ قال: لا. قال إياس: الآن عرفت الظلم.

هذا الأثر صحيح، وأبو بكر محمد بن إسماعيل البندار، قال الخطيب في «**التاريخ**»: هو المعروف بالبصلاني ثم ذكر أن الدارقطني وثقه.

14 القاسم بن محمد وسالم بن عبد اللَّه بن عمر

قال عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه (ص ١٢٢): حدثني أبي، حدثنا بهز، حدثنا عكرمة بن عمار سمعت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد اللَّه يلعنان القدرية الذين يكذبون بقدر اللَّه، حتى يؤمنوا بخيره وشره. هذا الأثر حسن.

ثم قال عبد اللَّه (ص ١٢٣): حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا عكرمة سمعت سالمًا والقاسم يلعنان القدرية.

قال عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه (ص ١٤٣): حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي، حدثنا سفيان عن عمر بن محمد قال: كنت عند سالم بن عبد اللَّه فجاءه رجل فقال: الزنا بقدر؟ فقال: نعم. قال: كتبه اللَّه عليّ؟ قال: نعم. هذا عليّ؟ قال: نعم. ويعذبني عليه؟ قال: فأخذ له الحصى.

هذا الأثر صحيح.

15 مجاهد بن جبر

قال عبد اللَّه بن أحمد في «**السنة**» (ص ١٤٤): حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا العلاء بن عبد الكريم سمعت مجاهدًا يقول: ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ قال: أعمال لا بد لهم من أن يعملوها.

هذا الأثر صحيح، والعلاء بن عبد الكريم: هو اليامي. وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم، كما في «**تهذيب التهذيب**».

16 عمر بن عبد العزيز

قال عبد اللّٰه بن أحمد رحمه اللّٰه (ص ١٤٧): حدثني أبي، حدثنا أنس بن عياض، حدثني نافع بن مالك أبو سهيل[1]، أن عمر بن عبد العزيز قال له: ما ترى في الذين يقولون: لا قدر؟ قال: أرى أن يستتابوا وإلا ضربت أعناقهم. قال عمر: وذلك الرأي فيهم، لو لم يكن إلا هذه الآية الواحدة: ﴿فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم﴾.

هذا الأثر صحيح.

وفي «الموطأ» (ج ٣ ص ٩٣) عن مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك أنه قال: كنت أسير مع عمر بن عبد العزيز فقال: ما رأيك في هؤلاء القدرية؟ فقلت: رأيي أن تستتيبهم، فإن قبلوا وإلا عرضتهم على السيف، فقال عمر ابن عبد العزيز: وذلك رأيي قال مالك: وذلك رأيي.

قال عبد اللّٰه بن أحمد رحمه اللّٰه (ص ١٤٧): حدثني أبي، حدثنا إسحاق ابن عيسى، أخبرنا مالك عن عمه[2] سهيل قال: كنت مع عمر بن عبد العزيز فقال لي: ما ترى في هؤلاء القدرية؟ قال: قلت: أرى أن تستتيبهم، فإن قبلوا ذلك وإلا عرضتهم على السيف. فقال عمر بن عبد العزيز: ذلك رأيي. قلت لمالك: فما رأيك أنت؟ قال: هو رأيي.

---

(١) **في «الأصل»**: أبو إسماعيل، **والصواب**: ما أثبتناه كما في كتب الرجال، وكما في «**الشريعة**» للآجري (ص ٢٢٧).

(٢) **كذا في «الأصل»**، **وصوابه**: عن عمه أبي سهيل، وهو نافع بن مالك كما في «**تهذيب التهذيب**».

قال الإمام عبد اللّه بن أحمد في « السنة » (ص ١٤٣) : حدثني أبي ، حدثنا وكيع ، حدثنا عمر بن ذر ، سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : لو أراد اللّه أن لا يعصى لم يخلق إبليس ، ثم قرأ : ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم ﴾ .

هذا الأثر صحيح .

قال الإمام الآجري في « الشريعة » (ص ٢٢٨) : وأخبرنا الفريابي قال : حدثنا عبد اللّه بن عبد الجبار الحمصي ، قال : حدثنا محمد بن حمير[١] ، عن محمد بن مهاجر عن أخيه عمرو بن مهاجر ، قال : بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان بن مسلم يقول في القدر ، فبعث إليه فحجبه أيامًا ، ثم أدخله عليه ، فقال : غيلان[٢] ما هذا الذي بلغني عنك ؟ قال عمرو بن مهاجر : فأشرت إليه أن لا يقول شيئًا ، قال : فقال : نعم يا أمير المؤمنين إن اللّه عز وجل قال : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا * إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا ﴾ قال اقرأ آخر السورة : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء اللّه إن اللّه كان عليمًا حكيمًا * يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا ﴾ . ثم قال : ما تقول يا غيلان ؟ قال : أقول : قد كنت أعمى فبصرتني . وأصم فأسمعتني ، وضالًّا فهديتني ، فقال عمر : اللهم إن كان عبدك غيلان صادقًا وإلا فأصلبه . فأمسك عن الكلام في القدر ، فولاه عمر ابن عبد العزيز دار الضرب بدمشق . فلما مات عمر بن

(١) في « **الأصل** » : خمير بالخاء المعجمة ، والصواب ما أثبتناه كما في « **تهذيب التهذيب** » .
(٢) أي : هذا غيلان ، أو أنت غيلان ، أو يا غيلان ، على حذف حرف النداء .

عبد العزيز رحمه اللَّه ، وأفضت الخلافة إلى هشام تكلم في القدر ، فبعث إليه هشام فقطع يده . فمر به رجل والذباب على يده ، فقال له : يا غيلان هذا قضاء وقدر . فقال : كذبت لعمر اللَّه ، ما هذا قضاء ولا قدر ! فبعث إليه هشام فصلبه .

هذا الأثر حسن .

وأخبرنا الفريابي ، قال : حدثنا عبيد اللَّه بن معاذ قال : حدثنا أبي قال : حدثنا محمد بن عمرو الليثي ، أن الزهري حدثه قال : قال : دعا عمر بن عبد العزيز غيلان فقال : يا غيلان ، بلغني أنك تتكلم في القدر ، فقال : يا أمير المؤمنين إنهم يكذبون عليّ . فقال : يا غيلان ، اقرأ أول يس فقرأ : ﴿يس * والقرآن الحكيم﴾ حتى أتى على قوله : ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ . يا أمير المؤمنين ، واللَّه لكأني لم أقرأها قط قبل اليوم ، أشهدك يا أمير المؤمنين أني تائب مما كنت أقول . فقال عمر : اللهم إن كان صادقًا فثبته وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين .

هذا الأثر حسن .

وقال الآجري رحمه اللَّه (ص٢٣٢) : وأخبرنا الفريابي ، قال : حدثنا أبو كامل الجحدري قال : حدثنا بشر بن المفضل قال : حدثنا التيمي قال : سئل عمر بن عبد العزيز عن القدر فقال : ما جرى ذباب بين اثنين إلا بقدر . ثم قال للسائل : لا تعودن تسألني عن مثل هذا .

هذا الأثر صحيح .

قال جعفر الفريابي في كتابه «القدر» (ص : ١٩٢) :

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد اللَّه بن إدريس عن عمر بن ذر قال : قال عمر بن عبد العزيز لو أراد اللَّه أن لا يعصى ما خلق إبليس وهو رأس الخطيئة .

حدثنا أبو بكر حدثنا وكيع عن عمر بن ذر قال : سمعت عمر بن عبد العزيز فذكره .

هذا أثر صحيح .

وقد جاء مرفوعًا ولا يثبت راجع ما سيأتي في «القدر» (ص : ٥١٩) :

17 محمد بن كعب القرظي

قال الإمام عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه (ص ١٤٨) : حدثني أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا أبو جعفر الخطمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، أن الفضل الرقاشي ، قعد إليه فذاكره شيئًا من القدر ، فقال له محمد ابن كعب القرظي : تشهده ، فلما بلغ من يهده اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، رفع محمد عصا معه فضرب بها رأسه ، وقال : قم . فلما قام فذهب ، قال : لا يرجع هذا في رأيه أبدًا .

18 نافع مولى عبد اللَّه بن عمر

قال عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه (ص ١٤٧) : حدثني أبي ، حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، سمعت عبد العزيز بن عبد اللَّه بن أبي سلمة يقول : سمعت نافعًا مولى ابن عمر يقول لأمير كان على المدينة : أصلحك اللَّه اضرب أعناقهم ، يعني : القدرية . قال : وأنا يومئذ قدري قال : حتى رأيت في المنام كأني أخاصم ناسًا ، قال : فتلوت آية ، فلما أصبحت جاءني

أصحابي ، قلت : يا هؤلاء ، إنى أستغفر اللّه وأتوب اللّه ، فأخبرتهم بما رأيت . قال فرجع بعضهم ، وأبى بعضهم أن يرجع .

هذا الأثر سنده صحيح .

19 طاوس بن كيسان اليماني

قال الإمام معمر بن راشد في « الجامع » ، كما في آخر « مصنف عبد الرزاق » (ج ١١ ص ١٢٥) : كنت عند ابن طاوس ، وعنده ابن له ، إذا أتاه رجل يقال له صالح ، يتكلم في القدر . فتكلم بشيء فنبه[1] ، فأدخل ابن طاوس أصبعيه في أذنيه ، وقال لابنه : أدخل أصبعك في أذنيك واشدد ، فلا تسمع من قوله شيئًا ، فإن القلب ضعيف .

قال عبد اللّه بن أحمد رحمه اللّه (ص ١٢٢) : حدثنا أبي ، حدثنا سفيان ، قال : قال عمرو : قال لنا طاوس : احذروا معبد الجهني ؛ فإنه قدري .

هذا الأثر صحيح .

قال الإمام معمر بن راشد رحمه اللّه ، في « الجامع » كما في آخر « مصنف عبد الرزاق » (ج ١١ ص ١١٥) : عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : اجتنبوا الكلام في القدر ؛ فإن المتكلمين فيه يقولون بغير علم .

قال الإمام الفريابي في كتابه « القدر » (ص : ٢٠٥) :

حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري حدثنا أنس بن عياض قال أرسل إليّ عبد اللّه بن يزيد بن هرمز[2] فقال لقد أدركت وما بالمدينة أحد يتهم بالقدر إلّا رجل من جهينة يقال معبد فعليكم بدين العواتق اللاتي لا يعرفن إلّا اللّه .

---

(١) **في التعليق** : كذا في (ص) ، وانظر هل هو فتنبه .

(٢) **تنبيه** : في « **الأصل** » عبد اللّه بن يزيد بن هرمز . والذي في « **تهذيب التهذيب** » عبد اللّه بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف .

20 مطرف بن عبد اللَّه

قال الإمام معمر بن راشد في « الجامع » كما في آخر « مصنف عبد الرزاق » (ج ١١ ص ١٢١) : عن قتادة ، عن مطرف بن عبد اللّه قال : إن اللّه لم يكل الناس إلى القدر وإليه يعودون . و (ص ١٢٥) عن بديل العقيلي ، عن مطرف ابن عبد اللّه بن الشخير قال : ابن آدم لم توكل بالقدر ، وإليه تصير .

وقال عبد اللَّه بن أحمد (ص ١٣٦) : حدثني أبي حدثنا هشيم ، أنا داود ابن أبي هند عن مطرف بن عبد اللّه بن الشخير قال : لم يوكل في القرآن إلى القدر ، وقد أخبرنا في القرآن أنا إليه نصير .

21 الحسن بن محمد بن علي

قال عبد اللَّه بن أحمد رحمه اللَّه (ص ١٢٢) : حدثني أبي حدثنا معاذ بن معاذ ، أنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى قال الحسن بن محمد بن علي : لا تجالسوا أهل القدر .

هذا الأثر صحيح .

والحسن بن محمد بن علي ، أبوه المعروف بابن الحنفية .

قال الفريابي رحمه اللَّه في كتابه « القدر » (ص : ٢٠٧) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن ابن محمد قال إن أول ما تكلم في القدر أن طارت شرارة فأحرقت البيت فقال رجل كان هذا من قدر اللَّه وقال آخر لم يكن من قدر اللّه قال عمرو فذكر ذلك عند ابن عباس : ههنا فأخذ بناصيته .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن الحسن بن محمد قال أول ما تكلم في القدر.

فذكر نحوه ولم يذكر كلام ابن عباس.

هذا أثر صحيح إلى الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب وأبوه ابن الحنفية، وهو ثقة فقيه يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء.

22 أبو صالح ذكوان السمان

قال عبد الله بن أحمد في «السنة» (ص ١٤٤): حدثني أبي، حدثنا وكيع وابن بشر قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ وأنا قدرتها عليك.

هذا الأثر صحيح. وأبو صالح، هو ذكوان كما في ترجمة إسماعيل بن أبي خالد من «**تهذيب الكمال**».

23 ربيعة بن أبي عبد الرحمن

قال الفريابي في «القدر» (ص: ١٩٤ - ١٩٥):

حدثنا الوليد بن عتبة الدمشقي حدثنا أبو ضمرة قال وقف غيلان على ربيعة ابن أبي عبد الرحمن فقال يا ربيعة أين الذي يزعم أن الله يحب أن يعصى فقال له ربيعة ويلك يا غيلان أو يعصى الله قسرًا قال فكأنما ألقمه حجرًا.

هذا أثر صحيح.

وأبو ضمرة هو أنس بن عياض ثقة.

24 أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين

قال الفريابي في « القدر » (ص: ١٨٨):

حدثني إبراهيم بن عبد الرحيم، حدثنا عفان بن مسلم، حدثني حرب بن سريج أبو سفيان البزاز قال: سألت أبا جعفر [بن][1] محمد بن علي فقال: أشامي أنت؟ فقلت: لا، فقالوا له: إنه مولاك فقال: مرحبًا وألقى إلي وسادة من أدم قال: قلت: إن منهم من يقول لا قدر ومنهم من يقول: قدر الخير ولم يقدر الشر ومنهم من يقول: ليس شيء كائن ولا يكون إلا جرى به القلم.

قال: بلغني أن قبلكم أئمة يضلون الناس مقالتهم المقالتان الأوليان فمن رأيتهم منهم إمامًا يصلي بالناس فلا تصلوا وراءه ثم سكت هنيهة فقال ومن مات منهم فلا تصلوا عليه قاتلهم الله إخوان اليهود قلت: فقد صليت خلفهم قال: من صلى خلف أولئك فليعد الصلاة ا.هـ.

هذا الأثر حسن.

إبراهيم بن عبد الرحيم هو ابن عمر أبو إسحاق ويعرف بابن دنوقًا قال الدارقطني ثقة انظر « **تاريخ بغداد** » (١٣٥/٦):

وحرب بن سريج صدوق يخطيء.

25 أبو حازم سلمة بن دينار

قال الإمام عبد الله بن أحمد رحمه الله (ص١٣٤): حدثني أبي، حدثنا أنس بن عياض، سمعت أبا حازم يقول: قال الله: ﴿ فألهمها فجورها

(١) ابن زائدة مقحمة كما في ترجمة تلميذه من « **تهذيب الكمال** ».

وتقواها﴾ قال: فالفاجرة ألهمها الفجور والتقية ألهمها اللَّه التقوى.

هذا الأثر صحيح.

وقال الآجري رحمه اللَّه في «الشريعة» (ص ٢٢٥): وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا فضيل بن عياض عن أبي حازم قال: قال اللَّه عز وجل: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾، فالتقى ألهمه التقوى، والفاجر ألهمه الفجور.

هذا الأثر صحيح.

قال أبو حازم: لعن اللَّه دينًا أن أكبر منه، يعني التكذيب بالقدر.

تقدم في وجوب الإيمان بالقدر مسندًا.

قال جعفر الفريابي في «القدر» (ص: ٢٠٢):

حدثنا إبراهيم بن الحجاج السامي، حدثنا جويرية بن أسماء قال سمعت علي بن زيد تلا هذه الآية ﴿فللَّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ فنادى بأعلى صوته: انقطع واللَّه ههنا أهل القدر.

هذا أثر حسن إلى علي بن زيد، ولا يضر ههنا ضعف علي بن زيد لأنه من قوله.

26 إبراهيم بن يزيد النخعي

قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في «الشريعة» (ص ٢٢٣): أخبرنا الفريابي، قال حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان عن منصور عن إبراهيم، في قول اللَّه عز وجل: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين ۝ إلا من هو صال الجحيم﴾.

أخبرنا الفريابي ، قال حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن منصور عن إبراهيم في قوله عز وجل : ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ قال : بمضلين ، إلا من قدر له ، وقضى له أن يصلى الجحيم .

هذا الأثر صحيح .

قال الآجري رحمه الله : أخبرنا الفريابي ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : حدثنا يعلى بن الحارث المحاربي عن وائل بن داود قال : سمعت إبراهيم يقول : إن آفة كل دين القدرية .

هذا الأثر صحيح .

قال عبد الله بن أحمد رحمه الله (ص ١٣٥) : حدثني أبي ، حدثنا يحيى ابن آدم وحدثنا يعلى بن الحارث عن وائل بن داود ، عن إبراهيم قال : إن آفة كل دين كان قبلكم ، أو قال آفة كل دين القدر .

هذا الأثر صحيح ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي .

27 ميمون بن مهران

قال الإمام أحمد رحمه الله في « فضائل الصحابة » (ج ١ ص ٦٠) : ثنا وكيع ثنا جعفر ، يعني : ابن برقان عن ميمون بن مهران قال : ثلاث ارفضوهن : سب أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والنظر في النجوم ، والنظر في القدر .

28 الأوزاعي

قال الفريابي رحمه الله (ص: ٢٠٥ - ٢٠٦) **من كتابه « القدر »** :

حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا محمد بن شعيب قال سمعت الأوزاعي يقول : أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له : سوسن كان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد .

أثر حسن .

29 عوف بن أبي جميلة الأعرابي

قال الفريابي رحمه الله في « القدر » (ص: ٢٠٨) :

حدثني أمية بن بسطام ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال أتيت عوفًا الأعرابي فقال : يا معتمر مر بنا إلى موسى الأسواري فإنه يزعم أن ابنه قتل بغير أجله ويروي عن الحسن أن المقتول يقتل بغير أجله فذهبت معه إليه فقال له : ويحك أو ويلك لم تكذب على الحسن وأنا أطول مجالسة له منك قال : هاه .

الأثر حسن .

30 عبد اللَّه بن عون

قال جعفر الفريابي في كتابه « القدر » (ص: ١٩٩) :

حدثنا الفضل بن مقاتل أبو مقاتل البلخي ، قال : سمعت النضر بن شميل يقول : كان ابن عون لا يقبض ما بين عينيه لأحد فإذا حاجه القدري أو المرجيء صرف وجهه أو قال حول وجهه عنه .

الأثر صحيح .

قال جعفر الفريابي في «القدر» (ص: ٢٠٥):

حدثني أحمد بن خالد، حدثنا معاذ بن معاذ، قال: سمعت ابن عون يقول: أول ما تكلم من الناس في القدر بالبصرة معبد الجهني وأبو يونس الأسواري قال ابن عون: قال هذا القول يومًا وصعد إلينا أبو نعامة العدوي وكان أكبر من ابن عون فلما رآه ابن عون أجلسه إلى جنبه فقال: يا أبا نعامة: متى تكلم الناس في القدر قال: إنما تكلموا فيه حيث تكلم سنسويه وتابعه معبد الجهني قال معاذ قال ابن عون: يا هؤلاء أرضوا اللَّه واشهدوا على شهادتنا.

هذا أثر صحيح، وأحمد بن خالد هو الخلال ثقة بغدادي.

31 مالك بن أنس

قال الإمام الآجري في «الشريعة» (ص ٢٢٦): أخبرنا الفريابي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد اللَّه الأويسي، قال: قال مالك بن أنس: ما أضل من كذب بالقدر لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله عز وجل: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ لكفى بها حجة.

قال جعفر الفريابي رحمه اللَّه في «القدر» (ص: ١٦٥):

حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن موسى ابن أبي كثير قال [الكلام في] القدر أبو جاد الزندقة.

وهذا الأثر حسن.

قال جعفر الفريابي في «القدر» (ص: ١٥٥) :

حدثنا إسماعيل حدثنا أبو مصعب قال سمعت مالكًا يقول لا يصلى خلف القدرية .

الأثر صحيح .

32 الليث بن سعد

قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رحمه الله (ص ٢٢٧) : حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال : حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد قال : حدثني عبد اللَّه بن وهب قال : سمعت الليث بن سعد يقول في المكذب بالقدر : ما هو بأهل أن يعاد في مرضه ، ولا يرغب في شهود جنازته ، ولا تجاب دعوته .

هذا الأثر صحيح .

33 وكيع بن الجرّاح

قال الإمام الآجري في «الشريعة» (ص ٢٢٧) : وأخبرنا الفريابي ، قال سمعت أبا حفص عمرو بن علي ، قال سمعت معاذ بن معاذ وذكر قصة عمرو بن عبيد إن كانت : تبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ ، فما على أبي لهب من لوم . قال أبو حفص : فذكرته لوكيع بن الجراح فقال : من قال بهذا يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

34 أصحاب يحيى بن سعيد القطان

قال البخاري رحمه الله في «خلق أفعال العباد» (ص ٤١): سمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع من أصحابنا يقول: إن أفعال العباد مخلوقة.

هذا الأثر صحيح.

وأصحاب يحيى بن سعيد مبهمون، ولا يضر، إذ هو لا يعني إلا المحدثين، ثم هم ليسوا من رجال السند، فلا يضر الأثر، والحمد لله.

35 عبد الرحمن بن مهدي

قال الإمام أبو بكر أحمد بن محمد الخلال في كتاب «السنة» (ج ٢ ص ٦٢٣): أخبرنا أبو بكر المروذي قال: سئل أبو عبد الله عن الزنا بقدر فقال: الخير والشر بقدر. ثم قال: الزنا والسرقة. وذكر عن سالم وابن عباس أنهم قالوا: الزنا والسرقة بقدر. ثم قال أبو عبد الله، كان ابن مهدي قد سألوه عن ذا فقال: الخير والشر بقدر، ففحشوا عليه فقالوا له: الزنا والسحاق بقدر، فكأنه أنكر هذا. وقال: قد أجابهم إلى أن الخير والشر بقدر. فجعلوا يذكرون له مثل هذه الأقدار.

هذا الأثر سنده صحيح.

أبو بكر المروذي، هو أحمد بن محمد بن الحجاج، ترجمه الإمام الذهبي في «**تذكرة الحفاظ**» (ج ٢ ص ٦٣١). وقال فيه الإمام القدوة، شيخ بغداد الفقيه أجل أصحاب الإمام أحمد. وترجمه في «**العبر**» (ج ٢ ص ٥٤) وذكر نحو ما تقدم.

قال الخلال رحمه اللَّه أخبرنا الدوري قال : سمعت يحيى يقول كان عبد الرحمن بن مهدي من أبعد الناس في القدر ، قال : وجاءوا إلى عبد الرحمن بن مهدي فقال : قل : السحاق بقدر ، يعني : سحاق النساء . فقال : لا أقول يستخفين ، ولكنه قال : كل شيء بقدر - كذا في « **الأصل** » : يستخفين ، والظاهر يستحقن أي يعملن السحاق .

هذا الأثر سنده صحيح .

الدوري ، هو : العباس بن محمد : ويحيى ، هو : ابن معين رحمه اللَّه .

36 كلام الإمام الشافعي رحمه اللَّه

قال الإمام البيهقي رحمه اللَّه في « مناقب الشافعي » (ج ١ ص ٤١٢) : أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال : أخبرنا الربيع بن سليمان قال : حدثنا الشافعي ، يعني : في كتاب صلاة الجمعة قال : قال اللَّه عز وجل : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه ﴾ فأعلم اللَّه خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء والمشيئة إرادة اللَّه عز وجل .

سند هذا الأثر إلى الإمام الشافعي رحمه اللَّه صحيح .

أبو سعيد بن أبي عمرو هو : محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي ، ترجمته في « **سير أعلام النبلاء** » (ج ١٧ ص ٣٥٠) . وصفه الذهبي بأنه الشيخ الثقة المأمون .

وأبو العباس محمد ابن يعقوب هو : الأصم إمام عظيم القدر .

والربيع بن سليمان هو : المرادي ، راوي « **الأم** » عن الشافعي .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في «البداية والنهاية» (ج ٩ ص ٢٥٤) في ترجمة الشافعي رحمه اللَّه: وقال ابن خزيمة: أنشدني المزني، وقال: أنشدنا الشافعي لنفسه:

ما شئت كان وإن لم أشأ — وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت — ففي العلم يجري الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد — ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت — وهذا أعنت وذا لم تعن

هذا الأثر صحيح.

ابن خزيمة هو: الإمام محمد بن إسحاق أبو بكر، صاحب «**الصحيح**»، و«**التوحيد**» وغيرهما من المؤلفات. والمزني هو: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، من أصحاب الشافعي، بل من خواصه. ذكره الذهبي في «**تذكرة الحفاظ**» (ج ٢ ص ٥٥٨). ووصفه بأنه إمام فقيه.

37 الأصمعي عبد الملك بن قريب

قال جعفر الفريابي رحمه اللَّه في «القدر» (ص: ١٨٦):

سمعت نصر بن علي قال سمعت الأصمعي يقول: من قال إن اللَّه لا يرزق الحرام فهو كافر.

هذا أثر صحيح.

38 الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّٰه

قال أبو داود رحمه اللّٰه في «مسائل الإمام أحمد» (ص ٢٧٢): سمعت أحمد قال: قال له رجل: تلجئني القدرية إلى أن أقول الزنا بقدر والسرقة بقدر؟ قال الخير والشر من اللّٰه. وقال أبو داود رحمه اللّٰه: سمعت أحمد سئل عن القدري يجادل؟ قال: ما يعجبني. قال: لا يدعني، قال: ذلك أحرى أن لا تكلمه إذا كان صاحب جدال.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري في «مسائل الإمام أحمد» (ج ٢ ص ١٥٥): وسئل عن القدر؟ فقال: القدر قدرة اللّٰه على العباد. قال: الرجل إن زنى فبقدر اللّٰه، وإن سرق فبقدر اللّٰه؟ قال: نعم، اللّٰه عز وجل قدر اللّٰه عليه.

قال الإمام أبو بكر أحمد بن محمد الخلال في كتاب «السنة» (ج ٢ ص ٢١٨): أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر، أن أبا الحارث حدثهم قال: سمعت أبا عبد اللّٰه وسئل عن القدر. قيل له: إنهم يقولون: إن اللّٰه عز وجل لا يضلّ أحدًا، هو أعدل من أن يضل أحدًا ثم يعذبه على ذلك. فقال: أليس قال عز وجل: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾. فاللّٰه عز وجل قدر الطاعة والمعاصي، وقدر الخير والشر، ومن كتب سعيدًا فهو سعيد، ومن كتب شقيًا فهو شقي.

هذا الأثر صحيح.

محمد بن أبي هارون هو: محمد بن موسى بن يونس الوراق كما في «**تاريخ بغداد**» (ج ٣ ص ٢٤١)، وذكر الخطيب أن الخلال أثنى عليه فقال

فيه : يا لك من رجل جليل القدر ، كثير العلم ، وهو قرابة إدريس الحداد .

ومحمد بن جعفر . لم أجد ترجمته ، ولا يضر ، فهو مقرون كما ترى .

أما أبو الحارث فهو : أحمد بن محمد الصائغ ذكر الخطيب (ج٥ ص١٢٨) عن الخلال ، أن الإمام أحمد كان يأنس به ، وكان يقدمه ويكرمه ، وكان له عنده موضع جليل ، وروي عن أبي عبد اللَّه مسائل كثيرة جدًّا بضعة عشر جزاء وجود الرواية عن أبي عبد اللَّه .

قال الخلال (ج٢ ص٦٢٦) : أخبرني محمد بن أبي هارون ، ومحمد بن جعفر ، أن أبا الحارث حدثهم قال : سمعت أبا عبد اللَّه وسئل عن القدر فقال : الخير والشر بقدر ، والزنا والسرقة وشرب الخمر كله بقدر .

هذا الأثر صحيح وتقدم الكلام على رجاله .

قال الخلال رحمه اللَّه (ج٢ ص٦٤٤) : أخبرني يوسف بن موسى أن أبا عبد اللَّه سئل عن أعمال الخلق مقدرة عليهم من الطاعة والمعصية ؟ قال : نعم . قيل : والشقاء والسعادة مقدران على العباد ؟ قال : نعم . قيل له : والناس يصيرون إلى مشيئة اللَّه فيهم من حسن أو سيئ ؟ قال : نعم .

هذا الأثر حسن . يوسف بن موسى بن راشد حسن الحديث .

39 الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية

قال الإمام الطحاوي في عقيدته : وقد علم اللَّه تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ، وعدد من يدخل النار جملة واحدة ، فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه ، كذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه . وكل ميسر لما خلق له ، والأعمال بالخواتيم ، والسعيد من سعد بقضاء اللَّه ، والشقي من

شقي بقضاء اللَّه . وأصل القدر سر اللَّه تعالى في خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك ، نظرًا وفكرًا ووسوسة ، فإن اللَّه سبحانه وتعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى في كتابه : ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ فمن سأل : لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين .

40 كلام أبي محمد بن حزم رحمه اللَّه

قال رحمه اللَّه في « المحلى » (ج ١ ص ٣٧) :

مسألة : وأن القدر حق ، ما أصابنا لم يكن ليخطئنا ، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا . قال اللَّه عز وجل : ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ .

مسألة : لا يموت أحد قبل أجله مقتولًا أو غير مقتول ، قال اللَّه عز وجل : ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجلًا﴾ . وقال تعالى : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ . وقال تعالى : ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ .

مسألة : وحتى يستوفي رزقه ، ويعمل بما يسر له . السعيد من سعد في علم اللَّه تعالى ، والشقي من شقي في علمه تعالى . ثنا عبد اللَّه بن يوسف ، حدثنا أحمد بن فتح ، ثنا عبد الوهاب بن عيسى ، ثنا أحمد بن محمد ، ثنا أحمد ابن علي ، ثنا مسلم بن الحجاج ، ثنا محمد بن عبد اللَّه بن نمير ، ثنا أبي

وأبو معاوية ووكيع قالوا : ثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد اللَّه بن مسعود قال : حدثنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وهو الصادق المصدوق : « أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون في ذلك علقة ، مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل تعالى الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعلمه وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

مسألة : وجميع أعمال العباد خيرها وشرها كل ذلك مخلوق ، خلقه اللَّه عز وجل ، وهو تعالى خالق الاختيار والإرادة والمعرفة في نفوس عباده . قال عز وجل : ﴿ واللَّه خلقكم وما تعملون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وقال تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض وما بينهما ﴾ .

مسألة : ولا حجة على اللَّه تعالى ، وللَّه الحجة القائمة على كل أحد ، قال تعالى : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل فللَّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ .

مسألة : ولا عذر لأحد بما قدره اللَّه عز وجل من ذلك لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وكل أفعاله تعالى عدل وحكمة ؛ لأن اللَّه تعالى واضع كل موجود في موضعه ، وهو الحاكم الذي لا حاكم عليه ، ولا معقب لحكمه ، قال تعالى : ﴿ فعال لما يريد ﴾ .

41 كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه

وقد سئل كما في المجلد الثامن (ص٦٣)، من «مجموع الفتاوى» عن القدر، فقال السائل:

ما تقول السادة أئمة المسلمين في جماعة اختلفوا في قضاء اللَّه وقدره: خيره وشره، منهم من يرى أن الخير من اللَّه تعالى والشر من النفس خاصة؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب الشيخ رضي اللَّه عنه:

مذهب أهل السنة والجماعة، أن اللَّه تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، لا رب غيره، ولا خالق سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم. والعبد مأمور بطاعة اللَّه، وطاعة رسوله، منهي عن معصية اللَّه ومعصية رسوله، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقًّا للذم والعقاب، وكان للَّه عليه الحجة البالغة، ولا حجة لأحد على اللَّه تعالى، وكل ذلك كائن بقضاء اللَّه وقدره ومشيئته وقدرته. لكن يحب الطاعة ويأمر بها، ويثيب أهلها على فعلها، ويكرمهم، ويبغض المعصية وينهى عنها، ويعاقب أهلها ويهينهم. وما يصيب العبد من النعم فاللَّه أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾. وقال تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن اللَّه وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾. أي: ما أصابك من خصب ونصر وهدى، فاللَّه أنعم به عليك، وما أصابك من حزن وذل وشر، فبذنوبك وخطاياك. وكل الأشياء كائنة بمشيئة اللَّه وقدرته وخلقه، فلا بد أن يؤمن العبد بقضاء اللَّه وقدره، وأن يوقن العبد بشرع اللَّه وأمره.

فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد، كان مشابهًا للمشركين. ومن نظر إلى الأمر والنهي وكذب بالقضاء والقدر كان مشابهًا للمجوسيين. ومن آمن بهذا وبهذا، فإذا أحسن حمد الله تعالى، وإذا أساء استغفر اللَّه تعالى، وعلم أن ذلك بقضاء اللَّه وقدره، فهو من المؤمنين فإن آدم - عليه السلام - لما أذنب، تاب فاجتباه ربه وهداه. وإبليس أصر واحتج، فلعنه اللَّه وأقصاه. فمن تاب كان آدميًا، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيًا، فالسعداء يتبعون أباهم والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس.

فنسأل اللَّه أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين يا رب العالمين ا.هـ. **كلامه رحمه اللَّه.**

هذا كلام بعض أئمة المسلمين، ولو كتبت ما عثرت عليه، لكان مجلدًا. ويدخل في هذا تراجم المحدثين رحمهم اللَّه في باب القدر، ومن يريد الحق يكتفي بآية قرآنية أو حديث نبوي، والذي يريد الجدل والعناد لو أتيته بكل آية ما انقاد لك: ﴿واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

● فائـدة:

ذكر السيوطي رحمه اللَّه، في «تدريب الراوي» (ج ١ ص ٣٢٨)، جماعة روى لهم البخاري ومسلم، أو أحدهما، رموا بالقدر: ثور بن زيد المدني، ثور بن يزيد الحمصي، حسان بن عطية المحاربي، الحسن بن ذكوان، داود ابن الحصين، زكرياء بن إسحاق، سالم بن عجلان، سلام بن مسكين، سيف بن سليمان المكي، شبل بن عبادة، شريك بن أبي نمر، صالح بن كيسان، عبد اللَّه بن عمرو أبو معمر، عبد اللَّه بن أبي لبيد، عبد اللَّه بن

أبي نجيح، عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عبد الرحمن بن إسحاق المدني، عبد الوارث بن سعيد التنوري، عطاء بن أبي ميمونة، العلاء بن الحارث، عمرو بن زائدة، عمران بن مسلم القصير، عمير بن هانئ، عوف الأعرابي، كهمس بن المنهال، محمد بن سواء البصري، هارون بن موسى الأعور النحوي، هشام الدستوائي، وهب بن منبه، يحيى بن حمزة الحضرمي، هؤلاء رموا بالقدر، وهو زعم أن الشر من خلق العبد ا.هـ.

• ضعف حديث: «لو لم يشأ اللَّه أن يعصى ما خلق إبليس»

قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رحمه الله (ص ٢٠٠): حدثنا أبو القاسم عبد اللَّه بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: حدثنا داود ابن رشيد، قال: حدثنا يحيى بن زكرياء عن موسى بن عقبة عن أبي الزبير. وعن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر بن عبد اللَّه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال لأبي بكر رضي اللَّه عنه: «يا أبا بكر إن اللَّه عز وجل، لو لم يشأ أن يعصى ما خلق إبليس».

هذا حديث صحيح وله شاهد:

قال الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات»: وحدثنا أبو محمد عبد اللَّه ابن يوسف الأصبهاني إملاء، أنبأنا أبو عمر بن مطر، ثنا أبو خليفة، أنا أبو الربيع الزهراني، ثنا عباد بن عباد عن عمر بن ذر قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لو أراد اللَّه أن لا يعصى ما خلق إبليس. وحدثني مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال لأبي بكر: «يا أبا بكر، لو أراد اللَّه أن لا يعصى ما

خلق إبليس » . أبو عمر بن مطر هو محمد بن جعفر ، وأبو خليفة هو الفضل ابن حباب .

واعلم ؛ أن تصحيحي لحديث جابر بناء على أن يحيى هو ابن زكرياء بن أبي زائدة ، والحديث في جزء بيبي (ص٧٦) بهذا السند وفيه أيضًا يحيى بن زكرياء ، ثم رأيت الحديث في « **الموضوعات** » لابن الجوزي (ج ١ ص٢٧٣) ، وذكر أن في سنده يحيى أبا زكرياء واتهمه به .

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره أن شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية قال : هذا حديث موضوع مختلق باتفاق أهل المعرفة . وقال ابن قتيبة في « **تأويل مختلف الحديث** » (ص٢٣٦) : الحديث ضعيف عند أهل الحديث . وقال الحافظ الذهبي في « **ميزان الاعتدال** » : يحيى بن زكرياء ، صوابه يحيى أبو زكرياء ، ثم ذكر الحديث وقال : إنه باطل - إلى أن قال الحافظ الذهبي : وبقيت مدة أظن أن يحيى هو ابن أبي زائدة ، وأن الحديث أدخل على بيبي في جزئها ، ثم إذا به في الأول من حديث ابن أخي ميمي البغدادي عن البغوي أيضًا . والبغوي : فصاحب حديث وفهم وصدق ، وشيخه فثقة ، فتعين أن الحمل في هذا الحديث على يحيى بن زكرياء ، هذا المجهول التالف . ثم ذكر الحافظ الذهبي طريقًا أخرى فيها يحيى بن سابق ، قال : وهو واه وسيأتي .

واعلم ؛ أن الحديث ، جاء من حديث عبد اللَّه بن عمر وعبد اللَّه بن عمرو ، **ولا يصح منها شيء** والحمد للَّه .

* * *

الخاتمـــة

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات ، فكتاب « القدر » هو أحد الكتب التي يسر اللَّه جمعها في هذا الجو الذي لا يساعد على العلم والتعليم ، فضلًا عن فراغ الذهن للتأليف ، وجمع الفوائد ، واقتناص الشوارد .

بل لو صدقنا إرجاف الرافضة وتثبيط جهلة الإخوان المسلمين بل تنفيرهم عن العلم النافع ، لتركنا العلم والتعليم ، والتأليف ولهربنا إلى الفيافي والقفار ، وصار حالنا كما قيل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصـــوت إنســـان فكـــدت أطيـــر

حقًّا إن مجتمعنا لا يشجع على الخير ؛ ولكن ليعلم أعداء السنة أن تكالبهم علينا لا يزيدنا إلا ثباتًا على سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . كيف لا نكون كذلك ، وربنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من اللَّه ما لا يرجون ﴾ . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل اللَّه وما ضعفوا وما استكانوا واللَّه يحب الصابرين ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون واللَّه معكم ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم ﴾ صدقت يا رب ﴿ ومن أصدق من اللَّه حديثًا ﴾ .

فلقد بدأ أهل السنة بالدعوة إلى اللَّه ، والسنة غريبة في اليمن ، والآن بحمد اللَّه لا يعرف كل من اتجه إلى الخير إلا السنة . وإن حالة أهل السنة باليمن

وبدئها ثم انتشارها ليذكرني بقول اللّه عز وجل: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾. ما أكثر القلاقل والزلازل والإرجافات التي وقى اللّه شرها، والفضل في هذا للّه، فهو الذي ثبت أهل السنة وصبرهم على مواجهة جموع الباطل فصار حالهم كما قيل:

وتجلدي للشامتين أريهم　　　أني لريب الدهر لا أتزعزع

وكما قيل:

وقولي كلما جشأت وجاشت　　　مكانك تحمدي أو تستريحي

وكما قيل:

إني إذا جهل اللئام رأيتني　　　كالشمس لا تخفى بكل مكان
ما من مصيبة نكبة أمنى بها　　　إلا تشرفني وترفع شاني
وتزول حين تزول عن متخمط[1]　　　تخشى بوادره على الأقران

هيهات هيهات؛ أن نتأثر بالأراجيف، ونحن بحمد اللّه، نجد من سير الدعوة ما لم يكن يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، ونجد بحمد اللّه من حلاوة العلم ما ينسينا كل المتاعب والمشاق. وصار العلم بحمد اللّه أحب إلينا من جميع ملاذ الحياة، ولقد أحسن الحافظ ابن عساكر رحمه اللّه إذ يقول:

لقول الشيخ أنبأني فلان　　　وكان من الأئمة عن فلان
إلى أن ينتهي الإسناد أحلى　　　لقلبي من محادثة الحسان
ومستمل على صوت فصيح　　　ألذ لدي من صوت القيان

(١) في «أساس البلاغة» تخمط الفحل وتخمط الرجل تغضّب وثار وأجلب.

وتزييني الدروس بنفس نِقس[1] أحب إلي من نقش المغاني
وتخريج الفوائد والأمالي وتسطير الغرائب والحسان
وتصحيح الغوال م[2] العوالي بنيسابور أو في أصفهان
أحب إلي من أخبار ليلى وقيس بن الملوح والأغاني
فإن كتابة الأخبار ترقى بصاحبها إلى غرف الجنان
وحفظ حديث خير الخلق مما ينال به الرضا بعد الأماني
فأجر العلم يبقى كل حين وذكر المرء يبقى وهو فان

● إن تنفير الشيعة، وجهلة الإخوان المسلمين عن دعوتنا، وعن مؤلفاتنا، وعن تعليمنا، لن يزيدنا إلا ثباتًا. ولسنا نقول كما قال القائل:

غزلت لهم غزلًا نسيجًا فلم أر لغزلي نساجًا فكسرت مغزلي

بل نقول كما قال ربنا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا اللَّه لعلكم تفلحون﴾. وكما قال ربنا عز وجل: ﴿ولا تهِنُوا ولا تحزنُوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم اللَّه الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء واللَّه لا يحب الظالمين * وليمحص اللَّه الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم اللَّه الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾.

وإن تكالب أعداء السنة، على أهل السنة، بحمد اللَّه كان سببًا لانتشار السنة، وأصبح بحمد اللَّه، لا يذكر في اليمن إلا سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ولا يسأل إلا عنها وعن أهلها.

---

(١) النعس بالنون المكسورة، بعدها قاف، ثم سين مهملة، هو المداد. كما في «ترتيب القاموس».
(٢) كذا «م» ولعلها من فحذفت النون.

وصدق اللَّه إذ يقول في كتابه الكريم : ﴿ الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ۝ فانقلبوا بنعمةٍ من اللَّه وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان اللَّه واللَّه ذو فضل عظيم ۝ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ۝ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا اللَّه شيئًا يُريدُ اللَّهُ ألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة ولهم عذابٌ عظيم ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين .

وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

الفهارس

فهرس الأحاديث النبوية (*) .

فهرس آثار الصحابة (*) .

فهرس الموضوعات .

(*) هذا « الفهرس » من عمل الأستاذ : سيد إسماعيل القاضي ؛ فجزاه الله خيرًا .

فهرس الأحاديث

* * *

فهرس آثار الصحابة

* * *

فهرس الموضوعات

* * *

دار الحرمين للطباعة بالقاهرة هاتف وفاكس : ٤٨٢٠٣٩٢
٧٢ ش مصر والسودان - حدائق القبة هاتف وفاكس : ٢٩٧٩٧٣٥